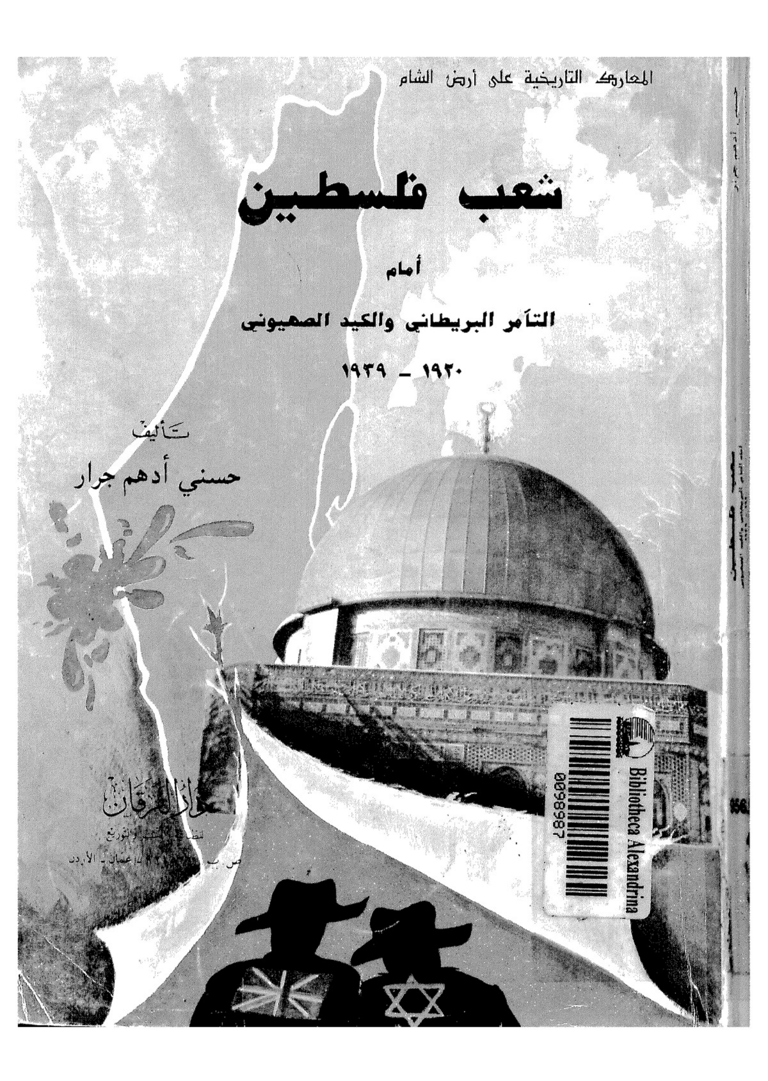


المعارك التاريخية على أرض الشام

شعب فلسطين

أمام

التآمر البريطاني والكيد الصهيوني

١٩٢٠ - ١٩٣٩

تأليف

حسني أدهم جرار

دار الفرقان

للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب ... عمان - الأردن

المعارك التاريخية على أرض الشام

شعب فلسطين

أمام

التآمر البريطاني والكيد الصهيوني

١٩٢٠ - ١٩٣٩

حسني أدهم جرار


دار الفرقان
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب: ٩٢١٥٢٦ - عمّان - الأردن



خارطة فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على قائد المجاهدين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فهذا هو الكتاب الثالث من سلسلة (المعارك التاريخية على أرض الشام) وهو عن جهاد شعب فلسطين في مواجهة التآمر البريطاني والكيد الصهيوني من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٣٩م.

في عصرنا الحديث تآمر على فلسطين كل الاعداء من صليبيين ويهود وشيوعيين ، وهاجمها الانجليز بعد الحرب العالمية الأولى واستعملوا المكر والغدر والكذب والخديعة ،وعملوا على تمكين اليهود من فلسطين ليكونوا بؤرة الشر والفساد في ارض الإسراء والمعراج.

وهبت ثورات متلاحقة اشعلها العلماء والشيوخ ،وقادها اعلام الجهاد الذين حركهم الإسلام ودفعهم لانتفاضات وثورات ضد العدو الصهيوني والمستعمر البريطاني ،فدافعوا عن وطنهم وامتهم وعقيدتهم ،واقتحموا ميادين القتال ودخلوا السجون والمعتقلات ،وقدموا الشهيد تلو الشهيد ،والسجين إثر السجين..

ولكن المؤامرة كانت اكبر منهم ،بل وكانت امتهم تعيش في غفلة فتخاذلت عن مساعدتهم ،ولم يقف بجانبهم الا نفر من المؤمنين المخلصين الذين اعتبروا الدفاع عن فلسطين واجبا ،والقتال فيها شرفا ،وطرد الغاصبين منها جهادا ،وعودتها الى المسلمين عقيدة.

يقول الاستاذ صالح مسعود ابو يصير[1] *«لقد قدم الفلسطينيون كثيرا من التضحيات في معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية ،وهم اليوم لا يكادون ينصفون لدى الشعب العربي ،الذي يتحمل وزر النكبة والذي عليه ان يحسن دراسة تلك الصفحات الخالدة وان يدرك ان تضحيات العرب الفلسطينيين ونكباتهم فتحت للامة العربية مجال العمل والثورة واصلاح دولها اصلاحا طور كل شيء في وجودها».*

"واخيرا هل آن الوقت الذي يدرك معه الشعب العربي في كل مكان ان عرب فلسطين كافحوا ثلاثين عاما، لا في سبيل فلسطين وحدها ،وانما كانوا يمثلون الخط الامامي لكل الامة العربية ومقدساتها ،وان الخطر اليوم ليهدد كل العرب، ويهدد ايضا اكثر دولهم اهمية ومكانة بل انه ليهدد موطن الهجرة المحمدية الطاهرة ومثواه المقدس الكريم".

لقد كافح المجاهدون من ابناء هذا الشعب في اشد الاوقات ظلمة وظلاما ،واحتملوا الكثير في سبيل الله، وأعلنوا صيحة الحق مدوية عالية ،وكان نصيبهم السجن والأذى او النفي والتشريد او الموت ومفارقة الحياة.. ولكنهم مضوا مؤمنين بحق امتهم ،ثابتين على عقيدتهم ،يعلمون الاجيال معنى الجهاد. وهذا ما دفع الزعيم الالماني (هتلر) ليستشهد بجهادهم ويبدي كل الإعجاب بكفاحهم وبسالتهم ،فقال في بيان رسمي وجهه في الاذاعة الى الالمان في السوديت حينما كانوا يحاولون الخلاص من حكم تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ والانضمام الى المانيا قال (٢) :

---

(١) ابو يصير ، صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين ، ص١٧

(٢) الطاهر، محمد علي: خمسون عاما في القضايا العربية ص ٤٤٠ والحسيني، محمد امين: حقائق عن قضية فلسطين، ص١٣-١٤

«اتخذوا يا المان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم،انهم يكافحون انجلترا اكبر امبراطورية في العالم، واليهودية العالمية معا، ببسالة خارقة وليس لهم في الدنيا نصير او مساعد، اما انتم فإنني أمدكم بالمال والسلاح وإن المانيا كلها من ورائكم»·

خطة البحث

اعتمدت في كتابة هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع وفي مقدمتها :

* كتب المؤرخين الذين عاصروا تلك الفترة التاريخية (١٩٢٠-١٩٣٩) وكتبوا الكثير من وقائعها واحداثها اليومية، وفي مقدمتهم:

المؤرخ عزة دروزه ومصطفى الدباغ، ومحمد علي الطاهر، واكرم زعيتر، وإميل الغوري، واحسان النمر، ومحمود العابدي، وعجاج نويهض، وعمر ابو النصر، وعيسى السفري.

* مذكرات الذين شاركوا في احداث تلك الفترة ومنها:

مذكرات الحاج امين الحسني، ومذكرات الاستاذ بهجت ابو غربية ،ومذكرات الضابط البريطاني «جيفري مورثون»

- مجموعة من كتب المؤرخين المعاصرين العرب والاجانب·

- مجموعة من الصحف والمجلات العربية والاجنبية·

- مقابلات شخصية اجريتها مع عدد من كبار السن العارفين، الذين شاركوا في احداث تلك الفترة او عاصروها·

وقسمت البحث الى تسعة فصول وهي:

الفصل الاول:

تناولت فيه نشوء القضية الفلسطينية ووعد بلفور، وسايكس بيكو وفرض الانتداب.

الفصل الثاني:

تحدثت فيه عن مقاومة المخططات الاستعمارية - الصهيونية.

الفصل الثالث:

تحدثت فيه عن ثورة البراق عام ١٩٢٩

الفصل الرابع:

تحدثت فيه عن انتفاضة عام ١٩٣٣

الفصل الخامس:

تحدثت فيه عن ثورة القسام عام ١٩٣٥

الفصل السادس:

تحدثت فيه عن الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩

أسبابها - أهدافها - عناصرها - مراحلها -

الفصل السابع:

تحدثت فيه عن المرحلة الأولى من ثورة ٣٦-١٩٣٩ وهي مرحلة التخطيط والاضراب العام واشتعال الثورة.

الفصل الثامن:

تحدثت فيه عن المرحلة الثانية من الثورة .. وهي مرحلة الصراع السياسي والجهاد المنظم.

الفصل التاسع:

تحدثت فيه عن المرحلة الثالثة من الثورة، وهي مرحلة تصعيد الثورة، ثم تراجعها وتوقفها.

وفي ختام هذه المقدمة فانني اتقدم بالشكر والثناء الى كل من ساهم برأي او قدم معلومة ساعدت في انجاز هذا الكتاب، واخص بالذكر الأخ الفاضل الاستاذ هاني طايع الذي استفدت من آرائه ومكتبته الخاصة الكثير، كما اقدم شكري سلفا لكل من يضيف أو يصحح معلومة بعد صدور الكتاب، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

عمان فى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

الفصل الاول

مدخل الى القضية الفلسطينية

- كيف نشأت قضية فلسطين؟
- وعد بلفور
- سايكس بيكو
- فرض الانتداب

الفصل الاول

مدخل الى القضية الفلسطينية

كيف نشأت قضية فلسطين؟

عندما قام نابليون بالإعداد لحملته على مصر وبلاد الشام، عقد عدة اجتماعات مع اليهود في فرنسا، تجلت بتمويل اليهود للحملة ودفع نفقاتها، وتأكد الاتفاق والمؤآمرة بين الطرفين عندما أعلن نابليون أمام أسوار عكا في ٤ نيسان عام ١٧٩٩ عن قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وخاطبهم قائلا : يا ورثة فلسطين الشرعيين(١) !!!

ولكن هزيمة نابليون في معارك جبل النار وفشله في اقتحام أسوار عكا كانت السبب الرئيسي في فشل المشروع الصهيوني الفرنسي، واتجهت الحركة الصهيونية الى بريطانيا التي كانت تقود حركة الاستعمار العالمي في القرن الماضي وبداية هذا القرن، وعلى الرغم من الاختلاف بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني في الطبيعة والعمل، فقد ربطت بينهما المصلحة المشتركة برباط وثيق، ووجدت كل منهما في الاخرى وسيلتها لتحقيق غايتها الخاصة، فبريطانيا كانت في عملية اعداد لتوسيع وجودها الاستعماري وتدعيمه في مواجهة حركات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا، والصهيونية كانت تسعى وراء فكرة اقامة دولة تجمع يهود العالم وهي فكرة تبقى في دائرة الحلم والخيال مالم تدعمها قوة استعمارية كبرى وقادرة.

---

(١) الشناوي، د. فهمي: مجلة الدوحة- العدد١١٦، آب ١٩٨٥ ،ص٣٥ والنتشة، رفيق : الاستعمار وفلسطين ص٩٦

وفي عام ١٨٩٧من عقد المؤتمر الصهيوني الاول في (بازل) في سويسرا وتـم وضع قرارات وبدأت محاولات للسيطرة على فلسطين، وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد وقف وقفته المشهورة سنة ١٩٠١م عندما رفض إلعرض الصهيوني المتضمن تأسيس مستعمرات يهودية في فلسطين مقابل عرض مغر، تضمن تقديم المساعدة المالية لتنظيم الاقتصاد العثماني المزعزع، والمشورة الفنية لتنمية موارد الدولة الاقتصادية، وقد رفض السلطان العثماني العرض رفضا باتا، اذ كان قد ادرك ببصيرته الثاقبة ما ينطوي عليه من خطر على ألمسلمين.

وكان اليهود قد حاولوا التسلل والهجرة الى فلسطين من اوروبة الشرقية اثر موجة اضطهاد قامت هناك، فوقفت الخلافة العثمانية في وجه هذا الزحف اليهوي، وكان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) حيث منعت بقانون اصدرته سنة ١٨٨٨م ، الهجرة اليهودية الجماعية الى الاراضي العثمانية، وحددت فترة مكوث اليهود الزائرين لفلسطين بثلاثة اشهر فقط، وقد هدد الصهيونيون السلطان عبد الحميد بانهم سيعملون ضده بكل ما يملكون من قوة جزاء تعنّته، وقد حققوا تهديدهم فقد ضمت الهيئة التي بلغت السلطان عبد الحميد بقرار خلعه عن السلطنة في سنة ١٩٠٩م والتي كانت مؤلفة من اربعة اشخاص بينهم يهودي واخر ارمني، وقد اصغى اليهما السلطان وقلبه يقطر اسى.

ومارس اليهود المقيمون في فلسطين أثناء الحرب العالمية الاولى اعمال تجسس خطيرة انزلت بالعثمانيين كوارث كثيرة، وكان البريطانييون قد شكلوا لواء يهوديا في السنة الاخيرة من الحرب، واوفدوه الى مصر للمساهمة في حرب فلسطين استغلالا لهذه الناحية وتثبيتا لوعد بلفور المشؤوم(٢).

---

(٢) نديم، شكري محمود : حرب فلسطين ١٩١٤-١٩١٨ ،ص١٤-١٥

كانت الحكومة البريطانية قد اوفدت بعثة لمسح فلسطين ، ورسم خرائط لها قبل الحرب باكثر من أربعين سنة (اي في سنة ١٨٧٤م) بحجة التحري عن اماكن المدن القديمة، وكان معظم اعضاء البعثة من الضباط ومن ضمنهم اللورد كتشنر القائد البريطاني المعروف الذي كان برتبة صغيرة آنئذ، وتيسرت للقيادة البريطانية بفضل هذه الجهود تقارير استخبارات كاملة عن طبيعة الارض وعن موقف الأتراك عن طريق شبكة الجاسوسية الصهيونية الدولية ووكلائها من الصهيونيين الاوروبيين الذين سكنوا فلسطين قبل الحرب بسنوات(٣) .

لذلك فان مأساة اغتصاب فلسطين لم تكن نتيجة لقرار التقسيم او لحرب ١٩٤٨م وانما كانت وليدة خطة استعمارية قديمة، وجد الاستعمار البريطاني في الصهيونية وسيلة لتحقيقها.. بل وتجاوز الامر اكثر من هذا الحد الى حلف تآمري اوسع يشمل البلاد العربية وعددا من البلدان الاسيوية والافريقية.

وفي اوائل هذا القرن وبينما كانت سياسة الاستعمار البريطاني تتجه نحو تثبيت الوجود البريطاني في الهند ومصر واجزاء كبيرة من افريقيا، تم حماية الطرق الحيوية المؤدية لهذه المستعمرات، كانت اوضاع جديدة قد بدأت تظهر على المسرح السياسي العالمي نتيجة ظهور قوى استعمارية جديدة . وكانت محاولات جديدة للاستعمار والتنافس قد بدأت في الظهور، لا سيما في الشرق العربي نتيجة دخول الدولة العثمانية دور الانهيار.

وامام هذا الوضع الجديد عرفت بريطانيا الاهمية الاستراتيجية التي تمثلها فلسطين، والدور الكبير الذي يمكن ان تلعبه بحكم موقعها في مستقبل الاستعمار البريطاني، فوضعت هذا في مخططها الاستعماري.. ففلسطين موقع هام لحماية سيناء وقناة السويس.. اخطر مصالح الاستعمار البريطاني في ذلك

(٣) نديم، شكري محمود : حرب فلسطين ١٩١٤-١٩١٨ ،ص١٣٦

الوقت، فهي طريق الهند وافريقيا، ونقطة التقاء القارات الثلاث، ومركز حيوي للسيطرة على السواحل الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط، وسواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي، كما انها قاعدة انطلاق رئيسية لاية مشاريع توسعية مقبلة قد تنشأ في المنطقة.

وكانت الخطة التي وضعها الاستعمار البريطاني ، تركز على ضرورة توطين اكثرية اجنبية غريبة على ارض فلسطين لتشكل عازلا دفاعيا وهجوميا في آن واحد، وبذلك تلاقت مصلحتها مع مصلحة الصهيونية وعملت طوال فترة انتدابها على تهويد فلسطين وتغيير معالمها.

والمعروف ان فلسطين تعرضت منذ القدم للغزو والاحتلال، وخضعت لحكم الكثيرين من الحكام والغزاة ، ولكن لم يتمكن أي غزو أو احتلال من افناء شعبها وتشريده.. غير ان الاستعمار البريطاني (الصديق للعرب!!) والمنتدب من قبل عصبة الامم للاخذ بيد عرب فلسطين نحو الرقي والحكم الذاتي، استطاع خلال ثلاثين عاما ان يصبغ فلسطين بالصبغة اليهودية، وتمكن بمؤامراته وأساليبه الماكرة ان يشرد شعبها بكاملة، وأن يحل محله شعبا غريبا متناقضا استورده من جميع أنحاء العالم باسم اليهودية المضطهدة.

يقول توينبي(٤) : «*اذا كانت الدول الغربية تتحمل قسطا كبيرا من مسؤولية ما حدث في فلسطين، فان بريطانيا المحتلة والمنتدبة تتحمل القسط الاكبر من محنة الحق والانسانية في فلسطين، فقد كان موقفها الشامل لجميع حكوماتها المتعاقبة ولكل أحزابها الحاكمة هو التواطؤ المرسوم مع الصهيونية والتآمر المرير ضد فلسطين، والتعامي الجدير بالإدانة والإتهام*».

---

(٤) توينبي ، دراسة في التاكريخ ، مجلد٨ ، ص٣٠٤ .

ورغم ما تضمنه ميثاق عصبة الامم، وصك الانتداب من ظلم وتنكر للمبادىء الانسانية ولحقوق العرب الطبيعية، والتي كان من واجب بريطانيا على الاقل ان تسير في فلسطين وفق احكام هذا الميثاق والصك الصادر بموجبه، ولكنها لم تعمل باحكامهما، ولم تطبق منهما الا ما يكفل جعل فلسطين يهودية، غير عابئة بحقوق عرب فلسطين فلم تقم باية خطوة عملية لتمنحهم حق الحكم الذاتي، ولم تحقق لهم انشاء اية مؤسسة من مؤسسات هذا الحكم كما تقضي بذلك الفقرة الثالثة من المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الامم، لكنها سارعت منذ الايام الاولى للانتداب الى الاعتراف بالوكالة اليهودية كحكومة داخل حكومة واشركتها في الادارة ، والتشريع ، والمعارف ، بالاضافة لتهجير اليهود من مختلف انحاء العالم الى فلسطين(٥) .

نتيجة لهذه الاجراءات من قبل الحكومة، اصطدمت باغلبية عربية طالبتها بتصحيح اجراءاتها والسير في الطريق الصحيح، ونظرا لعدم اهتمامها بهذه الارادة الشعبية، واجهت المقاومة في كل مجال، فقامت الجمعيات العربية في كل مدينة وقرية، وعقدت المؤتمرات الشعبية، ونظمت العرائض والاحتجاجات والاستنكارات ضد الاحتلال وسياسة التهويد، وبسبب استمرار الحكومة في تجاهلها وتماديها، اندلعت الاضطرابات المسلحة في القدس ويافا، ثم انتقلت الى ثورة مسلحة عمت انحاء فلسطين، عند ذلك تأكد لبريطانيا ان مهمتها ليست سهلة، فعمدت الى اسلوب مخادع ماكر، هو اسلوب اللجان والبيانات مع الاستمرار سرا في تنفيذ مؤامراتها لتهويد فلسطين.

---

(٥) علي، د. فلاح خالد : فلسطين والانتداب البريطاني ،ص٩

وعد بلفور

عقد سنة ١٩٠٧م مؤتمر استعماري في بريطانيا، شارك فيه عدد من مفكري الدول الاوروبية الاستعمارية ، وصدر عنه ما عرف بتقرير (كامبل بانرمان) وكان محور ابحاث هذا المؤتمر دراسة الاخطار التي تهدد مستقبل الاستعمار، ووضع الخطط الكفيلة بدرء هذه الاخطار، وضمان استمرار احتفاظ الدول الاستعمارية بمستعمراتها ..

وتتضمن الوثيقة التي تسمى تقرير لجنة (كامبل بانرمان) التي صدرت عن هذا المؤتمر دراسات وتحليلات، ثم مقترحات وقرارات تتلخص بمايلي: (٦)

١. ان اكبر خطر يهدد بقاء الدول الاستعمارية في مستعمراتها يكمن في حوض البحر الابيض المتوسط حيث يعيش على شواطئه الشرقية والجنوبية شعب واحد له ماض تاريخي مرموق يتكلم لغة واحدة، ويدين كله تقريبا بدين واحد، وتوجد في بلاده امكانيات الرقي والتقدم.

٢. ان هذا الشعب مجزأ الى اقاليم ويجب ان تعمل الدول الاستعمارية بكل الوسائل على استمرار هذه التجزئة وتعميق اسبابها .

٣. يجب ان يقام فاصل بشري غريب في انسب مكان من هذه البلاد ليفصل بين عرب المشرق وعرب المغرب ويقطع الامتداد العربي، وهذا المكان هو (فلسطين) .

في نفس الوقت، كانت الحركة الصهيونية قد تأسست وهي التي كان من برنامجها اقامة دولة يهودية في فلسطين.

---

(٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٣٣ جمادى الاولى ١٤٠٨هـ كانون اول ١٩٨٧ ص٢٦-٢٧

ولا اريد هنا ان اتوسع في تاريخ الحركة الصهيونية وارتباطها بالاستعمار، فمصادر هذه الابحاث كثيرة وموسعة ، ولكني اريد ان أؤكد فقط على الارتباط القوي منذ البداية بين الصهيونية والاستعمار، وقد مر معنا كما ورد في بعض المصادر أن فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين أقدم مما ذكر، وان نابليون بونابرت كان يحمل هذه الفكرة.

وعلى كل حال فمن المعروف انه في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة١٩١٧ صدر الوعد المشهور بوعد بلفور عن وزير خارجية بريطانيا والذي صيغت عباراته بعناية فائقة شارك فيها الدكتور (حاييم وايزمن) نفسه وهو زعيم الحركة الصهيونية في ذلك الوقت، وينص هذا الوعد على مايلي: (٧)

عزيزي اللورد روتشيلد!

«ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، وليكن معلوما انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الان، او بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمركزهم السياسي فيها».

صدر الوعد كما هو واضح خلال الحرب العالمية الاولى وبقي سرا فترة من الزمن وصيغت عبارته بشكل مضلل وهو باختصار خطة متفق عليها بين الاستعمار والصهيونية لصالح الطرفين، وتعهد من بريطانيا لتنفيذ هذه الخطة واقامة دولة لليهود في فلسطين يوم كانت بريطانيا لا تملك فلسطين ولا تملك السيطرة عليها ومهما قيل عن وعد بلفور من انه مجرد وعد، الا انه كان

(٧) ابو لغد ، د. ابراهيم: تهويد فلسطين ، ص٧٦

الاساس الذي قامت عليه الدولة الصهيونية فيما بعد، وان وعد بلفور واقامة دولة صهيونية في فلسطين تقع في اطار الخطط الاستعمارية المرسومة بعناية من اجل تمزيق العالم العربي واضعاف المسلمين، وبالتالي من اجل احتفاظ الدول الاستعمارية بمستعمراتها ونفوذها الاستعماري ومصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية.

وقد صدرت عن المسؤولين البريطانيين فيما بعد عدة تصريحات تؤكد ما سبقه، منها قول ونستون تشرشل سنة ١٩٢٢م وكان وزيرا للمستعمرات في حينه(٨):

«*ان بريطانيا ملزمة بتنفيذ وعد بلفور وليس في وسع العرب منع تنفيذه وليس امامهم الا ان يقبلوا به*» . وسنرى فيما بعد ان حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين قد بذلت جهودا جبارة وقدمت مساعدات فعالة للحركة الصهيونية لانشاء دولة يهودية في فلسطين ومن هنا بدأت المشكلة وما تزال قائمة حتى اليوم.

سايكس بيكو:

لا بد هنا من الاشارة الى معاهدة سايكس بيكو التي عقدت في لندن عام ١٩١٦م قبيل صدور وعد بلفور حيث اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية، وكانت معاهدة سرية اتفقت فيها الدول الثلاث على اقتسام الممتلكات العثمانية فيما بينها بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، ومعظمها بلاد عربية، واتفقت دولتا الاستعمار الكبيرتان فرنسا وبريطانيا على اقتسام الهلال

---

(٨) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف – العدد ٣٣، عام ١٤٠٨هـ ،ص٢٨

الخصيب، ومن المعروف ان هذه المعاهدة فضحت فيما بعد من قبل روسيا بعد قيام الثورة الاشتراكية فيها .

هذه المعاهدة ايضا تؤكد النوايا الاستعمارية وتوضح اساليبها ونظرتها الى الشعوب الضعيفة، فقد اقتسمت الدول الاستعمارية البلاد العربية فيما بينها بموجب معاهدة سايكس بيكو قبل أن تحتلها، واعطت فلسطين للصهيونية قبل ان تصبح فلسطين تحت سيطرتها، كل ذلك يجري دون اي اعتبار لرأي السكان الاصليين اصحاب البلاد ورغباتهم وامانيهم بل ودون علمهم .

وعلى هذا الاساس يمكن ان نفسر مساعدة الانجليز للشريف حسين وللعرب في الثورة ضد الاتراك العثمانيين خلال الحرب العالمية الاولى، لقد كان المستعمرون (وخاصة بريطانيا) يعرفون ان العرب متذمرون من الحكم التركي وخاصة في اواخر ايامه وانهم ينزعون الى الخلاص منه، فاتصلوا بالشريف حسين وشجعوه على الثورة ضد الاتراك ووعدوه وعودا، بالرغم من غموضها، توحي بان بريطانيا ستساعد العرب على الاستقلال والوحدة العربية.

ومهما كانت نوايا العرب ورغباتهم واهدافهم في الثورة على الاتراك، فقد عمل الاستعمار علي جعل هذه الثورة في خدمة المخططات الاستعمارية وحاول جاهدا ان يأخذ موافقة الشريف حسين والامير فيصل بن الحسين على سياسة اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وما لا شك فيه ان قيام الثورة العربية ضد الدولة العثمانية قد ساعد الحلفاء مساعدة كبيرة على احتلال فلسطين وجميع سوريا الكبرى والعراق[٩] وبعد انتهاء الحرب تجاهل المستعمرون وعودهم وعهودهم للشريف حسين الذي اخفوا عنه معاهدة ساكيس بيكو، وتناسوا ما كان العرب قد بذلوه لمساعدتهم طيلة الحرب[١٠] .

---

(٩) مذكرات بهجت ابو غربية:مجلة القدس الشريف-العدد٣٣،عام ١٤٠٨هـ ،ص٢٨ ، ٢٩

(١٠) نديم ، شكري محمود: حرب فلسطين ١٩١٤-١٩١٨ ، ص١٦

فرض الانتداب:

في اواخر ايام الحرب كان الجنرال (اللنبي) قد وطد العزم على تنفيذ رغبة رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) بالاستيلاء على القدس قبل عيد الميلاد وتقديمها هدية للشعب البريطاني لرفع معنويات مواطنيه الذين انهكهم اربع سنوات طوال من الحرب، وفي يوم ١١ كانون اول ١٩١٧م دخل الجنرال (اللنبي) القدس بمراسيم احتفالية ترافقه مفارز فرنسية وايطالية ويهودية من القطاعات الملحقة به.

وبعد الاحتلال نشطت بريطانيا وفرنسا في اعطاء احتلالها لفلسطين وشرق الاردن والعراق بالنسبة لبريطانيا وسورية ولبنان بالنسبة لفرنسا الصبغة الشرعية والقانونية من الناحية الدولية ونتيجة لهذه المساعي فقد قررت عصبة الامم سنة ١٩٢٢ فرض الانتداب على هذه البلاد وتضمنت المادة الثانية من صك الانتداب البريطاني على فلسطين ان على الدولة المنتدبة «ان تضع فلسطين في اوضاع سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي» وبذلك اصبح وعد بلفور متضمنا ومعززا بصك الانتداب، وليس بموافقة بريطانيا فقط بل بقرار من اكثر من عشرين دولة، وبالرغم من ان الولايات المتحدة لم تكن عضوا في عصبة الأمم فقد اعلنت موافقتها هي الاخرى على صك الانتداب على فلسطين.

ونصت المادة الرابعة من صك الانتداب على فلسطين على (الاعتراف بوكالة يهودية تشير على حكومة الانتداب، وتتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك، مما يؤثر على إنشاء الوطن القومي اليهودي) ولا عجب بعد هذا ان اصبحت الوكالة اليهودية بعد فترة قصيرة من الانتداب حكومة داخل حكومة.

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد قضى الفرنسيون على حكم الملك فيصل في دمشق وشتتوا بذلك الرعيل الاول من قادة بلاد الشام الذين كانوا ملتفين حول الملك فيصل، وتم تعيين الامير عبد الله بن الحسين اميرا على شرقي الاردن، وبذلك تمزقت بلاد المشرق العربي، الى اقاليم معزولة عن بعضها البعض، ولهذا كان على عرب فلسطين ان يواجهوا المؤامرات والمخططات الاستعمارية الصهيونية المدبرة لفلسطين لوحدهم تقريبا، وعملت بريطانيا باستمرار كل ما تستطيع لعزل فلسطين عن امتدادها العربي لتمهد للصهيونية ولتساعدها على انشاء الدولة اليهودية(١١).

ولكي يكون مجرى الاحداث واضحا لا بد ان نذكر بايجاز شكل الحكم ايام الانتداب البريطاني على فلسطين، فمنذ الاحتلال قام حكم عسكري برئاسة ضباط بريطانيين، كان كل منهم يمارس صلاحيات حاكم عسكري في منطقته، وبذلك اصبحت كل مدينة وقضائها منطقة ادارية عسكرية منفصلة عن الاخرى، ويرتبط الحكام العسكريون مباشرة بالقيادة العامة للجيش البريطاني وقد ظل الحكم العسكري قائما حتى سنة ١٩٢٢.

بالرغم من ان بريطانيا كانت قد عينت السير (هربرت صموئيل) -وهو يهودي بريطاني- مندوبا ساميا على فلسطين وشرقي الاردن سنة ١٩٢٠، وكان لتعيين هذا اليهودي مندوبا ساميا مدلول واضح على اصرار بريطانيا على سياسة اقامة الوطن القومي اليهودي ومن التصريحات التي صدرت عن (هربرت صموئيل) سنة ١٩١٩ حين كان مستشارا للحكومة البريطانية في الشؤون الفلسطينية قوله (في الوقت المناسب يجب ان تصبح فلسطين كومون ويلث) «دولة» ذات حكم ذاتي تحت رعاية اكثرية يهودية قائمة).

---

(١١) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف - العدد ٣٣،عام ١٤٠٨هـ ،ص٢٩

وبعد انتهاء الحكم العسكري سنة ١٩٢٢م اقيمت ادارة مدنية برئاسة المندوب السامي يساعده في حكم فلسطين مجلس يسمى (المجلس التنفيذي) يتألف من السكرتير العام ومن جميع رؤساء الدوائر وكلهم من الانجليز، وبذلك يكون السكرتير العام بمثابة رئيس وزارة والمجلس التنفيذي وزارة، وقسمت فلسطين اداريا الى الوية، وقسم اللواء الى اقضية، وكان يحكم كل لواء (حاكم لواء) انجليزي، ويحكم كل قضاء (مساعدة حاكم لواء) انجليزي ايضا.

وكانت قيادة البوليس انجليزية محضة اي ان جميع ضباطها كانوا انجليز وفي كل لواء (مدير بوليس) انجليزي وفي كل قضاء (مساعد مدير بوليس) وكلهم انجليز بالاضافة الى هذا الكادر الرئيسي كان هناك جيش من كبار الموظفين البريطانيين في مختلف الدوائر بالاضافة الى رؤسائها وعدد غير قليل من الضباط وصف الضباط والافراد من رجال البوليس البريطاني.

ولم يكن هناك موظفون إداريون عرب اعلى من مرتبة (قائمقام) اي مساعد لمساعد حاكم اللوا، ومن ناحية البوليس لم يكن في القيادة العامة اي ضابط عربي، ولم يكن هناك إي مدير بوليس او مساعد مدير بوليس عربي، وكان محرما على غير ضباط البوليس الانجليز حمل رتبة اعلى من رتبة رئيس (ثلاث نجوم) بالاضافة الى كل ذلك كانت هناك باستمرار حاميات من الجيش البريطاني النظامي ترابط هنا وهناك لمساندة الحكم عند اللزوم (١٢) .

يتبين مما ذكر ان شكل واسلوب حكم (الانتداب) لم يكن مختلفا في شيء عن حكم المستعمرات البريطانية سوى ان القبضة البريطانية في فلسطين كانت اشد من اجل ضمان اقامة الوطن القومي اليهودي والدولة اليهودية.

---

(١٢) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف- العدد ٣٣، عام ١٤٠٨هـ ،ص.٣٠

الفصل الثاني

مقاومة المخططات الاستعمارية - الصهيونية

- الحركة الوطنية الفلسطينية
- الجمعيات الاسلامية - المسيحية
- المؤتمرات السياسية
- الوفود الفلسطينية
- الكفاح الشعبي

الفصل الثاني

مقاومة المخططات الاستعمارية-الصهيونية

لقد تنبه أبناء فلسطين الى خطر الحركة الصهيونية ايام الحكم العثماني ، فمنذ سنة ١٨٨٢ بدأت الموجة الاولى من الهجرة اليهودية الى فلسطين حين كان عدد اليهود في فلسطين (٢٤٠٠٠) يهودي فقط ، ولم تقابل هذه الموجة بالمعارضة الا بعد ان اخذت فيما بعد الطابع الاستيطاني الزراعي متأثرة بالافكار الصهيونية ، وبدأ الاحتكاك في الريف ثم تحول الى صدام عنيف عندما بدأ المستوطنون الجدد باجلاء الفلاحين عن الاراضي التي اشتروها من الملاك الاقطاعيين اللبنانيين والسوريين ، وجرت اول الاصطدامات سنة ١٨٨٦ عندما قام الفلاحون المطرودون من الخضيرة وملبس (بتاح تكفا) بمهاجمة هاتين المستعمرتين، مما دفع الحكومة العثمانية سنة ١٨٨٧ الى فرض قيود على الهجرة الصهيونية، وتكرر الهجوم على مستعمرات يهودية اخرى لنفس الاسباب سنة ١٨٩٢ وصدرت قرارات جديدة من الحكومة العثمانية للحد من الهجرة اليهودية لم تلبث ان الغيت تحت ضغط اوروبي.

وامتد العداء للصهيونية الى المهنيين والتجار، ثم شمل قطاعات اخرى واخذت المقاومة تشتد بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ وشهد عام ١٩٠١ حملة احتجاجات واسعة من العرائض الجماعية ضد شراء اليهود للأراضي الزراعية ، خصوصاً عندما قامت الجمعيات الصهيونية بشراء مساحة واسعة من الارض من عائلة سرسق اللبنانية بالقرب من طبريا ، وقد نجح العرب بالفعل في استصدار قرارات من الباب العالي العثماني بالغاء بعض الصفقات.

وفي سنة ١٩٠٣ بدأت موجة الهجرة اليهودية الثانية الى فلسطين وفي

سنة ١٩٠٧ انشيء اول (كيبوتس) يهودي يقوم على العمل اليهودي الزراعي الجماعي، ووقع اصطدام بين العرب والصهاينة في يافا سنة ١٩٠٨ سقط فيه قتلى وجرحى، واتسعت المقاومة للصهيونية واصبح السياسيون والمثقفون والصحفيون يبدون اهتماما متزايدا بموضوع الهجرة واستملاك الاراضي واستمرت مظاهر وفعاليات المقاومة للصهيونية حتى صدور وعد بلفور واحتلال بريطانيا لفلسطين وبالرغم من ذلك بلغ عدد اليهود في فلسطين في نهاية الحكم العثماني سنة ١٨٧٩ احوالي (٥٦) الف(١) .

وبالرغم من عمليات التستر والتمويه التي لجأت اليها الحكومة البريطانية لاخفاء حقيقة نواياها ومخططاتها بالنسبة لفلسطين، فقد اعلن شعب فلسطين منذ البداية رفضه للاحتلال البريطاني ورفضه لوعد بلفور والهجرة اليهودية وطالب بالاستقلال. وقد عبر عن ذلك بوسائل متعددة منها تشكيل المنظمات الشعبية ، وعقد المؤتمرات الوطنية والقيام بالمظاهرات والاضرابات والنشاط الصحفي وإرسال الوفود الى بريطانيا .

الحركة الوطنية الفلسطينية:

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى تبيّن لاهل فلسطين وللعرب ان بريطانيا خانتهم وغدرت بهم، ونكثت بعهودها التي قطعتها للشريف حسين، وانها كانت قد اصدرت تصريح بلفور وتعهدت فيه بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، كما تبين للعرب ان الحكومة البريطانية عازمة على البقاء في فلسطين (بعد اقتطاعها عن سورية) وانها ترفض طلب العرب باستقلالها ضمن الوحدة السورية، فهب الفلسطينيون يقاومون الحكم البريطاني وتصريح بلفور ويطالبون بحقوقهم وإستقلالهم وصيانة عروبة بلادهم، ونتيجة لهذا الموقف

(١) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف- العدد ٣٣ ، عام ١٤٠٨هـ ،ص٣١

الفلسطيني نشأت الحركة الوطنية الفلسطينية في مطلع عام ١٩١٩ وتم تشكيل الجمعية الاسلامية - المسيحية لتمثيل العرب وقيادة حركتهم الوطنية.

والى جانب هذه الجمعية برزت كتلة من الشباب واخذت تعمل بنشاط وحماس في الحقل الوطني، متآزرة مع الشيوخ من اعضاء الجمعية الاسلامية - المسيحية والواقع ان هذه الكتلة من الشباب كانت نواة الكفاح الفلسطيني واللبنة الاولى في بنيانه، وكان من هؤلاء الشباب : امين الحسيني ، واسحاق درويش، وكامل البديري، وجميل الشهابي، وابراهيم درويش وسعد الدين الخطيب ، وعبد اللطيف الحسيني، وسعد الدين عبد اللطيف، ومنيف الحسيني(٢)، وقامت مجموعة الشباب بتأسيس النادي العربي في القدس سنة ١٩١٨ للعمل في الحركة الوطنية وكانت تتلخص اهداف النادي في هدفين هما: الوحدة مع سورية، ومكافحة الصهيونية.

وقامت الحركة الوطنية الفلسطينية بتكوين تنظيمات سياسية قامت بعقد عدد من المؤتمرات الهامة من اجل القضية الفلسطينية وكانت الحركة الوطنية منذ بداية الحكم المدني سنة ١٩٢٠ متمثلة رسميا في اللجان التنفيذية (المتعاقبة) والمنتخبة في المؤتمرات الوطنية وكان رئيس اللجان التنفيذية كلها بالاجماع موسي كاظم الحسيني، فلقد كان اهل فلسطين جميعا يعتبرونه شيخ القضية الفلسطينية وكبير رجالاتها.

الجمعيات الاسلامية - المسيحية:

كان مولد الجمعيات الاسلامية - المسيحية بوحي من الحركة الوطنية تجاه الوحدة العربية والاستقلال، فقد كان اهل فلسطين يطمحون ان تتبع بلدهم (سورية الجنوبية) الدولة المنشودة في دمشق.

(٢) الغوري ، إميل: فلسطين عبر ستين عاما ، ص٣٧

وكانت هذه الجمعيات اول مظهر للوعي السياسي المنظم في فلسطين اثر الاحتلال العسكري، فقد تم تشكيلها عام ١٩١٨ في جميع انحاء فلسطين بعد ان بلغ اهل فلسطين نبأ وعد بلفور وقد شكلت وفقا لقانون الجمعيات العثماني الذي كان ساري المفعول ، واعترفت بها السلطات البريطانية كجمعيات ممثلة لسكان البلاد . وقد انتشرت في جميع المدن، وكانت تضم المسلمين والمسيحيين. وجاء اختيار هذه التسمية لعدة اسباب منها: ان بريطانيا كانت تدعي ان مقاومة الشعب لاحتلالها ، كان لاسباب دينية اسلامية فقط ، ومنها ايضا ان حكومة الانتداب حاولت ان تشق الصف العربي ، الى مسلم ومسيحي بشتى الوسائل لاضعاف المقاومة من جهة ولتحقيق صورة للمجتمع الفلسطيني في نص وعد بلفور في عبارة (*بشرط ان لا يؤثر ذلك على مصالح الطوائف الاخرى*) .

وتأسست اول جمعية في يافا برئاسة الحاج راغب ابو السعود الدجاني عام ١٩١٨ وتبعها تأسيس جمعية في القدس من السادة موسى كاظم الحسيني (رئيس البلدية) ومجموعة من اعيان القدس وزعماء القرى ، ثم تبعها تأسيس جمعيات في المدن الفلسطينية الاخرى.

وكانت هذه الجمعيات تمثل الشعب الفلسطيني، وتسعى للاستقلال والاتحاد العربي، والدفاع عن حقوق العرب واماكنهم المقدسة من الوجهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبذل الجهود لسلامة العرب بطرق سلمية مشروعة، والعمل على انهاض العرب من وجهة معنوية ومادية(٣).

المؤتمرات السياسية:

قامت الحركة الوطنية بعقد عدد من الاجتماعات والمؤتمرات السياسية من اجل القضية الفلسطينية، وابتدأ عقد المؤتمرات سنة ١٩١٩ وكانت تضم عددا كبيرا من الشخصيات ذات النفوذ الديني والاجتماعي والعشائري والمالي، من المسلمين والمسيحيين، وقد تكرر عقد المؤمرات بالشكل التالي:

---

(٣) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٨١

١٠ المؤتمر العربي الفلسطيني الاول:

عقد المؤتمر الاول في القدس في شهر شباط سنة ١٩١٩ وحضره سبعة وعشرون مندوبا يمثلون جميع المناطق والمدن الفلسطينية ٠

وقد صدر عن المؤتمر مذكرتان هامتنا الى مؤتمر السلم، تم فيهما دحض مزاعم اليهود وادعاءاتهم ورفض وعد بلفور، كما ارسلت نسخ منها الى ممثلي دول الحلفاء في القدس٠

٢٠ المؤتمر السوري العام:

عقد في دمشق في شهر حزيران سنة ١٩١٩ وتم فيه تمثيل جميع البلدان السورية، افتتح المؤتمر الامير فيصل رسميا في دار النادي العربي في ٧حزيران واتخذ المؤتمر قرارت هامة قدمها الى اللجنة الامريكية وكان اهمها:

* الاعتراف باستقلال سورية ومن ضمنها فلسطين دون حماية او وصاية٠
* المطالبة بحكومة ملكية مدنية نيابية، وان ينصب الامير فيصل ملكا عليها٠
* رفض الوصاية السياسية
* الغاء اتفاقية سايكس - بيكو ووعد بلفور واي مشروع لتقسيم سورية او انشاء دولة يهودية في فلسطين (٣).

٣٠ المؤتمر العربي الفلسطيني الثاني:

كان من المقرر عقده في شهر ايار سنة ١٩٢٠ حيث تنادت الجمعيات والاندية السياسية الى عقد مؤتمر عام في القدس للبحث في قرار سان ريمو، والمطالبة بالاستقلال، ورفض الهجرة اليهودية وانشاء الوطن القومي اليهودي، ولكن ما ان بدأ الموفدون في الوصول الى القدس حتى قامت السلطة بمنع عقد المؤتمر بالقوة٠

---

(٤) زعيتر، اكرم : اوراق خاصة ، محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٠٠ المجموعة الثانية ، الوثيقة رقم (١٣)٠

٤. المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث:

عقد في حيفا في شهر كانون الاول ١٩٢٠ وتم انتخاب لجنة تنفيذية للمؤتمر وللمؤتمرات التالية، ورفع المؤتمر مذكرة الى المندوب السامي طالب فيه دولة بريطانيا العظمى بذل المبادرة الى تأليف حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي، ينتخب اعضاءه الشعب المتكلم باللغة العربية القاطن في فلسطين حتى اول الحرب، كما اعربت المذكرة عن عدم رضاء المؤتمرعن شكل الادارة الحالية لانها مخالفة لرغائبه وحقوقه.

٥. المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع:

عقد في القدس في شهر ايار سنة ١٩٢١.

٦. المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس:

عقد في نابلس في شهر آب سنة ١٩٢١.

٧. المؤتمر العربي الفلسطيني السادس:

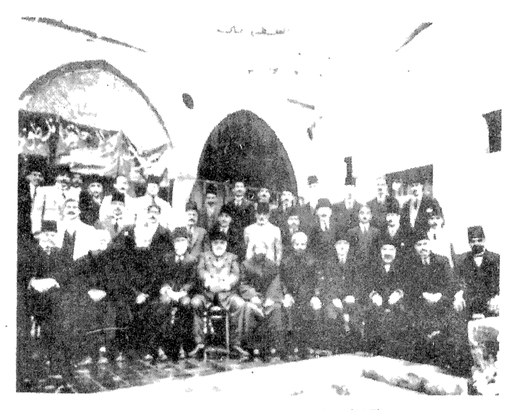
عقد في يافا في شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٥

٨. المؤتمر العربي الفلسطيني السابع:

عقد في القدس في شهر حزيران سنة ١٩٢٨.

٩. المؤتمر الاسلامي :

دعا الحاج امين الحسني الى عقد مؤتمر اسلامي في القدس فعقد في اول تشرين الثاني ١٩٢٨ وحضره سبعمائة من جميع انحاء فلسطين واشتركت فيه



هيئة المؤتمر الفلسطيني الثالث المنعقد في حيفا

(منقولة من كتاب « قبل الشتات » تاليف الدكتور وليد الخالدي)

Palestinian Political Organization

82 The Third Palestinian National Congress, Haifa, 14 December 1920. Delegates to the congress represented the main cities and districts of Palestine. Seven congresses were held between 1919 and 1928 (photographs of the First and Seventh Congresses are unavailable, and the British prevented the convening of the Second Congress, scheduled for May 1920; see 68). At the Third Congress it was decided to form an Executive Committee to conduct business between congresses. Musa Kazim Pasha al-Husseini (see 78) was chosen chairman of the committee and president of the congresses, posts he held until his death. These congresses, forerunners of the Palestinian National Congress (PNC) held under the aegis of the Palestine Liberation Organization (PLO) since 1964, reflect early Palestinian attempts at political organization. They passed resolutions expressing fear of Zionist objectives and affirming Palestinian demands for proportional representation and national independence. From right to left, the banner in Arabic reads: «Palestine is the cradle of Jesus»; «Preserve al-Aqsa Mosque»; «Palestine is Arab». Third right, last row, is the future Palestinian leader Haj Amin al-Husseini (see 88, 100, 202, 290) a few months before he became mufti (interpreter of religious law) of Jerusalem in May 1921.

المؤتمر الفلسطيني الخامس في نابلس

(منقولة من كتاب « قبل الشتات » تأليف الدكتور وليد الخالدي)

وفود من سورية ولبنان وشرق الاردن وانتخب المؤتمر الحاج امين رئيسا له، وانتخب وفدا من اثني عشر عضوا لمقابلة المندوب السامي ومطالبة الحكومة بحفظ حقوق المسلمين بالبراق، واتخذ المؤتمر مقررات هامة بالاجماع، منها: الاحتجاج الشديد على اعتداء اليهود على البراق، واستنكار كل محاولة ترمي الى احداث حق لليهود في مكان البراق، ومنع اليهود منعا باتا من وضع اية اداة من ادوات الجلوس والانارة والعبادة والقراءة والقاء تبعة ما قد ينتج من اقدام المسلمين على الدفاع عن البراق بانفسهم على الحكومة، ومنها اقصاء المستر (بنتويتش) الزعيم الصهيوني الوقح بارائه واعماله ومؤلفاته(٥) والذي كان يحتل مركزا خطيرا هو مركز النائب العام.

وكانت جميع هذه المؤتمرات تؤكد على رفض الانتداب ورفض وعد بلفور والمطالبة بوقف استملاك الاراضي ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين والمطالبة بالاستقلال.

الوفود الفلسطينية:

ارسلت القيادة الفلسطينية عدة وفود الى بريطانيا لشرح وجهة نظر العرب للحكومة البريطانية وللرأي العام البريطاني ولاعلان رفض العرب لوعد بلفور والمطالبة بوقف الهجرة الصهيونية وانتقال الاراضي لليهود واقامة حكومة وطنية مستقلة.

وخلال فترة قصيرة سافرت الى لندن اربعة وفود فلسطينية، ففي سنة ١٩٢١ سافر الوفد الاول، وتلاه الوفد الثاني سنة ١٩٢٢ والثالث سنة ١٩٢٣ والرابع سنة ١٩٣٠ ولكن لم تؤت هذه الوفود اية فائدة او اي تغيير او تعديل في سياسة بريطانيا نحو فلسطين.

---

(٥) جريدة الجامعة العربية - القدس ، العدد ١٢،١٨١ تشرين الثاني ١٩٢٨

الكفاح الشعبي:

لم يكتف شعب فلسطين بالكفاح السياسي، وانما قامت في فلسطين عدة تحركات شعبية عنيفة، ففي شهر نيسان ١٩٢٠ قامت اضطرابات في القدس اثناء الاحتفال بموسم زيارة النبي موسى استمرت بضعة ايام اسفرت عن سقوط ٩ قتلى و٢٥٠ جريحا من اليهود و٤ شهداء و٢١ جريحا من العرب وعلى اثرها منعت السلطات عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني وتنحى موسى كاظم باشا الحسيني عن رئاسة بلدية القدس وشكلت لجنة تحقيق لمعرفة اسباب الاضطرابات.

وفي شهر ايار سنة ١٩٢١ قامت اضطرابات في مدينة يافا ومنطقتها استمرت ١٥ يوما حيث قام اليهود بمظاهرات اتجهوا فيها الى حي المنشية بيافا فاصطدم معهم العرب ثم اتسعت الاضطرابات فعمت جميع قضاء يافا وشنت هجمات على المستعمرات اليهودية (ملبس، الخضيرة، ديران، تل حي) وتدخل الانجليز الى جانب اليهود واعتقلوا الشيخ شاكر ابي كشك واحرقوا بيته كما هاجموا مضارب قبيلة ابي كشك وخربوها، ثم فرضت السلطة غرامات مالية على كل من قلقيلية وطولكرم وقاقون ووادي الحوارث وكفر سابا وعرب ابي كشك، وقد اسفرت هذه الاضطرابات عن وقوع ٩٥ شهيدا و٤٨ جريحا من العرب و٤٧ قتيلا و٢١٩ جريحا من اليهود وعلى اثر ذلك شكلت لجنة تحقيق عرفت باسم لجنة (هيكرافت) وهو رئيسها وكان قاضي قضاة فلسطين وجاء في تقريرها ان السبب الرئيسي للاضطرابات هو مخاوف العرب الحقيقة من ازدياد الهجرة الصهيونية الجماعية، ونشير هنا ان عدد المهاجرين الذين سمحت لهم سلطات الانتداب بالهجرة الى فلسطين سنة ١٩٢٠ كان (١٦٥٠٠) مهاجر.

وفي شهر اذار سنة ١٩٢٥ جرى في فلسطين اضراب عام احتجاجا على زيارة (اللورد بلفور) صاحب الوعد المشؤوم لمدينة القدس والذي حضر للمشاركة

في إنشاء الجامعة العبرية التي تعتبرها الصهيونية ركنا أساسياً في دعم الكيان اليهودي في فلسطين (٦)

ثم توالت الاحداث واستمر جهاد شعب فلسطين ضد الانجليز وهذا ما سأكتب عنه بشيء من التفصيل في الفصول القادمة إن شاء الله.

---

(٦) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف- العدد ٣٤ ، عام ١٤٠٨هـ ،ص٣٤

الفصل الثالث

ثورة البراق عام ١٩٢٩

- الاسباب العامة للثورة
- قضية البراق
- المؤتمر الاسلامي ١٩٢٨
- السبب المباشر للثورة
- معركة القدس
- معركة الخليل
- معركة صفد
- موقف المندوب السامي البريطاني
- الابطال الثلاثة (حجازي، والزير، وجمجوم)
- لجنة (شو) للتحقيق
- نتائج الثورة

الفصل الثالث

ثورة البراق عام ١٩٢٩

الاسباب العامة للثورة:

كان الجو العام لدى الشعب الفلسطيني مهيأ للثورة لعدة اسباب اهمها:

اولا - تشريعات ومخططات حكومة الانتداب

فقد بذلت حكومة الانتداب قصارى جهدها لتهيئة البلاد للوطن القومي اليهودي، ولم تدخر جهدا لتيسير مهمة الجمعية الصهيونية ومن بعدها الوكالة اليهودية في بناء المستعمرات لاستيعاب المهاجرين اليهود، وفي تسليحهم وفي العمل على تطوير الاجهزة والمؤسسات الصهيونية المختلفة، بما يجعلها مؤهلة لحكم البلاد، حتى اصبحت الجمعية الصهيونية والوكالة اليهودية بمثابة حكومة داخل حكومة، تراقب وتتابع حكومة الانتداب، وتشرف على كافة شؤون المستوطنين اليهود[1] بل واصبحت استشارتها واجبة واتباع توصياتها امرا لازما.

ثانيا - ازدياد الهجرة اليهودية .

فلقد جاءت تشريعات حكومة الانتداب لتسهل تدفق المزيد من المهاجرين اليهود الى فلسطين حتى فاق عدد من دخل منهم الى فلسطين منذ الاحتلال البريطاني وحتى بداية عام ١٩٢٩ مئة الف مهاجر، عدا الالاف الكثيرة الاخرى من المتسللين.

---

(١) ياسين ، عبد القادر : كفاح الشعب الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨،ص٩١

ثالثا - انتقال الاراضي الى اليهود.

اقترنت الهجرة اليهودية الى فلسطين باتساع رقعة الاراضي التي انتزعت من الفلاحين العرب وتم طردهم منها وحرمانهم من العمل فيها، وكانت مساحة ما منحته حكومة الانتداب للشركات الصهيونية ٨٢ الف دونم من الاراضي الاميرية علاوة على ما قدمته الحكومة للشركات الاحتكارية الصهيونية ومنها ٧٥ الف دونم لشركة البوتاس، ١٨ الف دونم لشركة كهرباء (روتنبرغ)، كما نقلت سلطات الانتداب امتياز تجفيف سهول الحولة الى الشركات الصهيونية وتبلغ مساحة هذه السهول نحو ثلث الاراضي الخصبة في فلسطين(٢) واعتبرت هذه الاراضي وقفا على اليهود، ملكية واستئجارا واستثمارا فلا يحق لغير اليهود استئجارها او استثمارها او حتى العمل فيها بأجرة.

رابعا - احتكار الصناعة :

احتكرت المؤسسات الصهيونية القسم الاعظم من جوانب النشاط الصناعي والتجاري، ونعم اليهود بالمؤازرة الحكومية ورؤوس الاموال الضخمة وبالخبرة الفنية العالمية وهي عوامل هامة افتقرت اليها الصناعة العربية في فلسطين، كما ان الحكومة منحت اليهود امتيازين احتكاريين لاكبر موردين للصناعة في فلسطين مشروع روتنبرغ للكهرباء ومشروع املاح البحر الميت، وفي سنة ١٩٢٠ انشيء الهستدروت وهو الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين، وهذا الاتحاد كان يحرم على غير اليهود العمل في المؤسسات الصناعية اليهودية في فلسطين، فلم يسمح للعمال العرب بان يعملوا في المصانع اليهودية.

---

(٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ص٦١٤

خامسا - نواة الجيش اليهودي

تجاهلت حكومة الانتداب قيام نواة للجيش اليهودي (الهاغاناة) في اوائل الانتداب، بل شجعته بطرق مباشرة وغير مباشرة.

فكانت هذه الاسباب من العوامل الهامة التي سببت نقمة الجماهير العربية وثورتها.

قضية البراق:

البراق مكان صغير من الحائط الغربي للحرم الشريف في بيت المقدس، وقد سمي بالبراق نسبة الى البراق الذي امتطاه النبي - صلى الله عليه وسلم- ليلة الاسراء وليست بقعة الحرم هي وحدها المقدسة، فالبراق له مكانة خاصة من التقديس واما ما يحيط بالبراق من الجهات الخارجية فهو وقف اسلامي لا نزاع فيه منذ خمسمائة سنة دون انقطاع، والحرم الشريف نفسه ملك المسلمين منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن، هذا يعني ان الابنية التي بداخل الحرم ومنها الجدران المحيطة، كل ذلك اثار اسلامية.

يعرف البراق عند اليهود بالحائط الغربي (فوتال مارافي) وعند المسيحيين الغربيين(حائط المبكى) وليس من شك في ان النزاع عليه بين العرب واليهود يعود الى اسباب تاريخية اخذ اليهود في استغلالها منذ بداية الانتداب استغلالا محضا لمآربهم السياسية.

واليهود يقولون انه في الزمن القديم قام في المكان نفسه ثلاثة هياكل يهودية متعاقبة، كما انه يعتقد ان المداميك السفلية الثلاثة في الحائط الغربي هي البقية الباقية من الهيكل الاخير الذي بناه هيرودس - وهدمه الرومان، وقد اعتاد اليهود على الذهاب والبكاء عند الحائط، وهم في بكائهم انما يبكون خراب

هيكل سليمان، ذلك الهيكل الذي لم تعد له بقية باقية لا في الحائط الغربي، ولا في اي مكان[٣].

لم يعارض المسلمون زيارة اليهود للحائط الغربي، وقد نشأت عادة الزيارة تلك بفضل التسامح الاسلامي، واستمرت طويلا الا ان اليهود اخذوا بعد الاحتلال البريطاني يحاولون تحويل هذه العادة الى حق مكتسب ثم الى حق الملكية، واول محاولة لهم كانت سنة ١٩٢١، فقد ارسلت اللجنة الصهيونية الى (ستورز) حاكم القدس رسالة احتجاج على اصلاحات المفتي في الحائط بدون اذن من اليهود.

وتطورت زيارة اليهود للحائط في اواسط العشرينات الى نصب المقاعد والطاولات امام الحائط، وجلب الكراسي والمصابيح وتابوت العهد وكتب التوراة، وفي يوم الاحد ٢٣ سبتمبر١٩٢٨ فوجيء الناس باليهود وهم ينصبون ستارا على حائط المبكى، للفصل بين الرجال والنساء، وكان معنى هذا الفصل ان يتحول حائط المبكى، وهو الحائط الغربي من الحرم الشريف ومن ممتلكات المسلمين المقدسة، الى كنيس يهودي، واشارت السلطات البريطانية الى اليهود بان ينزلوا الستار (تطبيقا لنص المواد ١٣و١٤ من صك الانتداب لفلسطين)، الا انهم لم يستجيبوا للامر، وفي اليوم التالي نزع البوليس البريطاني الستارة بالقوة. فقام اليهود بمظاهرة كبرى عدائية احتجاجا على اقدام الحكومة على رفع الحاجز الخشبي، وهجموا فيها على دائرة البوليس، وقد كان باستطاعة قوة

(٣) الحوت ، بيان نويهض : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٢١٨ - ومصدر هذه المعلومات هو : مركزر الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية ، وثائق محفوظة ، الملف رقم ب/١٧، ١٩٢٩-١٩٣٠ ، رسالة من رئيس المجلس الاسلامي الاعلى محمد امين الحسيني الى جريدة التيمس في لندن ، بعنوان (بيان في موقف المسلمين) القدس ، مطبعة بيت المقدس ٢١ ايلول ١٩٢٩ ، ص٦-٧.

البوليس ان تفرق المظاهرة، ولكنها لم تفعل ونتيجة لتلك المظاهرة قرر اليهود ان يطلبوا من الحكومة رسميا ان تعمل على تسليمهم حائط المبكى وتعترف لهم بملكيته[٤].

وساد المسلمين شعور من الغضب والخوف لما وقع عند الحائط من اعتداءات يهودية متكررة، واخافهم ما شاهدوه من نوايا اليهود المبيتة لامتلاك الاماكن المقدسة الاسلامية، وعقدوا اجتماعا عاما في المسجد الاقصى، وبعد الاجتماع طلبت لجنة الدفاع عن البراق الشريف من حاكم القدس حق التظاهر وكان الجواب هو الرفض، فاخذت المدن في الهياج واشتد نشاط جمعيات الشبان المسلمين في المدن الفلسطينية، وتوالت الرسائل الرسمية من المجلس الاسلامي الاعلى كما توالت المطالب الشعبية بعقد مؤتمر اسلامي عام، وتولت مهام عقده رسميا لجنة الدفاع عن البراق الشريف.

وكانت اهم الرسائل الموجهة الى الحكومة، المذكرة التي رفعها الحاج امين الحسيني في ٨ اكتوبر الى القائم باعمال الحكومة، والتي اوضح فيها ان المسلمين يعرفون ما تنطوي عليه صدور اليهود من المطامع التي لا حد لها في هذا الموضوع، وان غايتهم هي امتلاك المسجد الاقصى تدريجيا بزعم انه (الهيكل) مبتدئين بالجدار الغربي منه وهو قطعة لا تنفصل من المسجد الاقصى ولفت نظر الحكومة الى قوة الشعور الديني في البلاد، وذلك لكي تنصح اليهود بتوقيف هذه الدعاية العدائية التي يتولد منها بطبيعة الحال قيام دعاية اسلامية تقابلها في العالم الاسلامي بكامله تلقي مسؤوليتها على اليهود، واكد الحاج امين ان المسلمين مصممون تصميما نهائيا على ان يقفوا سدا منيعا حائلا دون كل طامع في مسجدهم بجميع جدرانه، او في اوقافهم واماكنهم المقدسة، وانهم لن يتقهقروا خطوة واحدة امام اي عدوان[٥].

---

(٤) جريدة الجامعة العربية ، العدد ١٦٩، ١ تشرين الاول(اكتوبر) ١٩٢٨.

(٥) خلة، كامل محمود : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩ ، ص٢٨٣

المؤتمر الاسلامي ١٩٢٨:

دعا المفتي الى عقد مؤتمر اسلامي في القدس، فعقد في أول تشرين الثاني ١٩٢٨ وحضره سبعمائة من جميع انحاء فلسطين واشتركت فيه وفود من سورية ولبنان وشرق الاردن، وانتخب المؤتمر الحاج امين رئيسا له، وانتخب وفدا من اثني عشر عضوا لمقابلة المندوب السامي ومطالبة الحكومة بحفظ حقوق المسلمين بالبراق.

واتخذ المؤتمر مقررات هامة بالاجماع منها (الاحتجاج الشديد على اعتداء اليهود باسم مسلمي العالم للحكومة البريطانية وجمعية الامم والدول الاجنبية والرأي العام الشرقي والغربي)[٦]. ومنها استنكار كل محاولة ترمي الى احداث حق لليهود في مكان البراق، ومنع اليهود منعا باتا من وضع أية اداة من ادوات الجلوس والانارة و العبادة، والقراءة والقاء تبعة ما قد ينتج من اقدام المسلمين على الدفاع عن البراق بانفسهم على الحكومة، واشار القرار الثالث اشارة صريحة الى قوة العالم الاسلامي، وهدد باستعمال تلك القوة، واما القرار الخامس فطالب باقصاء المستر بنويتش الزعيم الصهيوني الوقح بارائه واعماله ومؤلفاته[٧] والذي كان يحتل مركزا خطيرا هو مركز النائب العام.

وكان اهم ما تمخض عنه المؤتمر تشكيل جمعية حراسة الاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة، وقد تقرر ان يكون مركزها القدس، وان تتعاون مع لجنة الدفاع عن البراق الشريف واما مهماتها فهي تنفيذ قرارات المؤتمر الإسلامي وانشاء فروع لها في جميع انحاء العالم الاسلامي.

---

(٦) جريدة المقطم - القاهرة في ١٩٢٨/١١/٣

(٧) جريدة الجامعة العربية القدس ، العدد ١٨١ ، ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٨.

وعلى الصعيد الداخلي كانت اهم نتائج المؤتمر نداء للمواطنين بعدم بيع اراضيهم لليهود ومؤازرة الشركات الوطنية التي شكلها الوطنيون لشراء الاراضي.

وفي تشرين الثاني ١٩٢٨ اصدرت الحكومة الكتاب الابيض بشأن البراق وقد كفل المحافظة على الحالة الحاضرة، وضمن الملكية الإسلامية للحائط كما ضمن لليهود الحق المكتسب فقط بالزيارة.

وبعد المؤتمر تعرض المفتي نتيجة لمواقفه الى سيل من الهجوم العنيف والدعايات المسمومة، وأمام صموده اخذت السلطات البريطانية تمارس ضغطا كبيرا على العرب لحملهم على تعديل موقفهم، واجرى المندوب السامي اجتماعين مع سماحة المفتي، حاول خلالهما اقناعه باعادة النظر في موقفه والتساهل وتهدئة الاوضاع وتسوية الخلاف القائم، ولجأت الحكومة الى الاغراء والتشويق آنا، والتهديد والوعيد آنا آخر لحمل المفتي على التساهل، واوعزت الى بعض الشخصيات العربية بالاتصال بالمفتي ونصحه بتبديل موقفه والتساهل مع اليهود مؤكدين لهم ان الحكومة عازمة على اتخاذ اجراءات شديدة ضده في حالة تمسكه بموقفه ولكن المفتي رفض ان تكون حقوق المسلمين موضوعا للمساومات والمباحثات واكد اصراره وعزمه على القيام بواجبه كاملا لصيانة حقوق المسلمين والدفاع عنها.

ولما قطع الاعداء كل امل في زحزحة المفتي عن موقفه الصلب المستند الى الحق والعدل، حاولوا اغراءه واعضاء المجلس الاسلامي الاعلى بالمال، وكلفوا من يعرض عليه نصف مليون جنيه استرليني ولكن المفتي رفض العرض اليهودي واستمر على موقفه المشرف، وعندما جاءت لجنة (شو) البريطانية للتحقيق في اسباب ثورة البراق ١٩٢٩، واجتمعت الى المفتي لمناقشته، كشف امام اللجنة النقاب عن العرض اليهودي.

---

(٨) الغوري، اميل: فلسطين عبر ستين عاما ، ص١٤

السبب المباشر للثورة،

كان للصهاينة عدة احزاب في فلسطين أهمها : الماباي الذي يضم (الهستدروت) ويكون الاكثرية في الوكالة اليهودية ورئيسه في ذلك الوقت حاييم وايزمن، والحزب الاصلاحي وزعيمه في ذلك الوقت فيلاديمير جابوتونسكي وهو الحزب الذي يسمى اليوم حزب حيروت ويرأسه شامير حاليا، ومن قبله مناحيم بيغن وكان من سياسة حزب الماباي ان يتستر ما امكن على اهداف الحركة الصهيونية بالنسبة لفلسطين، مستعملا وسائل الدعاية والتمويه والبرامج الطويلة المدى لئلا ينتبه العرب الى حقيقة اهداف الصهيونية ويقاوموها قبل ان ترسخ اقدامها.

اما الحزب الاصلاحي فكان يرى غير ذلك، يرى ان اهداف الصهيونية يجب ان تكون معلنة وان تحقيقها يتم عن طريق استخدام القوة والسلاح وكان شعار هذا الحزب وهو شعار منظمة الارجون (اتسل) فيما بعد يتضمن خريطة فلسطين وشرق الاردن وجنديا مسلحا يحمل بندقية ويضع قدما في فلسطين واخرى في شرق الاردن، وقد كتب تحت الصورة عبارة (هكذا فقط)(٩)

وفي اواخر شهر تموز ١٩٢٩ اخذ اليهود وخاصة الحزب الاصلاحي يستعدون على المكشوف لاقتحام البراق وفرض سيطرتهم عليه، وخشية الغدر والمفاجأة شكل المفتي حرسا من الشبان المسلمين يتناوبون حراسة البراق الشريف ليلا، نهارا ومراقبة تحركات اليهود.

ولما حل شهر آب، وهو الشهر الذي يحتفل فيه اليهود بذكرى خراب هيكل سليمان اندفع اليهود يتظاهرون ويقيمون المهرجانات العامة، وعلم

---

(٩) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٣٤ ، عام ١٩٨٨ ،ص٣٦

المسلمون ان اليهود شكلوا فرقا خاصة من شبابهم وزودوها بالسلاح للهجوم في الوقت الذي يحدده لهم قادتهم، واخذ اليهود يزورون ساحة البراق يوميا وباعداد كبيرة غير مألوفة.

وظهر المخطط الصهيوني العدواني على حقيقته، منذ يوم ١١ آب ١٩٢٩م، وهو اليوم الذي بدأ فيه مؤتمر زعماء الصهيونية في مدينة زوريخ من اجل تشكيل (المجلس اليهودي العام) وقام هذا المؤتمر الصهيوني العالمي بوضع خطة العدوان اليهودي على البراق الشريف، وعهد لليهود المقيمين في فلسطين بتنفيذ هذه الخطة الإجرامية بعد اخذ موافقة الجمعية الصهيونية في لندن، واستنفر يهود العالم لاثارة قضية البراق وانتزاعه من ايدي المسلمين وتسليمه الى اليهود، كما ارسل الى وزارة المستعمرات البريطانية في لندن حاملا اليها رغبة المؤتمر الصهيوني في انتزاع البراق.

معركة القدس:

لقد تجاوب يهود فلسطين مع ايعاز المؤتمر الصهيوني وفي يوم الاربعاء ١٤ آب ١٩٢٩ قام الحزب الإصلاحي بمظاهرة شبه عسكرية في تل ابيب وهتف المتظاهرون: «الحائط حائطنا» وفي يوم ١٥ آب وهو اليوم الذي تبدأ فيه احتفالاتهم بذكرى خراب الهيكل - قامت مظاهرة يهودية ضخمة في القدس بقيادة الحزب الاصلاحي ، فسار طابور عسكري من رجاله من شارع يافا الى باب الخليل ودخل مدينة القدس القديمة وسط الاسواق والاحياء العربية الى ان وصل الى ساحة حائط المبكى (البراق الشريف) واعتدى المتظاهرون على سكان الحي من العرب ، ورفعوا العلم الصهيوني على الحائط وانشدوا (الهاتكفا) النشيد القومي وادوا صلواتهم وقاموا بطقوس واعمال ممنوعة عليهم وفقا لمبدأ (الستاتيكو) اي القديم على قدمه الذي كانت قد اعتمدته حكومة الانتداب البريطاني بالنسبة للشؤون والحقوق الدينية للطوائف المختلفة ،ومن ذلك انهم

نفخوا في الأبواق المصنوعة من قرون البقر، وذلك يعني عندهم الدعوة الى إعادة إقامة هيكل سليمان على انقاض الحرم القدسي الشريف، وبعد ذلك عادوا من حيث أتوا في شكل طابور عسكري مخترقين الاحياء العربية منشدين الاناشيد الصهيونية، وفي كل ذلك لم تتعرض لهم سلطات الحكومة البريطانية في شيء، وقد اثار هذا الاستفزاز المشاعر والمخاوف العربية(١٠).

وكان هذا هو الشرارة التي اشعلت ثورة البراق، ففي اليوم التالي وكان يوم جمعة تجمع المسلمون في باحة المسجد الاقصى في ذكرى المولد النبوي الشريف، حيث توافدت على القدس من القرى المجاورة جماهير غفيرة ثائرة، وكان الفلاحون الفلسطينيون يشكلون حوالي ٧٥٪ من عرب فلسطين وكانوا اكثر طبقات الشعب تحسسا بخطر الصهيونية لانها تستهدف الاستيلاء على الارض، مصدر رزقهم، كما ان حكومة الانتداب كانت قد اثقلت كاهلهم بالضرائب.

وخرجوا بعد صلاة الجمعة في مظاهرة كبيرة، انطلقت الى ساحة البراق الشريف، وحطم فيها المتظاهرون منضدة لليهود كانت على رصيف حائط المبكى. وقام عدد من الخطباء من بينهم الشيخ حسن ابو السعود، احد شيوخ المسجد الاقصى بالقاء كلمات في المتظاهرين يحثونهم على الهدوء وضبط النفس، وفيما كانت هذه الخطب تكاد تؤتي اكلها وتحقق الغرض منها، بلغ المسلمون ان مظاهرة يهودية كبيرة مسلحة انطلقت نحو المدينة القديمة في طريقها الى البراق، فهب الشباب لصد العدوان اليهودي، فوقع اصطدام عنيف بين العرب واليهود، وقف فيه الانجليز الى جانب اليهود، ولكن العرب استطاعوا ان يتغلبوا وردوا المعتدين على اعقابهم خاسرين، ثم اخذت جماعات مسلحة

---

(١٠) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف - العدد ٣٤ ، عام ١٩٨٨ ،ص٣٨

من اليهود تنزل الى شوارع المدينة المقدسة وكأنهم دوريات من المحتلين، امتدت الاصطدامات واخذت الاشتباكات الدموية تتوالى حتى حصل الانفجار الكبير يوم الجمعة في ٢٣ آب والذي يعرف تاريخيا بثورة البراق، حيث حدثت اشتباكات في جميع انحاء المدينة وغدت الشوارع مسرحا لقتال اليهود والعرب، وكان اليهود يحملون الاسلحة النارية التي وزعها عليهم الانجليز(١١)، بينما العرب لا يحملون الا السكاكين والعصي والحجارة وما انتزعوه من ايدي عدوهم من سلاح.

وقد كشفت هذه الاحداث ان لدى اليهود قوات عسكرية نظامية مسلحة (الهاغاناة) اتخذت لها مقر قيادة تجمع فيه الجنود اليهود المسلحون، وكانت تحت تصرفهم عدة سيارات وجعلت القيادة توجه النجدات العسكرية الى كل منطقة يقع عليها هجوم عربي فترده بالسلاح الناري وتقتل وتجرح العشرات، اما رجال الشرطة الانجليز فقد وقفوا ايضا يدافعون عن الاحياء اليهودية يساعدهم في ذلك جميع الموظفين البريطانيين المدنيين الذين حملوا السلاح ايضا الى جانب رجال الشرطة(١٢).

كما حلقت الطائرات فوق المدينة ارهابا للعرب، ودخلت المصفحات البريطانية القدس ومعها نجدات من الشرطة لتعيد الهدوء الى المدينة في الوقت الذي كان بعض الشباب العرب يتصدون للصهيونيين في الضواحي اليهودية من المدينة وفي المستعمرات القريبة منها.

---

(١١) النحوي، د. عدنان: على ابواب القدس ، ص٨٩

(١٢) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف - العدد ٣٤ ، عام ١٩٨٨ ،ص٣٨

الاضرابات في المدن الاخرى:

اسفرت الاشتباكات في القدس عن سقوط عدد من القتلى والجرحى العرب اكثر بكثير مما سقط من اليهود مما اثار الرأى العام في جميع انحاء فلسطين، وترتب على ذلك وقوع مصادمات بين العرب واليهود في معظم مدن فلسطين وخاصة في الخليل وصفد ويافا، واستمرت المعارك اكثر من اسبوع بالرغم من اعلان الاحكام العرفية، واستخدام الجيش البريطاني في اخمادها، وهذا مما ادى الى عنف اكثر في القتال، والى شجاعة اكبر من المسلمين الذين قاتلوا الخصمين في وقت واحد.

ففي نابلس اقيم مهرجان كبير اشترك فيه سكان جنين وطولكرم، واتجه المجتمعون بمظاهرة عنيفة الى ثكنات الحكومة والبوليس الذي استقبلهم باطلاق الرصاص فقتل منهم تسعة، وفي بيسان شن العرب هجوما على اليهود، وفي يافا قامت اضطرابات مماثلة تخللها هجوم على عدة مستعمرات يهودية، وفي حيفا نشبت اضطرابات في الحي القديم رافقتها غارات على ضاحية (هادارالكرمل).

وفي يوم ٢٥و٢٦آب قام العرب بهجوم مركّز على المستوطنات اليهودية في مرج ابن عامر وتم تدمير ست مستوطنات منها، وقامت حول هذه المستوطنات معارك عنيفة مع القوات البريطانية التي كانت تقوم بحمايتها، وقامت معركة حامية حول معسكر بريطاني قرب قرية حطين، واستخدم البريطانيون الدبابات في ضرب البدو والفلاحين الذين هاجموا قاعدة الطيران البريطاني في غزة[١٣].

(١٣) خله، كامل محمود: فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩، ص٢٩١

وفي القدس هجم اليهود يوم ٢٦آب على مسجد عكاشه، وهو مسجد قديم العهد، فاصابوه باضرار بالغة وانتهكوا قدسية الاضرحة التي يضمها .

لقد اشتركت القوات البريطانية في هذه الحوادث وكأنها جبهة قتال، فقد صرح قائد الاسطول البريطاني في نوفمبر بأنه أرسل عند بداية الاضطرابات، سفينة حربية وحاملة طائرات، وطرادا ومدمرتين الى فلسطين وانها بقيت حوالي ثلاثة اسابيع، وارسلت الحكومة البريطانية قوات من البوليس البريطاني بلغت تكاليفها لفترة لا تزيد على اسبوعين نحو ٣٩٠٠ جنيه، وأعلن وكيل وزارة الطيران في ١٨ مارس ١٩٣٠ ان طائرات سلاح الجو نقلت الجنود من مصر الى فلسطين، وانها وقفت في وجه الهجمات العربية ضد المستوطنات اليهودية قبل وصول القوات العسكرية، وان الطائرات قامت بـ ١١ هجوما(١٤) .

معركة الخليل:

عندما وقعت الاضطرابات في القدس، وصلت أخبارها الى الخليل، فأثارت الرأي العام على اساس ان(اليهود ذبحوا العرب في القدس) وفي صباح اليوم التالي، السبت، قام بعض الشباب والطلاب بتشكيل مظاهرة احتجاجا على احداث القدس مما ادى الى اغلاق الدكاكين واشترك عدد كبير من الاهالي في المظاهرة، وقامت قوات من البوليس الخيالة بتطويق المظاهرة ولم يحاولوا في بداية الامر تفريقها، وكان على رأس قوات البوليس مساعد مدير البوليس البريطاني (كفراتا)وكان افراد البوليس الخيالة من العرب، وبينهم خيال يهودي واحد حاول بعض الشباب الاعتداء عليه، فقال رجال البوليس للمتظاهرين، لا تمسوا هذا، البوليس وأمامكم بيوت اليهود لن يمنعكم احد من مهاجمتها، وعلى

---

(١٤) خله ، كامل محمود: فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩ ،ص٢٩٢

اثر ذلك هاجمت المظاهرة البيوت التي يسكن فيها اليهود الصهيونيون، بالعصي والحجارة والسكاكين ولم تستعمل الاسلحة النارية من قبل الشعب واستمر الهجوم ساعتين او ثلاثا، واستهدف في الدرجة الاولى بيوت اليهود الصهيونيين، اي المهاجرين الجدد من اليهود اما يهود الخليل القدامى فقد اجارهم جيرانهم وحموهم في بيوتهم وكانوا هم اكثرية يهود الخليل.

وكان رجال البوليس خلال ساعات الهجوم يطلقون النار في الهواء بغزارة ولكن في النهاية تغير الامر واطلقت بعض النيران على الاهلين وخاصة من قبل مساعد مدير البوليس ويعتقد انه قتل بنفسه ١٥ خمسة عشر شخصا من العرب، وبعد الظهر توقف الهجوم وتفرق الناس وتوجهت نجدات من اهالي الخليل المسلحين الى مدينة القدس حيث استمرت الاشتباكات في ذلك اليوم ولمدة اسبوع، اشتركت فيها نجدات عربية مسلحة جاءت من عدة انحاء بما في ذلك شرقي الاردن.

اما في الخليل فقد قام البوليس بعد الظهر بجمع جميع اليهود الناجين ونقلهم الى مركز البوليس في وسط المدينة وكانوا كلهم مختبئين في بيوت جيرانهم العرب، وقد جاوز عددهم (٦٠٠) شخص وقام بترحيلهم الى القدس، اما القتلى اليهود فقد بلغ عددهم حوالي ٦٠ قتيلا، بموجب احصاء الحكومة وبيانها الرسمي، واعلنت الحكومة الاحكام العرفية فورا ونقلت الى الخليل قوات من الجيش البريطاني وفرضت منع التجول واطلقت النار على كل شيء يتحرك في المدينة مما ادى الى سقوط عدة قتلى...

وانتشرت في البلاد بل وفي انحاء العالم اشاعات كاذبة فيها مبالغة بعدد القتلى، وفيها ذكر لحوادث تشويه القتلى، والحقيقة انه لم تقع اعمال تمثيل بالقتلى اطلاقا اما حوادث النهب قد جرت بالفعل أعمال نهب في البيوت التي هوجمت ولكن قصر مدة الهجوم جعلت اعمال النهب محدودة.

هذا وقد استمرت اعمال الارهاب العسكري ضد العرب فترة طويلة في طول البلاد وعرضها، وخاصة في مدينتي الخليل وصفد، ثم فرضت على مدينة الخليل غرامة مالية جماعية قدرها ١٢٠٠٠ اثنا عشر الف جنيه فلسطيني جمعت من الناس (بالكرباج) فكل من كان يمتنع او يعجز عن الدفع يعتقله رجال الشرطة والجيش ويضربونه بالكرباج وسط المدينة وعلى مرأى من الناس الى ان يتقدم من يدفع عنه المبلغ المطلوب.

واعتقل عدد كبير من الرجال ثم جرت محاكمات بشكل ارهابي وصدرت احكام قاسية وكثيرة، تضمنت الحكم بالاعدام على شابين من الخليل هما الشهيدان، عطا الزير ومحمد جمجوم، وعلى شاب من صفد هو الشهيد فؤاد حجازي، كما صدرت احكام بالسجن المؤبد وبالسجن ١٥ عاما وعشرة اعوام على عدد كبير من شباب الخليل يقارب الاربعين، اضافة الى احكام كثيرة اخرى اقل مدة، وتلى ذلك في يوم الثلاثاء السادس عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ تم اعدام الشهداء الثلاثة في سجن عكا وكان يوم اعدامهم يوما مشهودا اضربت فيه البلاد اضرابا عاما وجرت مظاهرات واسعة وخاصة في مدينة عكا(١٥).

معركة صفد:

شاع الخبر في صفد بأن اليهود اعتدوا على الحرم الشريف وهدموه واحرقوه، فهرع الناس مساء يوم ١٩٢٩/٨/٢٩ الى الجامع الكبير في السوق للاستماع الى ما يقوله الخطباء في ذلك، ولم يمض الا القليل حتى دخل المسجد (الميجرفردي)مساعد مدير الشرطة البريطاني وخاطب الناس بالعربية متظاهرا بمحاولة تهدئتهم ،(أيها الاخوان لا تصدقوا كل ما قيل، ان اليهود لم يهدموا الحرم، بل هاجموه واستولوا على البراق، لكن حكومتنا لا يمكن ان تسكت على هذا) .

---

(١٥) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف – العدد ٣٤ ، عام ١٩٨٨ ،ص.٤٠

ولم تمكنه الجماهير من تكملة كلامه، وارتفعت بينها دعوات الانتقام والثأر وفي هذه الاثناء صاح قادم ان المجاهد (احمد طافش) قد قتل، فخرجت الجماهير هادرة متجهة الى حارة اليهود التي كانت تقع في القسم الشمالي من المدينة واخذت جموعهم تخلع ابواب المحلات التجارية وتشعل النار فيها، فتدخلت الشرطة البريطانية ونقلت اليهود ولا سيما النساء والاطفال الى السراي حيث مكثوا ثلاثة ايام التزم اهالي صفد خلالها بسجاياهم العربية وانسانيتهم فكانوا يحضرون الطعام لأولئك المحتجزين، وحدثت اثناء ذلك ان القى مجهولون قنبلة قتلت اربعة من اليهود وثلاثة من خيول الشرطة، فقدمت في اليوم التالي ٣٠ آب القوات البريطانية من الجاعونة وطبرية ودخلت حارة اليهود واطلقت النار على كل عربي وجدته فيها.

ولم يكن دخول القوات البريطانية الى المدينة سهلا لان شباب صفد اقاموا حاجزا من الحجارة الضخمة عند مدخل البلدة مما حمل الجنود على ان يترجلوا عن خيولهم وسياراتهم فتعرضوا لنيران وحجارة انهالت عليهم، مما زاد في حنق الجنود فصاروا يطلقون النار على كل من يرون محاربا او مسالما، وصوبوا نيران بنادقهم الى قريتي عين الزيتون وبيريا، القريبتين من صفد ودخلوا حارة اليهود وهم يغلون حقدا على العرب، فسقط من نيرانهم عدة قتلى وجرحى من العرب.

تمكنت القوات البريطانية من السيطرة على الموقف، وأعادت اليهود الى بيوتهم وتولت حراسة حارتهم، ثم قامت قوات الشرطة بحملة تفتيش في بيوت العرب ارهابا لهم والقت القبض على نحو ٤٠٠ عربي وافرج فيما بعد عن كثيرين ،وسيق الباقون الى سجن عكا حيث تعرضوا للاهانة والتعذيب، وقد وجه مدير السجن وهو ضابط بريطاني، اهانات شديدة الى الحاج توفيق غنيم فهجم ابنه نايف على الضابط وألقاه ارضا فحكم على نايف واخيه عارف غنيم

بالسجن المؤبد، كما حكم بالسجن المؤبد على كل من توفيق عبيد، واحمد صالح الكيلاني ، ورشيد سليم الحاج درويش واخيه علي ومحمد علي زينب وجمال سليم الخولي، ورشيد محمد الخرطبيل، ومصطفى احمد دعيس ومحمد مصطفى شريفه، وسعيد شما واعدمت السلطات البريطانية الشهيد فؤاد حجازي من صفد يوم ١٧/٦/١٩٣٠.

وقد جاء في البلاغ الرسمي رقم ١٤ الصادر في ٣١/٥/١٩٣٠ مايلي(قتل من العرب عبد الغفور الحاج سعيد والعبد سليم الخضرا وفوزي احمد الدبدوب والعبد ذياب العيساوي) وورد فيه ان عدد قتلى اليهود وجرحاهم بلغ ٤٥ رجلا.

وبعد هدوء الحالة في المدينة خرج نفر من شباب صفد واعتصموا بالجبال حيث شكلوا جماعة مجاهدة لمقاومة الانجليز والصهيونيين وقد احضرت حكومة الانتداب كتيبة فرسان من قوة حدود شرق الاردن تمركزت في قرية ميرون الواقعة عند سفح جبل الجرمق على مسافة(١٠) كم الى الغرب من صفد، واخذت هذه الكتيبة تقوم بالدوريات ليل نهار في الاودية والجبال بحثا عن هؤلاء المجاهدين واستمرت تعمل اكثر من عام وتمكنت من القبض على اثنين منهم فقط واختفى الباقون.

من اهم نتائج معركة صفد هذه ان اليهود اخذوا يهجرون المدينة تدريجيا فبعد ان كان عددهم يتراوح بين ٧و٩ الاف لم يبق منهم في المدينة حتى عام ١٩٤٨ اكثر من الفين(١٦).

---

(١٦) الموسوعة الفلسطينية - المجلد لاول ، ص٦١٦

موقف المندوب السامي البريطاني:

كان المندوب السامي البريطاني السير (جون تشانسلور) في بلاده حين وقعت احداث آب، فعاد عاجلا من لندن الى القدس بطائرة عسكرية وأصدر فور وصوله يوم ١٩٢٩/٩/١ بيانا رسميا اتهم فيه العرب باشعال نار الاضطرابات ووصفهم بالقتلة والسفاحين والمتوحشين والمجرمين، وأثبت في بيانه تحيزه للصهيونية وافترى على العرب، وكان كاذبا فيما ذكره ووقحا جدا في تعابيره، وهو لم يسلك السبل الطبيعية في دراسة أسباب الاضطرابات والبحث عن علاجها، فهو في غنى عن هذا، لانه يعلم ان العلاج يتلخص في الحد من طغيان الصهيونية وتمكين العرب من الحفاظ على ديارهم وأراضيهم ومقدساتهم وهو بالتالي يعلم ان هذا العلاج مستحيل لان وعد بلفور وصك الانتداب يدعوان ويعملان لغير هذا.

اذن فأولئك الذين ثاروا ضد اليهود مجرمون في تقديره، وسرعان ما اعلن للعالم ان العرب كانوا وحوشا في قتالهم وكان مما جاء في منشور المندوب السامي قوله:

«عدت من المملكة المتحدة فوجدت بمزيد الأسى ان البلاد في حالة اضطرابات واصبحت فريسة لاعمال العنف غير المشروعة وقد راعني ما علمته من الاعمال الفظيعة التي اقترفتها جماعات من الاشرار سفاكي الدماء عديمي الرأفة واعمال القتال الوحشية التي ارتكبت في افراد من الشعب اليهود خلوا من وسائل الدفاع بقطع النظر عن عمرهم، وعما اذا كانوا ذكورا او اناثا والتي صحبتها كما وقع في الخليل اعمال همجية لا توصف وحرق المزارع والمنازل في المدن وفي القرى ونهب وتدمير الاملاك. . ان هذه الجرائم انزلت على فاعليها لعنات جميع الشعوب المتمدنة في انحاء العالم قاطبة، فواجبي الاول ان اعيد النظام الى نصابه في البلاد، وان اوقع القصاص الصارم باولئك الذين سوف يثبت

عليهم انهم ارتكبوا اعمال العنف، وستتخذ جميع التدابير الضرورية لانجاز هاتين الغايتين» (١٧).

فردت اللجنة التنفيذية العربية على بيان المندوب السامي وفندت محتوياته، وشجب المفتي في بيان صدر باسم المجلس الاسلامي الاعلى بيان تشانسلور واتهمه بالتحيز السافر لليهود، ووصفه بانه عدو للعرب، وبالحماقة وقصر النظر وطالب بسحبه من فلسطين، وبعد صدور هذه البيانات اصر العرب على وجوب اجراء تحقيق ليتضح اذا كان العرب قد مثلوا فعلا بقتلي اليهود في الخليل كما شاءت الصهيونية ان تشنع بهم عالميا.

وتحت ضغط الرأي العام اضطرت بريطانيا الى ان تؤلف لجنة من ثلاثة اطباء كان احدهم بريطانيا والثاني يهوديا والثالث عربيا وهو الدكتور حسين الخالدي وقررت هذه اللجنة انه لا يوجد تشويه ولا تمثيل في اي من القتلى اليهود الذين اخرجوا من قبورهم وعاينتهم اللجنة من جديد(١٨).

وبعد صدور البيانات واعلان قرار اللجنة اذاع المندوب السامي بيانا جديدا اعتذر فيه للعرب عما جاء في بيانه الاول، فقد اثبتت التحقيقات الرسمية التي اجريت كذب المندوب السامي.

المندوب السامي ينكل بالعرب:

استمر المندوب السامي البريطاني ينكل بالعرب فاعتقل مئات من الشباب واصدر الحكم باعدام ٢٠ عربيا ونفذ الحكم، فورا في الشهداء الثلاثة،

---

(١٧) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص١٣٨. عن احمد الشقيري : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص٢٢٣

(١٨) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص١٤٠.

فؤاد حجازي وعطا الزير، ومحمد جمجوم وحكم بالسجن المؤبد على ٢٣ مجاهدا، وحكم على١٨٧ عربيا بالسجن بين ثلاثة اعوام و١٥ عاما وتنوعت الاحكام حتى بلغ عدد العرب المحكوم عليهم ٧٩٢ عربيا وفرضت غرامة مالية على عدد من القرى وحددت اقامة كثير من الزعماء في اماكن نائية من فلسطين(١٩).

وتوالت احكام الاعدام تصدر للارهاب دون شفقة على حين لم يدن يهودي بالاعدام في هذه الاحداث التي كانوا سببها ، باستثناء اليهودي خانكيز الذي كان شرطيا دخل بسلاحه فاباد اسرة عون العربية المكونة من سبعة افراد على ان هذا اليهودي ايضا قد استبدل حكم اعدامه بالمؤبد ثم خفض الى خمسة عشر عاما ثم اطلق سراحه بعد فترة وجيزة.

واذاعت رويتر في ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ ان محكمة حيفا ادانت تسعة من العرب بالاعدام وحكمت على اثنين اخرين بالسجن خمسة عشر عاما لاتهامهم بقتل اسرة يهودية ، كما نفذ حكم الاعدام فورا في ثلاثة من شباب فلسطين اظهروا من آيات البطولة والشجاعة ما قدسهم به الشعب واتخذهم مثلا للبطولة(٢٠).

الابطال الثلاثة-حجازي والزير وجمجوم:

صدر حكم باعدام ثلاثة من شباب فلسطين هم فؤاد حسن حجازي من صفد وعطا الزير ومحمد خليل جمجوم من الخليل ، وبعد ان امضى الابطال الثلاثة عدة شهور في سجن عكا رهن الاعتقال ، تم ابلاغهم بان السابع عشر

---

(١٩) الغوري، اميل: المؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين ، ص٦٨

(٢٠) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص١٤١. عن مذكرات الاستاذ اكرم زعيتر

من حزيران سنة ١٩٣٠ سيكون موعد تنفيذ حكم الاعدام بهم وتدخل رجالات العرب فابرقوا الى صديقتهم بريطانيا العظمى ورفعوا التماسا الى مجلس الملك الاعلى بلندن وبذلوا كل المحاولات ولكن ذهبت جميعها ادراج الرياح.

اما الابطال الثلاثة فقد استقبلوا النبأ بروح راضية ومعنويات مرتفعة واظهروا شجاعة بطولية جعلتهم مضرب الامثال، استوى في ذلك الشاب فؤاد حجازي الذي لم يتجاوز السادسة والعشرين ربيعا ورفيقاه الاخران اللذان دخلا الحلقة الرابعة من العمر ، وحين ابلغوا بساعات التنفيذ وتاريخها وسمح لذويهم بزيارتهم لم يزدهم ذلك الا ايمانا ، قال فؤاد حجازي لزائريه:

« *اذا كان اعدامنا نحن الثلاثة يزعزع شيئا من كابوس الانجليز عن الامة العربية الكريمة فليحل الاعدام في عشرات الالوف امثالنا لكي يزول هذا الكابوس عنا تماما* » واما عطا الزير فقال :«*نحمد الله على اننا نحن الذين لا اهمية لنا نذهب فداء الوطن لأولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم*» وأمّن محمد جمجوم على قول رفيقه عطا الزير، وطلب هذان الشهيدان حناء خضبا به ايديهما حسب عوائد اهل الخليل في ايام افراحهم.

وكانوا في سجنهم ينشدون نشيدا وطنيا حماسيا صار ملتصقا بهم وبجهادهم ، حيث لا يذكر هذا النشيد الذي نظمه الاستاذ نجيب الريس الا ويذكر معه الابطال الثلاثة(٢١):

يا ظلام السجن خيّم   إننا نهـوى الظلامـا

ليـس بعد الليل إلا   فجر مجـد يتسامى

---

(٢١) عودة ، زياد : من رواد النضال في فلسطين ، ص١٥

ايّهـا الحـرّاس رفقـا　　واسمعوا مني الكلاما

متــــعونا بهـــواء　　منعـــه كـان حراما

* * *

يا رنين القيـد زدني　　نغمة تشجي فؤادي

ان في صوتـك معنى　　للأسى و الإضطهاد

لسـت والله نسيّـا　　مـا تقاسيــه بلادي

فاشهــدي يا نجم أني　　ذو وفـــــاء ووداد

* * *

ايــه يا دار الفخـــار　　يا مقـر المخلصينا

قـد هبطنـاك شبابـا　　لايهابـــون المنونا

وتعاهدنــا جميعـــا　　يوم اقسمنا اليمينا

لن نخون العهد يومـا　　واتخذنا الصدق دينا

* * *

ولما جاء وقت تنفيذ الحكم تسابق الشهداء الثلاثة الى حبل المشنقة، ووصفت جريدة الزهور الحيفاوية يوم الاعدام فقالت(٢٢) :

---

(٢٢) جريدة الزهور - حيفا ، عدد ١٩ يونيو ١٩٣٠

« لم تجتز فلسطين في ايامها السابقة يوما مثل يوم الثلاثاء ١٧ حزيران الرهيب، لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس، وولولت النساء وتصاعد عويلها في البيوت، وتساقطت الدموع غزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد وانشدت الجماهير (يا ظلام السجن خيم) وقد خيمت روعة الموت وسادت رهبة الموقف بينما وقف الجند يتبخترون ذهابا وايابا، والمدفع معد، والسيف مصلت، والطيارات سابحة في الفضاء الواسع ترقب الحالة عن كثب.

وفي الساعة الثامنة نفذ الحكم في الشهيد فؤاد حجازي وفي الساعة التاسعة نفذ في الشهيد عطا الزير وفي الساعة العاشرة نفذ في الشهيد محمد جمجوم وكانت الجماهير تقف خاشعة كلما دقت الساعة معلنة الثامنة والتاسعة والعاشرة ويملأ الفضاء باصوات المؤذنين حزنا على الشهداء».

وقد خلد الشعراء في فلسطين والوطن العربي في شعرهم هذه المناسبة الكبيرة في تاريخ فلسطين الحديث، نكتفي منه بتقديم مقاطع من قصيدة مشهورة للشاعر ابراهيم طوقان الذي عاصر تلك الثورة وتابع اولا باول قصة استشهاد الابطال الثلاثة فقال في قصيدته التي بعنوان (الثلاثاء الحمراء)(٢٣).

لما تعرض نجمك المنحوس ... وترنحت بعرى الحبال رؤوس
ناح الاذان واعول الناقوس ... فالليل اكدر والنهار عبوس
طفقت تثور عواصف ... وعواطف
والموت حينـــا طائف ... او خاطف

(٢٣) عودة ، زياد : من رواد النضال في فلسطين ، ص١٨ .. عن ديوان ابراهيم طوقان

والمعول الابدي يمعن في الثّرى ـ ليردهم في قلبها المتحجر
يوم اطل على العصور الخالية ودعا امر على الورى امثالية
فاجابه يوم اجل انا راويه لمحاكم التفتيش تلك الباغية
ولقد شهدت عجائبا وغرائبا
لكن فيك مصائبا ونوائبا
لم الق اشباها لها في جورها فاسأل سواي وكم بها من منكر

* * *

واذا بيوم راسف بقيوده فاجاب والتاريخ بعض شهوده
انظر الى بيض الرقيق وسوده من شاء كانوا ملكه بنقوده
بشر يباع ويشترى فتحرّرا
ومشى الزمان القهقرى فيما أرى
فسمعت من منع الرقيق وبيعه نادى على الاحرار يا من يشتري!

ويصف الشاعر في قصيدته الساعات الثلاث التي تم فيها اعدام الابطال الثلاثة، فيقول:

الساعة الاولى

انا ساعة النفس الأبية الفضل لي بالأسبقية

انا بكر ساعات ثلاث　　كلهــا رمــز الحميــة
قسما بروحك يا فؤاد　　صعدت جوانحها زكية
عاشت نفوس في سبيل　　بلادها ذهبت ضحيــة

الساعة الثانية

انا ساعة الموت المشرّف　　كـل ذي فعـل مجيـد
بطلـي يحطـم قيـده　　رمـــزا لتحطيم القيود
قسما بـروح (محمد)　　تلقى الردى حلو الورود
قسما بامك عند موتك　　وهـي تهتـف بالنشيـد
ما نال مـن خدم البـلاد　　اجلّ من اجر الشهيـد

الساعة الثالثة

انا ساعة الرجل الصبــور　　انا ساعة القلب الكبير
بطلي اشد على لقاء الموت　　مـن صـم الصخــور
يلقي الاله مخضب الكفين　　فــي يــوم النشــور
قســما بروحــك يا عـطاء　　وجنــة الملــك القدير
وصغـارك الاشبــال تبكي　　الليث بالدمع الغـزير
ما انقـذ الوطـن المفـدى　　غير صبّــار جســور

لجنة (شو) للتحقيق:

اعلنت الحكومة البريطانية تشكيل لجنة برلمانية برئاسة السير (والتر شو) للتحقيق في اسباب حوادث البراق في فلسطين ، وتضمين تقريرها عن مهمتها واعمالها ما تراه من مقترحات وتوصيات لمنع تكرار الاضطرابات في البلاد ووصلت اللجنة في نهاية تشرين الاول سنة ١٩٢٩ الى فلسطين وعقدت سبعا واربعين جلسة عامة واحدى عشرة سرية واستمعت الى ٦١٠ شهادات من عرب ويهود ورفعت في النهاية تقريرها الذي عرف بكتاب (باسفيلد الابيض).

وركز اليهود جهودهم امام لجنة التحقيق على اتهام العرب عامة والحاج امين الحسني خاصة باثارة الاضرابات والفتن وزوروا سلسلة من الوثائق والبيانات التي ثبت بطلانها امام اللجنة.

وبعد ان انتهت اللجنة من مهمتها، وضعت تقريرها ورفعته الى الحكومة البريطانية وقد اعترفت فيه بان الهجرة اليهودية الى فلسطين تلحق بالعرب اضرارا، وان الضغوط التي يتعرضون لها تهدد ملكيتهم للاراضي وتنذر بتسربها الى اليهود شيئا فشيئا اما اسباب الاضطربات فتعود الى تخوف العرب على مستقبلهم وخشيتهم من سيطرة اليهود على فلسطين أما المفتي وزعماء الحركة الوطنية فان اللجنة لم تجد ما يبرر اتهامهم باشعال نار الثورة واما النزاع على ملكية البراق الشريف فقد ابدت اللجنة اعترافا ضمنيا بحقوق المسلمين ومليكتهم له.

وعلى اثر صدور تقرير لجنة التحقيق ابدت الحكومة البريطانية رغبة في استقبال وفد عربي فلسطيني للتباحث معه بشأن قضية فلسطين.

ووافق الزعماء العرب على ارسال وفد فلسطيني الى لندن، على امل اقناع بريطانيا بتغيير سياستها، وتألف الوفد برئاسة موسى كاظم وعضوية الحاج

امين وراغب النشاشيبي والفرد روك وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني، واتفق اعضاء الوفد على ان يتولى المفاوضة نيابة عن الوفد الحاج امين وان يكون الناطق الرسمي باسمه.

وعقدت عدة جلسات للمفاوضات، وعلى الرغم من ظهور حق العرب وعدالة مطالبهم فان المفاوضات لم تسفر عن اية نتيجة فعاد الوفد الى فلسطين.

الكتاب الابيض:

واصدرت الحكومة البريطانية في تشرين الاول ١٩٣٠ كتابا ابيض تضمن سياسة جديدة لفلسطين ونص على تنمية مؤسسات الحكم الذاتي وتشكيل مجلس تشريعي لفلسطين يتألف من تسعة عرب وثلاثة يهود ينتخبون من قبل السكان، ونص على اخضاع الهجرة اليهودية لمبدأ قوة استيعاب البلاد الاقتصادي، كما نص على سن تشريعات وانظمة لصيانة حقوق المزارعين ومساعدتهم.

ومع ان الزعماء العرب ابدوا عدة تحفظات على الكتاب وطالبوا بادخال تعديلات عليه، الا انهم لم يعلنوا رفضهم للكتاب الابيض وقرروا تجربة التعاون مع الحكومة البريطانية على اساسه، آملين ادخال بعض التعديلات عليه، فقد كان الزعماء العرب يتهمون بالسلبية والتطرف والتعنت، فارادوا هذه المرة ان يتبعوا سياسة جديدة مع انهم كانوا قانعين بان الحكومة البريطانية لن تضع هذه السياسة موضع التنفيذ بسبب اعتراض اليهود عليها، وانهم اقدموا على هذه التجربة لعل نتائجها تقنع الذين كانوا يعترضون على مواقفهم، بان جميع هذه المواقف كانت سليمة ووطنية وصادقة.

اما اليهود فقد احتجوا بشدة على الكتاب الابيض وطالبوا بالغائه وتحت ضغط اليهود وانصارهم ارسل ماكدونالد كتابا الى الدكتور وايزمن يؤكد له فيه بان بريطانيا لن تخل بتعهداتها لليهود، وقامت الحكومة البريطانية بالغاء الكتاب الابيض واكدت عزمها على اباحة الهجرة.

وهكذا تبين للشعب الفلسطيني بشكل واضح بان اللجان القادمة الى فلسطين لم تكن الا مضيعة للوقت، ولم يكن الهدف منها سوى تهدئة الشعب الثائر القلق على مصيره.

نتائج الثورة:

كانت حصيلة احداث ثورة ١٩٢٩ وقوع ١٣٣ قتيلا من اليهود وجرح ٢٣٩ من بينهم ١٩٨ اصابة بالغة. اما العرب فقد قدموا ١١٦ شهيدا في حين بلغ عدد جرحاهم ٢٣٢ شخصا ودمرت القوات البريطانية عدة قرى مثل لفتة ودير ياسين والحقت اضرارا كبيرة بعدد آخر.

وقدمت السلطات البريطانية الى المحاكمة ما يزيد على الف شخص اكثر من ٩٠٠ منهم من العرب بتهم تتعلق باحداث شهر آب ١٩٢٩ وصدر الحكم باعدام ٢٦ شخصا هم ٢٥ عربيا ويهودي واحد كان شرطيا دخل على اسرة عربية مؤلفة من سبعة افراد فقتلهم جميعا.

واصرت السلطات البريطانية على اعدام ثلاثة من العرب هم عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي، ونفذ الحكم فيهم يوم الثلاثاء ١٩٣٠/٦/١٧ في سجن عكا، وطبقت السلطات البريطانية احكام قانون العقوبات المشتركة على سكان عدد من المدن والقرى وفرضت عليهم غرامات كبيرة[٢٤].

---

(٢٤) الموسوعة الفلسطينية – المجلد لاول ، ص٦١٦

ولقد اسفرت ثورة ١٩٢٩ عن عدة نتائج اهمها:

اولا – كانت ثورة ١٩٢٩ سببا في زيادة ايضاح وجلاء بعض الحقائق امام ابناء فلسطين، وفي مقدمة هذه الحقائق ان الصهيونية والوطن القومي اليهودي كانا يعتمدان في الاصل والنهاية، على الحراب البريطانية ومن ثم تجب محاربة بريطانيا والصهيونية معا اذا اريد للصراع ضد الصهيونية ان يحقق اهدافه.

ومن تلك الحقائق ايضا، وعي الجماهير بان الاسلوب المتبع في قتال الصهيونية والاستعمار البريطاني وهو اسلوب الاحتجاج والتظاهر، غير ناجع ولابد من اللجوء الى استعمال السلاح وتشكيل منظمات مجاهدة لقتالهم، وكانت عصابة الكف الاخضر اول منظمة فلسطينية مقاتلة تشكلت اثر احداث ١٩٢٩.

ثانيا – ان احداث ١٩٢٩ اثارت اهتمام المسلمين والعرب في جميع الاقطار فتوالت امداداتهم لاهل فلسطين ومواساتهم لمنكوبي الاضطرابات ومع ان قيمة التبرعات التي جمعت في هذا الشأن كانت ثلاثة عشر الف جنيه ولكنه مبلغ كبير اذا قورن بما كان يجمع في مراحل سابقة(٢٥).

ثالثا – اشتد الجفاء بين العرب واليهود في اعقاب تلك الاضطرابات التي اسفرت عن طرد اليهود نهائيا من مدينة الخليل، واصبح من الصعب بعد تلك الاحداث ان يلبي العرب اية محاولة للتعاون بعد ان رأوا باعينهم اطماع اليهود في اماكنهم المقدسة، وقد اشار تقرير (شو) الى ذلك، فاكد زيادة مخاوف العرب من اليهود، واصبح العرب لايرون في المهاجر خطرا على معيشتهم فحسب بل ذلك السيد الذي قد يسيطر على البلاد في المستقبل(٢٦)

(٢٥) غنيم، عادل: الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ – ١٩٣٦، ص٢١٢ عن محمد جميل بيهم: فلسطين اندلس الشرق، ص٦٠

(٢٦) غنيم، عادل: الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ – ١٩٣٦، ص٢١٣ عن تقرير لجنة شو للتحقيق، ص١٩٩

الفصل الرابع

انتفاضة عام ١٩٣٣

- تقديم
- المؤتمر الاسلامي العام ١٩٣١
- الاسباب العامة للانتفاضة
- مظاهرات ١٩٣٣
  * مظاهرة القدس
  * مظاهرة يافا
  * مظاهرة القدس الثانية
  * مظاهرة نابلس
  * مظاهرة الخليل
- تهيئة الشعب واعداده للجهاد
- منظمة الجهاد المقدس
- نتائج الانتفاضة

الفصل الرابع

انتفاضة عام ١٩٣٣

تقديـــــم:

بعد احداث سنة ١٩٢٩ مرت فترة نشاط استعماري لتهيئة الاوضاع في فلسطين ، فتوالى الارهاب وارسال لجان التحقيق البريطانية التي كانت تشغل تفكير الناس وتستحوذ على اهتمامهم بتقاريرها التي يجيء بعضها في صالح العرب، ثم يأتي بعدها ما ينسخها، دون ان يتغير اي شيء في مجرى ما تمارسه حكومة الانتداب من اعمال ونشاطات استعمارية، سواء ما تعلق منها بالهجرة او في تمليك الاراضي لليهود، مما ضاعف الشعور بالخطر لدى شعب فلسطين العربي المسلم وحفزه على التحرك والجهاد.

وامام هذا النشاط الاستعماري المتزايد، بدأت الحركة الوطنية تغير في اساليب نشاطها وتعاملها مع القضية، سواء في داخل فلسطين او خارجها، فعلى المستوى الداخلي قررت الحركة الوطنية القيام بمجموعة مظاهرات تنطلق من المدن الفلسطينية وتشترك فيها حشود كبيرة من ابناء فلسطين، كما بدأت بتهيئة الشعب واعداده للجهاد..

وعلى المستوى الخارجي فقد عمل زعماء فلسطين على اثارة اهتمام العالم الاسلامي بقضية فلسطين، وطرحها على العالم الاسلامي كقضية اسلامية.

وكانت الحكومة البريطانية تخشى منذ قيام قضية فلسطين ان يتدخل مسلمو العالم في هذه القضية، لانها كانت تخاف امرين:

الاول - ان تقوم حركات في الديار الاسلامية تأييدا لقضية فلسطين وشعبها تتطور تلقائيا الى حركات ضد الحكم البريطاني في هذه الديار (اذ كانت معظم الاقطار الاسلامية قبل الحرب العالمية الثانية تحت الحكم البريطاني)

الثاني - هو ان يناصبها مسلمو العالم العداء اذا ما علموا بحقيقة سياستها المتبعة في فلسطين، فضلا عن ان بريطانيا كانت تدرك مدى الضرر الذي يستطيع العالم الاسلامي ان يلحقه بالحركة الصهيونية التي كانت بريطانيا تتبناها اذا هو ناصر الفلسطينيين.

لاجل هذا انطلقت بريطانيا تعمل بشتى الوسائل ومختلف السبل لابعاد مسلمي العالم عن قضية فلسطين وعزلها عن العالم الاسلامي، وانطلاقا من موقفها هذا دأبت بريطانيا على مقاومة الجهود التي بذلها قادة الحركة الوطنية لاثارة اهتمام العالم الاسلامي بقضية فلسطين وكسب مسلمي العالم الى جانبها.

وقد تولى الحاج امين الحسيني بوصفه رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى ومفتي فلسطين الاكبر، تنفيذ خطة جمع كلمة المسلمين حول فلسطين وحشد قواهم وتعبئة طاقاتهم لنصرة قضيتها والدفاع عنها..

وقد استطاع المفتي، على الرغم من مقاومة الانجليز واليهود لجهوده ومساعيه ومحاولاتهم المتواصلة لاحباط اغراضه، استطاع ان يحرز نجاحا كبيرا في العالم الاسلامي لتأييد قضية فلسطين، وكانت بداية هذا الاتصال عند قيام المجلس الاسلامي الاعلى بعمل اسلامي جليل، هو عمارة المسجد الاقصى وقبة الصخرة المباركة، فقام بدعوة العالم الاسلامي للمشاركة في اعباء العمارة،

وارسل اليها الوفود وذهب الحاج امين على رأس واحد منها، وكان ذلك فرصة للتعارف ولفت انظار المسلمين الى فلسطين والى الخطر اليهودي عليها وعلى المقدسات الاسلامية فيها.

وقد تمثل نجاح المفتي في مبادرة العديدين من اقطاب المسلمين وزعمائهم وهيئاتهم ومؤسساتهم الى ارسال التبرعات لاصلاح المسجد الاقصى المبارك واعماره، وفي قيام عدد من كبار قادة المسلمين في العالم بزيارات متتابعة لفلسطين، وفي تشكيل منظمات وجمعيات في العديد من الاقطار الاسلامية للدفاع عن قضية فلسطين.

ومن بوادر هذا النجاح ايضا اتجاه المفتي لربط فلسطين بالعالم الاسلامي بكل الوسائل، ومنها اقتراحه بان يدفن مولانا محمد علي - عالم الهند وزعيمها - في القدس.

ومنها عقد المؤتمر الاسلامي العام في القدس عام ١٩٣١ ومنها اشتراك عدد من محامي العالم الاسلامي المشهورين في الدفاع عن حقوق المسلمين في البراق الشريف، امام لجنة التحقيق الدولية.

المؤتمر الاسلامي العام ١٩٣١،

لما رأى الحاج امين انحياز بريطانيا الكامل مع اليهود، قام باللجوء الى قوة العالم الاسلامي مستندا الى مكانته الدينية، وبالتعاون مع عبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي اهتدى الرجلان الى فكرة عقد مؤتمر اسلامي عام في القدس، يدعى اليه كبار الائمة واعلام المسلمين في العالم العربي والاسلامي، على ان يتخذ المؤتمر الطابع الديني وحده ستارا له، واما الهدف الرئيسي من ورائه فهو اشعار سلطات الانتداب بان عرب فلسطين ليسوا وحدهم، فهناك الملايين من العرب والمسلمين يساندونهم.

ابتدأت الاستعدادات لعقد المؤتمر، وارسلت الدعوات باسم رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ومفتي الديار القدسية وقد جاء فيها ان الهدف هو من اجل (البحث في حالة المسلمين الحاضرة، وفي صيانة الاماكن الاسلامية المقدسة من الايدي الممتدة اليها الطامعة بها، وفي شؤون اخرى تهم المسلمين جميعا) (١).

وادركت السلطات البريطانية واليهود المقصد الرئيسي للمؤتمر فاخذوا يطلقون الاشاعات ويحركون خصوم المفتي لمقاومته، ولكن حملتهم لم تنجح.

وافتتح المؤتمر الاسلامي العام رسميا ليلة الاسراء في ٢٧ رجب ١٣٥٠ هـ واستمر انعقاده من ٧-١٧ كانون الاول ١٩٣١، واشترك في المؤتمر ١٤٥ مندوبا من جميع الاقطار العربية والاسلامية والواقع ان اهمية المؤتمر لم تكن في عدد اعضائه بمقدار منا كانت تكمن في نوعية الاعضاء ،فقد اجتمع حشد كبير من العلماء ومن الشخصيات السياسية الوطنية، فكان منهم العلامة الشيخ محمد رشيد رضا، والامام محمد الحسيني كاشف الغطاء، والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، وشاعر الاسلام المعروف الدكتور محمد اقبال، والامير سعيد الجزائري وعبد الرحمن عزام وشكري القوتلي، وعمر الداعوق، ومصطفى الغلاييني، وضياء الدين الطباطبائي، وشوكت علي زعيم مسلمي الهند.

وقام المؤتمر باستنكار جميع انواع الاستعمار وفي اي قطر من الاقطار الاسلامية وبالتحديد استنكر المؤتمر السياسة البريطانية الاستعمارية في فلسطين وكذلك في مصر والسودان، وبعض اقطار الجزيرة العربية، واستنكر المظالم التي ينزلها الطليان في طرابلس وبرقة، والفرنسيون في سوريا ولبنان والمغرب واما القرارات الرئيسية فكانت:

---

(١) الحوت، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص٢٤٣.

١ . وضع نظام لعقد المؤتمر كل سنتين

٢ . انشاء جامعة اسلامية في القدس باسم (جامعة المسجد الاقصى)

٣ . اسلامية البراق والتعاهد على الدفاع عنه.

٤ . ايجاد دائرة معارف اسلامية

٥ . تأسيس شركة زراعية لانقاذ الاراضي ومساعدة الفلاحين القرويين وارباب الحرف، وايجاد شركات تعاونية للتسليف.

وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية من خمسة وعشرين عضوا مقرها القدس وسكرتيرها العام ضياء الدين الطباطبائي.

وفي سنة ١٩٣٢ بوشر بتأليف الفروع واللجان وكان من أولها فرع المؤتمر في الهند فقد تأسس اثر اجتماع كبير ، كما الف فرع في برلين جرى فيه انتخاب ميرزا دانش امينا للسر(٢).

وفي فلسطين نفسها تأسست لجان فرعية متعددة وعقد اجتماع للجان الفرعية في القدس في ١١ اب ١٩٣٢ اعلن فيه ضياء الدين الطباطبائي المدير العام للمكتب عن قرب انشاء جامعة المسجد الاقصى واعلن ان هذه الجامعة سوف تضم ثلاثة اقسام، قسم العلوم الشرعية والالهية، وقسم الفنون والصناعة وقسم الطب والصيدلة(٣)

وباشر مكتب المؤتمر بجمع المال من الخارج لتنفيذ مشاريع المؤتمر وقرر المفتي القيام بجولة كبرى في البلدان الاسلامية وخاصة الهند، وسافر معه الزعيم

---

(٢) جريدة الجامعة العربية ، العدد ٩٨٣ ، كانون الثاني ١٩٣٣

(٣) جريدة الجامعة العربية ، العدد ٨٨٥ ، ١٢ آب١٩٣٢

المصري محمد علي علوبه وفي الهند انضم اليهما الدكتور محمد اقبال، وقد لقي الوفد نجاحا كبيرا وانهالت عليه التبرعات، فقد تبرع نظام حيدر اباد بمليون روبية كما تبرع سلطان البهرة بنصف مليون وبينما كانت التبرعات تنهال والوفد يزداد طمأنينة الى نجاح مهمته وصلت رسالة من الحكومة في لندن الى ويلنغتون نائب الملك في الهند تطلب منه عرقلة مساعي الوفد والحيلولة دون تحويل الاموال الى خارج الهند(٤)، وقام امين اللجنة الاسلامية في الهند فيروزخان باخبار المفتي بانه اطلع على برقية مرسلة من لندن الى نائب الملك يطلب اليه فيها ان يعامل الوفد بكل احترام، وان يعمل ما في وسعه على افشال مهمته لان نجاحه يخلق مشاكل سياسية لسلطات الانتداب في فلسطين.

ورأى اعضاء الوفد باعينهم، الحدود الضيقة التي وضعها الاستعمار امامهم وفرض عليهم عدم تخطيها فالاقطار العربية والاسلامية كلها كانت تعاني من ضغط الاستعمار، سواء كان بريطانيا ام فرنسيا ام ايطاليا.

الاسباب العامة للانتفاضة:

هناك مجموعة من الاسباب التي ادت الى انتفاضة ١٩٣٣ اهمها:

١. انتقال الاراضي لليهود، كان الفلسطينيون حتى سنة ١٩٣٢ على شيء من الامل ولكنه زال مع الزمن، كانوا يعتقدون انهم بفضل الصبر يتمكنون من اقناع المسؤولين البريطانيين بعدالة قضيتهم ولكن السياسة البريطانية كانت تعمل على انتزاعهم من ارضهم واعطائها لليهود.

ونشط اليهود في الحصول على الاراضي باساليب عديدة، فقد منحتهم السلطات البريطانية ٣٠٠ الف دونم مجانا من املاك الدولة ومئتي الف اخرى

---

(٤) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين، ص١٦٠

بأجر رمزي واشترت الوكالة اليهودية ٦٠٠ الف دونم من ملاكين لبنانيين وسوريين كانوا قد حصلوا عليها ايام الدولة العثمانية عن طريق قانون استصلاح الاراضي(٥)، كما ازدادت ضغوط حكومة الانتداب على الفلاحين العرب لبيع اراضيهم لليهود عن طريق السماسرة وذلك لكثرة الضرائب التي فرضتها عليهم، مما اثقل كواهلهم بالضرائب والديون.

٢. تسليح المنظمات اليهودية: اخذت بريطانيا تسلح المنظمات اليهودية خفية، وتدربها على حرب العصابات، كما اسست مدرسة تدريب سرية جنوب شرق حيفا، واخذ اليهود بناء على دعم السلطات البريطانية يسفرون عن عدائهم واخذ زعماؤهم يدعون الى استعمال القوة لتحقيق الأهداف الصهيونية.

لقد كان اليهود عازمين على احتلال فلسطين بالقوة، وما كان الانتداب البريطاني غير مرحلة انتقال لحمايتهم تسبق المرحلة التي يغدون فيها اكثرية فينتقلون الى الهجوم.. و لقد اثبتت الاحداث صحة هذه المقولة فقد كانوا في مستعمراتهم يعيشون في نظام الثكنة العسكرية ويتدربون عسكريا، وبعد الحرب العالمية الاولى جاء الى فلسطين اكثر اعضاء الفيلق اليهودي وكان عدده ٥٠٠٠ ليكونوا نواة الهاجاناة، وازداد هذا التنظيم حتى غدا ١٥٠٠٠ في بداية الحرب العالمية الثانية، وكانت السلطات البريطانية تعطف عليهم وتشجعهم وتمدهم بالسلاح.

٣. تدفق الهجرة اليهودية: في عام ١٩٣٣ تدفقت الهجرة اليهودية على فلسطين بشكل مثير خطير، وكانت تتم على نوعين: نوع يتم بعلم الحكومة البريطانية ونوع يتم عن طريق التسلل والتهريب، واثارت هذه الهجرة بنوعيها مخاوف العرب كما اثارت جوا من القلق، فقد دخل البلاد من اول نيسان إبريل

---

(٥) المارديني ، زهير: الف يوم مع الحاج امين ، ص٧٢

الى اول ايلول سبتمبر ١٥ الف مهاجر يهودي، وطالبت المنظمات الصهيونية ب٢٤ الف تأشيرة دخول للاشهر الستة التالية، واتخذ المؤتمر الصهيوني المنعقد في براغ في آب١٩٣٣ قرارا ناشد فيه الحكومة البريطانية فتح فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة حتى يمكن تحويل فلسطين الى وطن قومي يهودي(٦).

مظاهرات ١٩٣٣:

عندما تدفقت الهجرة اليهودية على فلسطين وبعد ان يئست الحركة الوطنية الفلسطينية من اللجان البريطانية وتقاريرها جددت نشاطها الجهادي، وتعتبر سنة ١٩٣٣ من ابرز سنوات الجهاد الشعبي الفلسطيني.

وقد سبق هذه الانتفاضة وادى الى قيامها نهوض فكري تزعمه شباب فلسطين واحزابها كان يدعو الى توجيه الكفاح الفلسطيني ضد الانجليز مباشرة وليس ضد اليهود فقط، وقد لاقت هذه الافكار استجابة شعبية، فوجدنا جريدة الجامعة العربية تقول في احدى مقالاتها «*أركلوا هؤلاء الصهيونيين باقدامكم، وقفوا وجها لوجه امام بريطانيا العظمى، فالصهيونية ليست سوى مشروع اجرامي تشجعه بريطانيا وتحميه بحراب جنودها، وهي تهدف الى قمع العرب واخضاعهم لارادتها*» (٧).

وبدأ التحرك بانعقاد مؤتمر الشباب في يافا يوم ٢٦ اذار١٩٣٣ والذي حضره نحو الف شخص من مختلف مدن فلسطين وقراها وكان بينهم اعضاء اللجنة التنفيذية، وتبنى المؤتمر برنامجا للجهاد ضد حكومة الانتداب يقوم على مبدأ اللاتعاون، والعصيان المدني.

---

(٦) الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث ،ص٢٧٧

(٧) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٣٧ ، عام ١٩٨٨ ،ص٤٠

وفي ٨ تشرين الاول اجتمعت اللجنة التنفيذية برئاسة الشيخ موسى كاظم الحسيني، وتبنت افكار مؤتمر الشباب، ووضعت لذلك برنامجا صدر في بيان مفصل يقوم على اساس القيام بسلسلة مظاهرات، يصاحبها الاضراب العام والامتناع عن دفع الضرائب، واضراب الموظفين، ويصاحب هذا البرنامج ويمهد له سلسلة من الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية تعقد في جميع المدن والقرى على اوسع نطاق لتوعية الشعب، وتعريفه بواجباته في هذا البرنامج الطويل المدى، وتقرر ان تكون المظاهرة الاولى في القدس وبعدها بأسبوعين في يافا ثم في نابلس ثم في الخليل وهكذا.

مظاهرة القدس:

في يوم الجمعة ١٣ تشرين الاول اكتوبر ١٩٣٣ جرت المظاهرة الاولى في القدس وصاحبها اضراب عام في جميع فلسطين، واشترك في المظاهرة جميع اعضاء اللجنة التنفيذية الذين جاؤوا الى القدس مع وفود كبيرة من جميع انحاء فلسطين، وسار على رأسها رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم باشا الحسيني، وكان قد جاوز الثمانين من عمره، وضمت المظاهرة جماهير غفيرة من سكان القدس وقراها فبلغ عدد المتظاهرين حوالي ٣٠ الف متظاهر.

انطلقت المظاهرة من المسجد الاقصى بعد صلاة الجمعة واتجهت الى باب السلسلة فباب الخليل متحدية اوامر البوليس المسلحين بالهراوات، وخلفهم سيارات محملة بالجنود المسلحين بالبنادق وتكاد السيارات تغلق الطريق اغلاقا كاملا، ويظهر ان السلطة كانت عازمة على منع خروج المظاهرة خارج اسوار البلدة القديمة وان لا تحاول تفريقها داخلها لصعوبة ذلك.

لم تخرج المظاهرة خارج باب الخليل وانما توجهت الى الباب الجديد حيث انطلقت خارج السور، وهنا كانت حواجز الشرطة اضعف منها في باب الخليل،

وفي وسط هدير الاناشيد والاهازيج الشعبية اصطدمت الجماهير برجال البوليس، واجتازوا حاجزا يؤدي الى باب العمود خارج السور، وعند باب العمود وحي المصرارة دارت معارك الحجارة مع رجال البوليس الخيالة..

ثم تفرقت المظاهرة ولم يقتل فيها احد وسقط جرحى كثيرون، وكاد الرئيس موسى كاظم يهوي على الارض اعياء، ثم ادخل الى مدرسة استراح فيها(٨).

واذاعت الحكومة بلاغا رسميا انذرت فيه الشعب باستعمال القوة لفض اية مظاهرة تجري في البلاد، فرد موسى كاظم على بلاغ الحكومة ببيان اصدره في ٢٣ تشرين الاول يدعو فيه الشعب الى التظاهر في مدينة يافا.

مظاهرة يافــــا:

في يوم الجمعة ٢٧ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٣٣ جرت المظاهرة الثانية في مدينة يافا، فمنذ الصباح الباكر امت المدينة وفود كبيرة جدا من جميع انحاء فلسطين، وعلى رأسها اعضاء اللجنة التنفيذية وبينهم الرئيس موسى كاظم باشا الحسيني، وكانت الحشود الشعبية تملأ الشوارع منذ الصباح والاضراب العام يعم المدينة ودوريات البوليس والخيالة تجوب الشوارع تحاول تفريق الناس الذين تسلحوا بالعصي والحجارة، وكانت الحكومة قد اعلنت عن منع المظاهرات واعتبارها غير مشروعة ومنعت حمل السلاح والعصي، او تجمهر اكثر من ثلاثة اشخاص فحاولت الشرطة منذ الصباح تفريق الجماهير المحتشدة في الشوارع فوقعت اصطدامات هنا وهناك قتل فيها احد رجال البوليس البريطاني وسقط عدد من الجرحى العرب.

---

(٨) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٣٧ ، عام ١٩٨٨ ،ص٤١

وبعد صلاة الجمعة انطلقت الجماهير الغفيرة وقدر عددها بـ٥٠ الف شخص من الجامع الكبير، تطالب بوقف الهجرة ووقف انتقال الاراضي لليهود وقرب السراي، مركز قيادة الشرطة اعترضت المظاهرة حواجز ضخمة من رجال البوليس وحرس الحدود (وكانوا نحو الف رجل)(٩) الذين حاولوا تفريق المظاهرة في البداية بالعصي ولكنهم فشلوا في ذلك وهربوا من امام الجماهير عدة مرات واحتموا بالسراي وبعد ذلك استخدم البوليس الاسلحة النارية، واطلق الرصاص بغزارة قرب السراي ثم عم اطلاق النار جميع الشوارع، وقام حاكم يافا البريطاني باصدار اوامره لبعض الجنود بقتل الرئيس موسى كاظم وجمال الحسيني والشيخ عبد القادر المظفر واميل الغوري، وحدث صدام كبير وسقط القتلى بالعشرات والجرحى بالمئات وظلت الاشتباكات الدامية حتى الساعة الخامسة، بعد الظهر واسفرت عن سقوط نحو ١٠٠ شهيد واكثر من ٢٠٠جريح وهلك سبعة من الانجليز وجرح (٣٧) منهم، وذكرت المصادر الحكومية ان عدد الشهداء (٣٠) وعدد الجرحى (٧٨) وقتل شرطي واحد وجرح ٢٥ شرطيا(١٠) وقام الانجليز بالقاء القبض على عدد كبير من قادة الحركة الوطنية وكان من بين الجرحى الشيخ موسى كاظم وقد توفي بعد ذلك في آذار ١٩٣٤ متأثرا من هذا الحادث. وقد نقلت الوفود العائدة من يافا الى مدنها اخبار هذه المذبحة ونقلت معها بعض الشهداء والجرحى، فهاجت الخواطر، مما ادى الى قيام مظاهرات واضطرابات متعددة في كثير من المدن طوال ذلك الاسبوع.

ولما توجه وفد من اللجنة التنفيذية الى مقابلة المندوب السامي ليعرض عليه المطالب الوطنية كان الجواب هو الرفض وامعانا منه في الغطرسة والارهاب امر بتحليق ثماني عشرة طائرة في سماء القدس(١١).

---

(٩) ياسين، عبد القادر : كفاح الشعب الفلسطيني، ص١٤٤

(١٠) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٣٧، عام ١٩٨٨ ،ص٤٢

(١١) مجلة العرب، العدد٥٨ في ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٣.

وجرت محاكمة المعتقلين أمام القاضي البريطاني، ولما صدرت الاحكام القضائية في ١٩ اذار مارس١٩٣٤ كان المحكومون لمدة عشرة اشهر مع الاشغال الشاقة كلا من[١٢]:

عزة دروزه، فريد فخر الدين، جمال الحسيني، عبد القادر المظفر، يعقوب الغصين، عوني عبد الهادي، سعيد الخليل، سليم عبد الرحمن، ادمون روك، صليبا عريضه، واما المحكومون لمدة خمسة اشهر مع الاشغال الشاقة فكانوا، محمد علي الغصين، نمر المصري، عبد الغني سنان، رفيق مناع، خاشو بيطار.

وبعد ان دخلوا السجن مدة قصيرة عرضت عليهم السلطات الخروج بكفالة وتعهد، وكان الوحيد الذي رفض التوقيع على تعهد بحسن السلوك هو الشيخ عبد القادر المظفر، وفي حديث له اثر صدور الحكم قال، « اني اعتبر الحكم ضئيلا بالنسبة للسياسة الجائرة المتبعة في البلاد، فما خطر العشرة أو الخمسة اشهر اذا هي قورنت بحكم السياسة الجائرة على مليون عربي بالاعدام هم ونسلهم واعقابهم في فلسطين»[١٣].

وقد اكبر الشعب موقف المظفر وقدر له هذا الثبات في وجه المستعمرين، وحياه الشاعر ابراهيم طوقان بقصيدة بعنوان (الى الاحرار) نظمها في ١٩٣٤/٧/٧[١٤].

(١٢) الحوت، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٢٩١-٢٩٢

(١٣) جريدة فلسطين، العدد(١٨-٢٥٩١) ، ٢١ اذار ١٩٣٤م

(١٤) راجع كتاب(اعلام الجهاد في فلسطين) الجزء الثالث ، ص١٣٧ -١٤١ وديوان ابراهيم طوقان ص١٩٤٦

مظاهرة القدس الثانية:

يروي احداث هذه المظاهرة احد المجاهدين الذين اشتركوا فيها، وهو الاستاذ بهجت ابو غربية فيقول(١٥):

«بعد مظاهرة يافا بيومين اي في يوم الاحد ٢٣٩ تشرين الاول اكتوبر ١٩٣٣ وعلى اثر انتشار اخبار مظاهرة يافا، نظم اعضاء النادي العربي والنادي الاسلامي وهما ناديان رياضيان في القدس مظاهرة شعبية وكنت وعدد من اصدقائي اعضاء في النادي الاسلامي.

انطلقت المظاهرة من المسجد الاقصى بعد صلاة العصر واتجهت الي حي باب السلسلة، وكنت مشاركا في هذه المظاهرة فسرنا صفوفا وقد تسلحنا بالعصي والحجارة والسكاكين والشباري، ننشد الاناشيد الوطنية فتردد صداها جدران البلدة القديمة وقناطرها، ولما وصلنا الى قرب مقهى الباشورة (داخل اسوار القدس) وكان هناك حاجز من رجال البوليس فحاول افراده تفريقنا باعقاب البنادق، واشتبكت مقدمة المظاهرة معهم اشتباكا لم يستغرق نصف دقيقة، واذا بالبوليس يفتح النار على المتظاهرين فاختلطت اصوات الرصاص بنشيد الجماهير:

نحن جند الله شبـــــان البلاد نكره الذل ونـأبى الاضطهاد

فارفعوا الاعلام وامشوا للجهاد حيث اعدانا تمادوا في الغرور

وتبين ان البوليس لا يطلق الرصاص لمجرد تفريقنا بل لتقتيلنا في تلك الشوارع الضيقة، حيث سدد الرصاص الى صدور الجماهير المترامية فكانت

---

(١٥) مذكرات بهجت ابو غربية:مجلة القدس الشريف- العدد٣٧،عام١٩٨٨ ،ص٤٢-٤٣

الرصاصة الواحدة تخترق عدة اشخاص، فسقط العشرات قتلى وجرحى فورا وتفرق المتظاهرون في الازقة المتفرعة عن طريق حي السلسلة، ومع ان اطلاق النار لم يستمر اكثر من دقائق فقد سقط فورا تسعة شهداء وحوالي خمسين جريحا .

وكانت هذه المظاهرة اول مناسبة اتعرض فيها للنار، فقد كنت في الصفوف الاولى من المظاهرة وكنت معرضا للموت في كل لحظة وسقط من حولي القتلى والجرحى وتلطخ وجهي وملابسي بالدماء، ولكني وصلت الى مكان آمن (حوش المرضات) دون ان اصاب باذى وعند دخول الحوش شاهدت عشرات الجرحى على الارض، وتملكني الغيظ ولعنت الانجليز وعدت ادراجي الى مكان وقوف البوليس بعد ان توقف عن اطلاق النار، وشاركت في نقل القتلى والجرحى، ثم توجهت الى باب الخليل عن طريق حارة النصارى لاحضار الاطباء، وعند التقاء حارة النصارى بطريق (السويقة) اطلقت النار على جمهور من الشباب لحظة وصولي الى المكان وتقدم البوليس مقتحما الشارع وهو يطلق النار بغزارة فعدت راكضا الى حارة النصارى ومنها سرت مخترقا الازقة الى باب الخليل، وما كدت اصل الى قرب قلعة باب الخليل واذا بالرصاص يطلق بغزارة وعلمت فيما بعد ان الرصاص اطلق في نفس الوقت على المصلين المنصرفين من المسجد الاقصى في حي الواد فقتل بعض الاشخاص دون ان يكونوا في حالة تظاهر، كما اطلقت النار قرب باب الساهرة، وكان ذلك يعني ان الحكومة قررت استعمال اقصى درجات الارهاب لاخماد الانتفاضة الشعبية تنفيذا لتهديدات الحكومة التي اعلنت في نشرات الصقت على الجدران جاء فيها انه (ستطلق النار لتفريق كل تجمهر يزيد على ثلاثة اشخاص) ومنذ ذلك اليوم نشأ في صدري حقد عميق على الانجليز صارت معه امنيتي الكبيرة ان اقتل انجليزيا اواكثر) .

مظاهرة نابلس:

واستمرت الانتفاضة واستمرت الاضطرابات وفي يوم الجمعة التالي تشكلت مظاهرة كبيرة في مدينة نابلس، وقد احتاط الناس فيها مستفيدين من تجارب يافا والقدس، فتمركز عدد من الرجال المسلحين في الجبال المشرفة على المدينة، وبسبب ذلك ولكون المدينة تخلو من اليهود على حد قول السلطات، لم يخرج رجال البوليس الى الشوارع ومرت المظاهرة بسلام باستثناء حرق احد المتاجر الاجنبية (محلات سبينيز) الانجليزية.

مظاهرة الخليل:

وفي مظاهرة الخليل ايضا لم يقع اصطدام بين الشرطة والجماهير وشعر الناس ان سلطة الدولة بدأت تتضاءل. وسرعان ما انتقلت الشرارة الى حيفا، حيث هاجم الفا متظاهر محطة سكة الحديد ومركز البوليس فيها واقتحموها.

وفي صفد والناصرة وطولكرم حدثت صدامات دامية بين البريطانيين والمتظاهرين العرب، ونسف الثائرون في طولكرم خط سكة الحديد المار بالبلدة ولما لم يتمكنوا من تفريق المتظاهرين، عمد البريطانيون الى استخدام طائراتهم الحربية لهذا الغرض، وفي جنين اضرمت الجماهير النار في مبنى الحكومة واستولت على اسلحة رجال الشرطة، وفي عدة اماكن تم قطع خطوط التلفون والتلغراف وتوقف السفر بين المراكز الرئيسية في البلاد، وانقطع الاتصال مع مصر وسوريا وفي ٢ تشرين الثاني عزلت القدس عن العالم الخارجي، وعندما اضربت الصحف اصدرت حكومة الانتداب صحيفة باللغة العربية مزقتها الجماهير اينما وجد نسخ منها(١٦).

---

(١٦) الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث ،ص.٢٨٠-٢٨١

وامتنعت الجماهير طيلة مدة الانتفاضة عن دفع الضرائب على نطاق واسع، وانخفضت وارادت الحكومة انخفاضا كبيرا، وبالرغم من كل اساليب الارهاب والقسوة التي اتبعتها الحكومة استمر الامتناع عن دفع الضرائب لفترة طويلة من الزمن، حتى بعد ان توقفت الانتفاضة ودخل السجن اشخاص عديدون لهذا السبب.

وقد اضرب الموظفون بعد مرور اسبوعين او ثلاثة اسابيع على بدء الانتفاضة التي اخذت شكل عصيان مدني، ونجح الاضراب نجاحا باهرا بين صغار الموظفين، وقد تأثرت اعمال الحكومة بهذا الاضراب الى حد بعيد، فشلت شللا كبيرا ،لان اغلبية صغار الموظفين كانوا من العرب(١٧).

وتدفق تأييد الشعوب العربية للانتفاضة، فشاركت وفود من سوريا وشرق الاردن في مظاهرة يافا، وفي دمشق اشتبك المتظاهرون مع الشرطة الفرنسية حيث سقط العديد من القتلى والجرحى السوريين، وهتفت مظاهرات الموصل وبغداد بسقوط الاستعمار والصهيونية، وقامت مظاهرات في عمان استمرت اربعة ايام متوالية هاجم المتظاهرون خلالها الجنرال البريطاني جلوب ورجموه بالحجارة وحطموا سيارته، كما رجموا بالحجارة المعتمد البريطاني الكابتن كوكس، ودخل من شرق الاردن الى فلسطين نحو الفي بدوي مسلح لمساندة الثوار الفلسطينيين، وعقدت مؤتمرات جماهيرية في مصر وتونس والحبشة والهند مؤازرة وتضامنا مع الانتفاضة، وقد عبر هذا التضامن عن مدى فعالية الشعوب العربية والاسلامية التي نجحت في تخطي التقسيمات التي فرضها عليها الاستعمار.

وقامت لجنة السير وليم موريسون، بوضع تقرير عن الانتفاضة رفعته

---

(١٧) مذكرات بهجت ابو غربية :مجلة القدس الشريف - العدد ٣٧ ، عام ١٩٨٨ ،ص٤٥

للمندوب السامي في شباط (فبراير) ١٩٣٤ وقدرت فيه عدد القتلى بـ٢٦عربيا وشرطي واحد، اما الجرحى فكانوا ١٨٧ عربيا و٥٦ شرطيا ويستنتج موريسون من هذا ومن ظواهر اخرى ان العرب في هذه الانتفاضة هاجموا - ولأول مرة - حكومة الانتداب واتهموها بالتحيز للصهيونيين ويؤكد المندوب السامي لوزير المستعمرات البريطاني ان الانتفاضة كانت معادية للاستعمار البريطاني، اذا لم تقع اعتداءات على اليهود، وفي نفس التقرير ارجع المندوب السامي سبب الإنتفاضة الى اتساع الهجرة اليهودية، ونمو الشعور القومي(١٨).

امتدت الانتفاضة ستة اسابيع وجرت المظاهرات فيها رغم الحظر الحكومي ورغم اخماد الانتفاضة الا انها اظهرت البسالة الفائقة لجماهير العمال والفلاحين ومدى تضامن الشعوب العربية والاسلامية في مواجهة الاستعمار.

واذا كان الاستعمار البريطاني قد نجح في قمع الانتفاضة، الا انه لم يستطيع منع بقاء النار تحت الرماد فاستمرت البلاد تغلي وتتفجر فيها الحركات الثورية هنا وهناك حتى قامت حركة القسام وثورة١٩٣٦ تتويجا لفترة النهوض الثوري في فلسطين(١٩).

تهيئة الشعب واعداده للجهاد:

كان معظم زعماء فلسطين وقادتها قبل عام ١٩٣٠ يعتقدون او يظنون بانه في الامكان الوصول الى حل معقول ومقبول لقضية فلسطين عن طريق الاتصال ببريطانيا ومفاوضتها والدعاية في اوساطها لاقناعها بخطر سياستها على العرب، وقد برز هذا الاتجاه السياسي الفلسطيني خلال ١٩١٩ -١٩٣٠ في سلسلة المباحثات التي جرت مع الانجليز، والوفود التي امّت بلادهم

(١٨) الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث ،ص٢٨٢

(١٩) ياسين ، عبد القادر : كفاح الشعب الفلسطيني ، ص١٤٨

والاتصالات الكثيرة التي جرت مع حكامهم في فلسطين، وفي نفس الوقت كان عدد من العلماء وفي مقدمتهم الحاج امين الحسيني والشيخ عز الدين القسام يرون بان السبيل الوحيد للحفاظ على فلسطين والحيلولة دون تهويدها هو سبيل الجهاد..

وبدأ الشيخ القسام في اواخر العشرينات من هذا القرن باعداد مجموعات من الشباب في مدينة حيفا وما حولها على الجهاد.. واما الحاج امين ففي الوقت الذي كان يقوم فيه بواجباته نحو وطنه وامته ويسعى لايجاد الاجواء التي يمكن ان يقوم جهاد صحيح في ظلالها، فانه ظل ينتظر بثقة واطمئنان ان تنجلي للشعب الفلسطيني حقيقة عدم جدوى الاعتماد على إحتمال حدوث تبديل او تغيير في السياسة البريطانية، فيتجه بحافز الحرص على قضيته وسلامة وطنه نحو الاعتراف بان الكفاح المسلح والجهاد الحق ينطوي على الامل الوحيد لانقاذ فلسطين من اخطار الاستعمار والصهيونية.

وبدأ هذا التغيير المنتظر في شعور الشعب واتجاهه بعد ثورة ١٩٢٩ وما عقبها من احداث وتطورات كان من ابلغها سحب بريطانيا لكتابها الابيض لعام ١٩٣٠، فتحطمت بذلك اسطورة فوائد التعاون مع الانجليز وخرافة مزايا الدعاية والمفاوضة والاتصال!! واصبحت تربة الرأي العام الفلسطيني صالحة الى مدى بعيد للتهيئة والاعداد والتنظيم لمحاربة الحكم البريطاني مباشرة، فسارع الحاج امين الى اغتنام هذه المناسبة وانطلق يضاعف جهوده ومساعيه، بما كان لديه من وسائل وامكانات -وكانت محدودة وضئيلة - لاعداد الشعب والبلاد لجهاد اسلامي صحيح، يعاونه في مهمته فئة قليلة مؤمنة من اخوانه العاملين الذين نذروا انفسهم وارواحهم واموالهم فداء لارض الاسراء والمعراج.

يقول الاستاذ إميل الغوري في كتابه (فلسطين عبرستين عاما):(٢٠)

(٢٠) الغوري ، اميل: فلسطين عبر ستين عاما . ص٢٤٦

وضع المفتي مخططا عاما للعمل الثوري الجدي، تضمن الوسائل والاساليب التي يجب ان تنتهج لتحقيقه، والسبل والطرق التي يتحتم اتباعها لبلوغ اهداف هذا المخطط وليس من شك في ان وجود المفتي على رأس المجلس الاسلامي الاعلى، وما يتبعه من دوائر واجهزة ومن يعمل تحت لوائه من علماء وقضاه وأئمة ومرشدين ومدرسين وموظفين، كان من العوامل الرئيسة التي مكنته من تحقيق اعمال التهيئة والاعداد.

عمل المفتي على تشكيل فرق كشفية ورياضية ونواد ادبية في المدارس الاهلية التابعة للمجلس وبعض المعاهد الوطنية المستقلة، وذلك لغرض تنظيم الشباب وتهيئته وطنيا ونشر المبادىء السليمة في اوساطه، ليكون عدة منيعة للحركة الثورية القادمة، ثم شكل منظمة (الجوال المسلم)، فضمت نيفا والفي عضو لخدمة قضية فلسطين والدفاع عنها، وشكل المفتي جمعيات من العلماء والوعاظ، باسم (جمعيات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وكان من اهدافها وواجباتها ازالة الاختلافات والمنازعات في المدن والقرى، وتوعية الشعب والحض على مكارم الاخلاق والمبادىء السامية ومقاومة بيع الاراضي لليهود.

وركز الحاج امين اهتمامه وعنايته على الحصول علي السلاح فالف لجانا خاصة من شبان فلسطينيين لشراء السلاح من داخل فلسطين نفسها، ومن سوريا ولبنان وشرق الاردن والعراق ونقله الى فلسطين، وكان المفتي والعاملون معه قد اعدوا عدة مراكز سرية في مختلف انحاء البلاد لاخفاء الاسلحة والعتاد فيها، لتوزيعها في الوقت المناسب على المجاهدين، واقاموا مراكز سرية في عدة مناطق فلسيطنية لتدريب الشبان المؤهلين على استعمال السلاح وحرب العصابات واستعان للقيام بمهمة هذا التدريب بعدد من كبار الضباط العرب المتقاعدين، وبنفر من الضباط الشبان في سوريا والعراق.

ولما توفرت كميات من الاسلحة في فلسطين، وبدأت عمليات التسليح

والتدريب،شكل المفتي عصابات مسلحة من الوطنيين الصامدين في بعض انحاء فلسطين،خاصة في اقضية صفد والناصرة وبيسان وعكا في شمال البلاد .(٢١) وانطلقت هذه العصابات الى مقاتلة الحكم البريطاني وازعاجه وارهاب اليهود وتخويفهم، فقامت بمناوشة القوات البريطانية والتصدي لدوريات الشرطة ونصب الكمائن لها، وتخريب طرق مواصلاتها، ومهاجمة حرس المستعمرات اليهودية، وكانت هذه العصابات بالاضافة الى المجموعات التي اعدها الشيخ القسام هي التي شغلت الرأي العام خلال ١٩٣١-١٩٣٥ دون ان يعرف احد شيئا عن كيفية تشكيلها والجهاز الذي يديرها ويوجهها ويشرف عليها .

وابتداء من سنة ١٩٣٠ كان الناس يسمعون عن اصطدامات مسلحة تقع بين الفينة والفينة، بين اشخاص مجهولين وبين قوات الحكومة في مختلف انحاء فلسطين وبصورة خاصة في جبال صفد والجليل.ومرج ابن عامر ومنطقة حيفا، ولم يكن الشعب يعرف حقائق عن هذه الاصطدامات واسبابها ودوافعها، وعلى الرغم من اطار السرية والكتمان الكثيف الذي ظل يحيط بهذه العصابات ورجالها فان الرأي العام الفلسطيني اعتبرهم من المجاهدين وانطلق يمجد اعمالهم ويشيد بجهودهم.

منظمة الجهاد المقدس:

ان تطور الاحداث في فلسطين دفع القادة الصادقين، والشباب المؤمن الى التهيئة والاعداد والتنظيم السري لمحاربة الحكم البريطاني، وثمة عامل خطير حتم على العاملين وجوب الاسراع في العمل والاعداد، فقد قام اليهود بتهريب الاسلحة والاعتدة على نطاق واسع، وتوزيعها على المستعمرات اليهودية، كما قاموا بتشكيل عصابات سرية للارهاب والتخريب.

---

(٢١) كان الشيخ علي رضا النحوي مسؤولا عن التنظيم السري الذي بدأ تكوينه في اوائل الثلاثينات بشمال فلسطين.

بالاضافة الى التنظيم السري للجهاد الذي كان ينشط في المناطق الشمالية من فلسطين، فقد تكون تنظيم اخر في المناطق الجنوبية وخاصة في القدس كونه الشباب الوطنيون المؤمنون بين عام ١٩٣٣-١٩٣٥ وعقدوا لواء قيادته لعبد القادر الحسيني واطلقوا عليه اسم (الجهاد المقدس).

وبعد مرور مدة غير طويلة من الزمن اشتدت خلالها اعمال العصابات وعمليات التأديب وتفجير القنابل والالغام في المستعمرات اليهودية في لواء حيفا، حدثت المفاجأة وظهرت الحقيقة المذهلة، وهي ان المفتي نفسه كانت الجهة المجهولة وراء هذه العصابات الوطنية واعمالها وانه قد بدأ بتشكيل وانشاء تنظيم سري للتسلح والتدريب والاعداد، فور انتهاء ثورة آب ١٩٢٩ وبصورة خاصة بعد ان رضخت وزارة (ماكدونالد) البريطانية لادارة اليهود فسحبت كتابها الابيض لعام ١٩٣٠ كتاب اللورد باسفيلد.

وبعد مدة وضع الشبان الوطنيون الاولون انفسهم ومنظماتهم وما كانوا قد جمعوه من اسلحة تحت تصرف المفتي، فلما توحدت الجهود شكل المفتي لجنة مركزية للجهاد كان من اعضائها، عبد القادر الحسيني، وعارف الجاعوني، والشيخ موسى العيزراوي، وعبد الفتاح المزرعاوي، ونافذ الحسيني، واميل الغوري وجميل الفارس، وموسى الصوراني، والشيخ ابراهيم الصانع(٢٢).

ومن ناحية اخرى كان الشيخ عز الدين القسام يعمل في شمال فلسطين على تشكيل منظمات سرية - بالتنسيق مع الحاج امين - لمحاربة الانجليز والمستعمرين الصهيونيين وبعد استشهاد القسام تولى خليل ابراهيم (ابو ابراهيم الكبير) قيادة القساميين والقتال في شمال فلسطين.

---

(٢٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الرابع ،ص٣٤

وعمل المفتي على تشكيل اللجنة المركزية للجهاد التي تولت الاشراف على ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ والتنسيق بين مختلف التشكيلات المقاتلة في الثورة، ولا سيما العاملة في المناطق الوسطى والجنوبية حيث كانت تعمل قوات جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وهكذا قامت في فلسطين في صيف ١٩٣٥ منظمة فلسطينية عامة واختار المفتي عبد القادر الحسيني قائدا لها، وكانت تحت اشراف المفتي ورئاسته السرية المباشرة، وهي (منظمة الجهاد المقدس) التي تولت اعمال الجهاد في فلسطين حتى عام ١٩٤٨م(٢٣).

نتائج الانتفاضة:

اسفرت انتفاضة عام ١٩٣٣ عن القيام بخطوات عملية على الساحة الفلسطينية، اهمها:

اولا- مقاومة بيع الاراضي، عندما ازدادت الضغوط على الفلاحين العرب لبيع اراضيهم لليهود، وازداد بالتالي نشاط السماسرة، ادى هذا الى حملة صحفية واسعة كانت تنشر خلالها اسماء السماسرة واسماء البائعين.

وكانت اول مدينة انتصرت على مشكلة بيع الاراضي الى حد بعيد مدينة يافا، فقد زار وفد منها المفتي في القدس واعلن الزائرون امامه وقف اراضي قراهم وقفا ذريا حتى لا يباع شيء منها لليهود، وطلبوا منه مساعدتهم في ذلك، وكانت النتيجة ان توقفت حركة البيع نهائيا في ستين قرية من قضاء يافا(٢٤).

---

(٢٣) الغوري، اميل: فلسطين عبر ستين عاما. ص٢٤٤

(٢٤) جريدة الجامعة العربية، العدد ١٥٢٧، ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٥

وازاء هذه المشكلة الخطيرة توجهت الانظار كلها الى المفتي، ولكنه لم يشأ اللجوء الى العنف في هذه المرحلة وانما قرر اللجوء الى اسلوبين، الاسلوب الفعلي عن طريق الاقناع والاسلوب العاطفي عن طريق الوازع الديني·

ففي الاسلوب الاول كان كلما سعى السماسرة الى شراء ارض من اي قرية كان يرسل اليها وفدا من العلماء ويجتمع الوفد مع اهالي القرية ويحثهم على عدم بيع اي ارض لا لليهود ولا للسماسرة ويحثهم على التمسك باراضيهم مهما كان الثمن مغريا ومهما لاقوا من ضغوط من السلطة الحاكمة·

واما الاسلوب الثاني فقد تجلى في عقد الاجتماعات والمؤتمرات العامة للتأكيد على الوازع الديني وكان اول الاجتماعات في ٢٨ كانون الأول ١٩٣٤ في القدس واما اهمها فكان الاجتماع الديني الكبير الذي عقد في القدس ايضا واطلق عليه اسم مؤتمر علماء فلسطين الاول وذلك في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٥ وقد حضره عدد كبير من المفتين والقضاة والمدرسين والائمة والخطباء والعلماء، وكان واضحا ان الهدف الرئيسي للمؤتمر استصدار فتوى دينية بتحريم بيع الارض لليهود·

وكان للمؤتمر اثران مهمان، الاول يتلخص في الفتوى الخطيرة التي اجمع عليها الحاضرون وهي (ان بائع الارض لليهود في فلسطين سواء كان ذلك بالذات مباشرا ام بالواسطة وان السمسار والمتوسط في هذا البيع والمسهل له والمساعد عليه باي شكل مع علمهم بالنتائج المذكورة كل اولئك ينبغي ان لا يصلى عليهم ولا يدفنوا في مقابر المسلمين ويجب نبذهم ومقاطعتهم واحتقار شأنهم وعدم التودد اليهم والتقرب منهم، ولو كانوا آباء او ابناء او اخوانا او ازواجا) (٢٥).

(٢٥) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٢٩٥

واما الاثر الثاني فهو القرار بتشكيل جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، مركزها القدس ورئيسها رئيس المؤتمر المفتي الاكبر، واعضاء المؤتمر هم اعضاء طبيعيون فيها، واما المفتون والقضاة فهم رؤساء الفروع .ومن ابرز واجباتها التشهير باسماء السماسرة وتحذير الامة منهم.

واراد المفتي اشراك العالم الاسلامي في قضية تحريم بيع الارض دينيا، فنشر في الصحف فتاوى لعدد من كبار العلماء من خارج فلسطين، ومنها فتوى العلامة الشيسخ رشيد رضا التي جاء فيها (ان من يبيع شيئا من ارض فلسطين وما حولها لليهود او للانجليز فهو كمن يبيعهم المسجد الاقصى وكمن يبيع الوطن كله) وجاء في فتوى المجتهد الكبير محمد الحسين آل كاشف الغطاء بان هؤلاء هم الخوارج عن الدين، فلا اقل من المقاطعة البليغة واخراجهم من حظيرة الاسلام وحوزة المسلمين وعدّهم في عداد المرتدين)

ورافق الحملة الواسعة ضد السماسرة وبائعي الاراضي جولة في المناطق والقرى المتعددة كان يقوم بها المفتي مع عدد من العلماء والزعماء الفلسطينيين.. كما قام المجلس الاسلامي الاعلى بشراء ارض المعوزين، واتخذ قرارا بمنع بيع ارض القاصر واشترى اراضي بعض القرى وسجلها وقفا باسم سكانها(٢٦) .

واستمر نشاط انقاذ الاراضي على هذا النحو، الا ان تطوّر الاحداث السياسية بعد اندلاع الثورة عام ١٩٣٦ كان سببا مباشرة في استبدال الاسلوب السلمي باسلوب العنف، حيث قام قادة الثورة بقتل عدد من السماسرة وبائعي الاراضي، بعد تحذيرهم من هذا العمل، وتماديهم فيه.

---

(٢٦) الدباغ ، مصطفى بلادنا فلسطين ، الجزء العاشر - القسم الثاني ، ص٤٠٩

ويجدر بنا هنا ان نذكر انه في ١٥ ايار ١٩٤٨ لم يكن يملك اليهود رغم كل المساعدات البريطانية الا حوالي ٧٪ من مجموع الاراضي الزراعية في فلسطين فكانوا يملكون مليوني دونم من اصل ٢٧٫٥ مليون دونم(٢٧).

ثانيا - التصدي لتدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين: تصدى (مؤتمر الشباب) للهجرة السرية التي بلغت نحو (١٥) الف مهاجر سنويا ومنذ ٢٣ تموز١٩٣٤ اخذت فصائل من مؤتمر الشباب وفرق الكشافة الفلسطينية في حراسة الشواطيء والحدود الفلسطينية لمنع المتسللين الصهاينة من دخول البلاد، وبعد نحو شهر، وعلى وجه التحديد في ١٧ آب١٩٣٤، جاء الرد الصهيوني على هذا الاجراء، حين تعرضت جماعة صهيونية مسلحة لفرقة كشافة عربية كانت تقوم بحراسة شاطيء البحر قرب (ناثانيا) واصيب من جراء ذلك ثمانية من العرب.

وبعد هذا الصدام وعد المندوب السامي باتخاذ الاجراءات الكفيلة بوقف الهجرة السرية ورفض في الوقت نفسه ان تقوم بهذه المهمة هيئة غير رسمية(٢٨).

وفي اول كانون الاول ١٩٣٤ تقدمت اللجنة التنفيذية بمذكرة للمندوب السامي، احتجت فيها على تسرب الاراضي لليهود، وعلى تدفق هجرتهم وناشدت حكومة الانتداب ان لا تقف امام هذه الاخطار الهائلة المحدقة بامة تقرب من المليون نسمة مكتوفة اليدين.

ثالثا-

بعد انتفاضة ١٩٣٣ بلغ التذمر من الحكم البريطاني ذروته، واكتسحت

---

(٢٧) الماردني ، زهير ، الف يوم مع الحاج امين ، ص٧٢

(٢٨) السفري ، عيسى: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، ص٢٢١

البلاد دعوة جارفة لمحاربته ومقاومته.. وازداد تنظيم الجهاد المقدس نشاطا وجرأة وازدادت الاصطدامات الدموية، وغدا الناس يتوقعون حدوث اصطدام عنيف شامل بين العرب وبين الحكم البريطاني واليهود.

كما ازداد نشاط منظمة (الجهادية) التي اسسها الشيخ القسام واعدها لتقود الثورة ضد الانجليز عام ١٩٣٥.

الفصل الخامس

ثورة القسام عام ١٩٣٥

- تقديـــم:

- مراحل الاعداد للثورة

اولا- مرحلة التنبيه الى الخطر الصهيوني، والدعوة الى الجهاد ضد الاستعمار

ثانيا - مرحلة الاعداد والتهيئة النفسية للثورة

ثالثا - مرحلة اختيار العناصر الطليعية ، وتكوين الوحدات الجهادية

رابعا - مرحلة العمل العسكري التجريبي ضد المستعمرات اليهودية

خامسا - مرحلة اعلان الثورة المسلحة عام ١٩٣٥

- الدوافع الاساسية لخروج القسام واعلان الثورة

- جولة الشيخ القسام قبل الخروج

- قرار الخروج للجهاد

- معركة يعبد في ٢٠ تشرين الثاني١٩٣٥

  - الطريق الى يعبد

  - احداث المعركة

  - نتائج المعركة

  - الحقائق التي تركتها المعركة في نفوس الناس

الفصل الخامس

ثورة القسام عام ١٩٣٥

تقديـــــم:

الشيخ عز الدين القسام عالم مجاهد، شارك في اشعال ثورة الشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسي.. وحاول الفرنسيوّن مساومته على الانسحاب من الثورة فابى فاصدرواحكما عليه بالاعدام، فانتقل عام ١٩٢٠ الى سورية الجنوبية (فلسطين) ليشعل ثورة اخرى ضد الاحتلال البريطاني المتآمر مع الصهيونية العالمية على اغتصاب فلسطين .

وكان لثورته اثار عظيمة فقد الهبت نفوس الجماهير واوقدت فيها شعلة الايمان واثارت الشعورالاسلامي ضد المحتل، وفتحت باب الجهاد للشعب الفلسطيني الباسل على مصراعيه، وكانت ينبوع البطولة الذي ارتوى منه المجاهدون، والزاد الذي غذى البراعم الصغيرة فشبت على الجهاد .

قدم الشيخ المجاهد الى فلسطين وفي نيته تكوين حركة جهادية تحرر الوطن من الاغتصاب والاستعمار، وكانت بريطانيا في ذلك الوقت تقوم بدور صليبي حاقد تهيىء من خلاله البلاد لاقامة وطن قومي لليهود، وكانت حيفا يومئذ مرفأ فلسطين الاول، وفيها يتجلى معترك عنيف بين المسلمين واليهود .

وتطلع القسام الى هذا الافق فلم يطمئن اليه قلبه، اذ اصبح يرى مشروع الوطن القومي اليهودي عن كثب، يبنى لبنة لبنة، ويرى مع هذا حرص الانجليز على كسر شوكة المسلمين.

وبدأ الشيخ يفكر بالثورة والجهاد.. فقد آمن ان الثورة المسلحة هي

وحدها القادرة على انهاء الانتداب، والحيلولة دون قيام دولة صهيونية في فلسطين، ومن الطبيعي ان الجهاد في الاسلام له مقدماته ومقوماته من الاعداد المستمر معنويا وماديا، وأن الثورة المسلحة تحتاج الى تخطيط سياسي وعسكري، والى تعبئة الجماهير نفسيا لتأييد الثورة والاشتراك فيها، وتحتاج الى تنظيم سري ثوري يربى فيه المقاتلون روحيا وعسكريا وسياسيا، وكانت الثورة المسلحة المنظمة امرا غير مألوف في صفوف الحركة الوطنية آنذاك..

وحدد القسام ثلاثة اهداف للجهاد والثورة المسلحة هي:

- طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين
- منع اقامة دولة يهودية على ارض فلسطين.
- اقامة دولة عربية اسلامية تعمل على تحقيق الوحدة الاسلامية بين الدول العربية.

وتلفت الشيخ من حوله الى اوضاع البلاد العربية ، فاذا هي ممزقة يعيث فيها الاستعمار فسادا وكل شعب منشغل بحاله وبالمشكلات التي اوجدها له الاستعمار ، فكان قوله: «*ان علينا نحن عرب فلسطين الاعتماد على انفسنا وعلى امكاناتنا الذاتية لا ننتظر حتى تهبط علينا النجدات من السماء ، ولا حتى تصلنا من وراء الحدود*»(١) وبدأ العمل لتنفيذ فكرته بخطوات ثابتة وعمل متواصل ومراحل مدروسة.

مراحل الإعداد للثورة:

اولا- مرحلة التنبيه الى الخطر الصهيوني والدعوة الى الجهاد ضد الاستعمار.

(١) السيد احمد ، عبد العزيز : عز الدين القسام رائد النضال في فلسطين ، ص٢٢

عندما قدم القسام الى حيفا عام ١٩٢٠ احس بخطر الصهيونية وعرف انها جادة في الوصول الى هدفها لذلك كان يدعو الناس الى الوقوف في وجهها بلم شعثهم واتحاد كلمتهم والعودة الى تعاليم السلف الصالح.

وامتاز القسام على غيره في تلك الفترة بتركيزه على الاستعمار البريطاني ،وادراكه بوضوح وجلاء ان هذا هو العدو الرئيسي الذي تجب محاربته ومقاومته وكان هذا مما ميز القسام عن غيره واعطى حركته صفة خاصة.. فقد ملك القسام هذا الوضوح في تحديد العدو في الوقت الذي كانت فيه الدول العربية تتجنب الصدام مع بريطانيا وتسعى الى مفاوضتها.

وكان القسام من خلال عمله ونشاطه يحذر الناس من الخطر الصهيوني ففي احدى خطب الجمعة عام ١٩٢٧ حذر المصلين من التساهل مع الهجرة اليهودية ووصفها بقوله: «*انها تحتل البلاد وانتم فيها*» ودعا الى استقبال اليهود المهاجرين القادمين بعربات الانتداب البريطاني وحمايته (كعدو لا كمهاجر او ضيف) . وكان يدعو الي هذا في خطبه ودروسه في المسجد والمدرسة وجمعية الشبان المسلمين وفي جولاته في القرى.

ولم يقتصر القسام في خطبه على التحذير من الصهيونية واطماعها بل كان يتطرق الى اطماع المستعمرين الغربيين في بلاد الشام وفي باقي اجزاء الوطن العربي والاسلامي، ومن امثلة ذلك الاستعمارالفرنسي في سوريا ولبنان، والبريطاني في فلسطين، وشرقي الاردن والعراق ومصر والسوذان، وقد جعل القسام من تجارب الثورة في سوريا وقادتها المجاهدين نماذج للحديث في خطبه فكان كثيرا ما يتحدث عن ابطال الثورة وجهادهم ضد المستعمرين(٢) .

---

(٢) العياشي ، غالب : تاريخ سورية السياسي ، ص١٣٦

يقول احد الملازمين لخطب الشيخ القسام: «كان القسام - رحمه الله - اذا صعد المنبر وخطب المسلمين في ايام الجمعة، يغرس في قلوب سامعيه حب الوطن والايمان بألحق والجهاد في سبيل الله، فقد كانت خطبه كلها مزيجا من الدعوة الصريحة الى الانتفاض على الظلم، والتفاني في التضحية، والتدليل على ان المسلم غير مكلف بالخضوع لسلطان غير مسلم او اجنبي عن امته، وكان يردد دائما الاية الكريمة (*يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول وأولى الامر منكم*) ويشرح معنى (*اولى الامر*) شرحا وافيا، وما اظن انني سمعت له خطبة لم يذكر فيها الاية الكريمة (*ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون*)(٣).

وروى احد رفاق القسام الذين قبض عليهم في معركة يعبد عن دروسهم مع الشيخ، فذكر كيف (انهم كانوا يصلون الفجر مع الشيخ، ثم يجلسون حوله في حلقة صغيرة، ويتحدث فيها الشيخ عن فضائل الجهاد في الاسلام وثواب الاستشهاد في الاخرة، ويروى ايضا ان الشيخ كان في اجتماعاته وحلقاته يشرح لاتباع ومريديه الخطر الذي يتهدد وطن الاسلام حيث اولى القبلتين وثالث الحرمين وموطن الاسراء والمعراج ويبين كيد الانجليز- اعداء الاسلام - وان هذا الخطر قد استفحل ولم يعد يدفع الا بالجهاد، وان الجهاد فريضة الله على عباده(٤).

كما ان الشيخ القسام كان في خطبه يهاجم السماسرة وباعة الاراضي لليهود، فكان يجهر بكلمة الحق يصدم بها الباطل واهله من ذوي النفوس الضعيفة والضمائر الفاسدة.

---

(٣) الحكيم ، يوسف : سورية والعهد الفيصلي ، ص١٨٣

(٤) خلف ، علي حسين: تجربة عز الدين القسام ، ص٢٢

ثانيا – مرحلة الاعداد والتهيئة النفسية للثورة

بعد ان استقر القسام في حيفا ونبه الناس الى الخطر الصهيوني، بدأ منذ عام ١٩٢٢ يعمل في الاعداد النفسي للثورة، وقد ساعده في هده المرحلة عدد من العاملين المؤمنين ومن هؤلاء الشيخ كامل القصاب وهاني ابو مصلح، والاول سوري والثاني لبناني، ولكن القسام وقد تلقن درسا من الحكم العسكري الفرنسي في سوريا آثر السرية المطلقة لدعوته في فلسطين، فكانت اعماله الخارجية من وعظ وتدريس ستارا لعمله الاساسي، وهو اختيار الصالحين من هؤلاء التلاميذ والمريدين وكذلك سعى الى عقد صلات مع سكان القرى المجاورة عن طريق مهمته كمأذون شرعي.

وهكذا اخذت السنوات تمر والانصار المؤمنون يتكاثرون من حوله ومعظمهم من فلاحي القرى وعمال حيفا ، وكان يختار هؤلاء الانصار بعد اختبار سنوات طويلة(٥).

كان القسام ذا شخصية جذابة، حسن السيرة والمعاشرة محدثا لبقا وخطيبا بارعا، وكان بمقتضى وظائفه ونشاطاته يتصل بسائر ابناء الشعب لا فرق بين متدين وغيره، اعتقادا منه ان اصلاح المستهترين اولى من اصلاح غيرهم.

وكان يراقب المصلين وهو يخطب فوق منبر المسجد، ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد الى زيارته في منزله، وتتكرر الزيارات حتى يقنعه بالعمل لانقاذ فلسطين مما يهددها من اخطار، ضمن مجموعات سرية صغيرة لا يزيد عدد كل منها عن خمسة افراد، وكان يستعين على قضاء حوائجه

---

(٥) ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ص٢٠-٢١

بالكتمان، ولا يبوح بالسر الكبير الذي يحمله وهو الدعوة الى الثورة لمنع اقامة وطن قومي لليهود في ارض فلسطين الا لاشخاص قلائل بعد ان يدرس نفسياتهم دراسة كافية لمدة قد تطول عدة سنوات(٦).

وبهذه الوسائل تسنى للشيخ الاتصال بمختلف فئات المواطنين من شباب وشيوخ وعمال وفلاحين وطلاب وموظفين وتجار وحرفيين.

وكان القسام في تهيئة الشباب للانضمام لحركته يكثر من نصحهم بقوله *(يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون، ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)* وكان يردد على شفتيه في كل مناسبة آيات من كتاب الله الحكيم تتعلق بالجهاد والقتال والاستشهاد، ويجعل من دروسه التي تقام في المسجد عادة بين الصلوات المفروضة، وسيلة لاعداد المجاهدين وصقل نفوسهم وتهيئتها للقتال في سبيل الله، معتمدا اختيار الكيف دون الكم.

ويروى بعض المعاصرين للقسام: انه كان يطلب من الناس شراء السلاح والتدريب عليه، ويطلب في خطبه من المصلين ان يقاوموا العدو، ولما وقف احد المصلين وسأل (بماذا نقاوم العدو ونحن لا نملك شيئا) فاجاب الشيخ: «*بقتلهم واخذ السلاح منهم*»(٧).

ولما تزايدت الهجرة اليهودية في اواخر عام ١٩٣٤ وازداد التسلط البريطاني على الفلاحين واراضيهم واصبحت البلاد تمر في ظروف صعبة، في هذه الفترة كان القسام يشتعل غضبا وثورة وكانت كلماته من على منبر جامع الاستقلال تلتهب وكأنها حمم من النار، وفي احدى خطبه سأل المصلين جهارا

(٦) مجلة شؤون فلسطينية - العدد٦ عام ١٩٧٨٢، ص١٨١

(٧) حمودة، سميح، الوعي والثورة، ص٤٧

(هل انتم مؤمنون؟) ثم اجاب (لا اعتقد) وسكت قليلا، فسرت ضجة وهمهمة والانظار كلها مشدوهة نحوه تواقة لسماع تفسيره (لانكم لو كنتم مؤمنين لكانت عندكم غيرة المؤمن فاذا خرجتم من هذا المسجد وناداكم جندي بريطاني فستهرولون نحوه)[8].

بهذه الكلمات وهذا التحدي المباشر من القسام لارادة وايمان ابناء فلسطين، نجح في تهيئة عناصر كثيرة للثورة من رواد (جامع الاستقلال) وجلهم من الفئات المؤمنة، فاصبحت كلماته تتردد على السنة الناس وهي اقوال تدعو جميعها للجهاد مثل[9] (الجهاد رفيق الحرمان) المجاهد رائد قومه والرائد لا يكذب اهله (يا ايها الرجال، يا نساء وشباب فلسطين، البلاد في خطر) وآيات قرآنية دالة على معاني القتال (*يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال*) (*وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة*) وكان يكثر من دعاء (ربنا ارزقنا الشهادة في سبيلك).

وفي اطار التهيئة النفسية للثورة خرج القسام الى قرى حيفا وجنين، وقرى شفا عمرو وصفورية في الجليل الادنى، وكان يتردد على سيلة الظهر وسيلة الحارثية ونورس وطوباس وبرقين ويعبد وبورين والرينة ويستخدم مساجد هذه القرى في الدعوة الى مقاومة بيع الاراضي ومحاربة السماسرة، يروى احد شيوخ قرية السيلة الحارثية قضاء جنين ان الشيخ القسام قدم في عام ١٩٣٤ الى القرية وبرفقته الشيخ كامل القصاب والشيخ فرحان السعدي واعطى درسا دينيا، دعا فيه الى محاربة السماسرة وباعة الاراضي لليهود[10].

(٨) خلف ، علي حسين ، تجربة عز الدين القسام ص٢٢
(٩) حمودة ، سميح ، الوعي والثورة ، ص٤٧
(١٠) خلف ، علي حسين ، تجربة عز الدين القسام ص٢٧

واقام القسام علاقات قوية مع منطقة (العبهرية) حيث يوجد عرب المنسي، وابي زريق والسعديين، وزار عرب الرمل في اوائل عام ١٩٣٥ وتحدث معهم عن ضرورة مقاومتهم للسيطرة في مسائل الارض المتنازع عليها والتي يحاول اليهود الاستيلاء عليها وطردهم منها(١١).

وفي ظل هذه الجولات المثمرة بنى القسام علاقات قوية مع قرى عديدة في منطقة حيفا واللواء الشمالي ومرج ابن عامر وجنين، ساعدت في تجنيد عدد من المجاهدين وتهيئة قواعد في هذه القرى للعمل العسكري.

وفي هذه المرحلة حدد القسام طبيعة الرجال الذين يريدهم، انه يريد الرجل المقدام الصبور على الاذى الحافظ للسر، المجد المثابر، الصادق في السر والعلن، المستقيم الخلق، الذي ينكر ذاته ويحب خدمة الاخرين، القوي الحجة والمنطق القادر على الاقناع، الذي يطلب الموت فتوهب له الحياة(١٢).

ثالثا - مرحلة اختيار العناصر الطليعية للحركة

اتصف الشيخ القسّام بقدرة فائقة في التنظيم واختيار الاعضاء والقيادة وسبل الامداد والتسليح وقد كان ايثار التنظيم السري امرا هاما يعتمد على الدقة والروية ووضع المرشح الذي يتوسم فيه الخير والاستعداد زمنا تحت المراقبة الى حين دعوته للعمل في التنظيم من اجل انقاذ فلسطين، وساعد القسام عمله مدرسا وخطيبا واماما ومأذونا شرعيا، على معرفة الناس وسبل اقناعهم والتأثير فيهم، وقد ربط القسام الجانب الجهادي بالجانب الاجتماعي، فكان يهتم بتحسين احوال الفقراء ومساعدتهم ويسعى الى مكافحة الامية بينهم ايمانا منه بان ذلك يعمق الوعي بين الجماهير ويزيدها ايمانا بالثورة ويشحذ عزمها للكفاح المسلح.

(١١) خلف، علي حسين، تجربة عز الدين القسام ص٢٨

(١٢) السيد احمد، عبد العزيز: عز الدين القسام رائد النضال في فلسطين، ص٢٥

وقد صرف القسام السنوات الطوال في اختيار العناصر واعدادها تحت لواء الجهاد ، واهتم كثيرا بالعمال والفلاحين، كما اهتم بالمنحرفين من الطبقة الكادحة فكان يؤمن بان جرأة المنحرف او السارق او القاتل من الممكن ان تتحول الى شجاعة وثورة حقيقية في نفسه اذا ارتد عن غيه وآمن بالله ايمانا صحيحا، وبالجهاد في سبيل الله وقد اكد هذه الحقيقة المجاهد حسن الباير في افادته الرسمية عندما استلسم للبوليس اثر معركة يعبد فقال (١٣):

«*انا من قرية بلقيس وكنت من قبل اسرق وارتكب المحرمات فجاءني المرحوم عز الدين القسام واخذ يهديني ويعلمني الصلاة وينهاني عن مخالفة الشرع الشريف واوامر الله تعالى*، وقبل مدة اخذني المرحوم الشيخ عز الدين الى احد جبال بلقيس وهناك اعطاني بندقية فسألته لم هذه؟ فاجاب، لاجل ان تتمرن عليها وتجاهد مع اخوانك في سبيل الله.

والعناصر الكادحة التي انضمت الى العصبة كثيرة، فمن هؤلاء ابو دره بياع الكاز على الطنبر، وابو خليل الذي كان ينقي عود الفحم، والغلاييني الذي كان يلحم التنك والحديد، وهو الذي اصبحت مهمته بحكم مهنته صنع القنابل البدائية، وقد وصف جمال الحسيني بيت الزيباوي في خطاب له بانه بيت في اطراف المدينة من اخصاص التنك الممزق، وغارق في الوحل، ثم انتقد الزعيم السياسي، بصدق وعفوية، موقف السياسيين من امثاله نقدا ذاتيا حين قال(١٤):

«ثورة القسام كانت ثورة علينا جميعا شبانا وشيوخا وكهولا اذ يقول كل واحد منا في قلبي ايمان وفي نفسي اخلاص وعزيمة ولكني مثقل وورائي عائلة

---

(١٣) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٣٢٢

(١٤) جريدة الجامعة العربية - العدد ١٧٢٥ ، ٧ كانون الثاني ١٩٣٦

كبيرة اخاف ان خرجت ان يتخطفهم الذل والعار والموت. وليس لدي ما يدفع عنهم عوادي الزمن، يسمع القسام وصحبه هذا فيثورون عليه ويخرجون عمن؟ يخرجون عن اعشاش فيها قطع من اللحم كافراخ العصافير ينتظر كل منها معيله ليسقط في منقاره ما يسد بها جوعه ويروي عطشه.. فيندفع القسام وحسبه من تلك الاعشاش لتثبيت المبدأ واحقاق الحق واعلاء شأن الايمان ونحن اذ نرى منهم ذلك لا يسعنا الا ان نشعر بتبكيت الضمير واحمرار الوجوه فندعو الله ان ينير قلوبنا بهذا الايمان.

ويروي الصحفي الفلسطيني عبد الغني الكرمي قصة حصلت له مع الشيخ القسام فيقول(١٥) : رآني القسام بعد اسبوع من تعليق الابطال الثلاثة على المشانق ١٩٣٠/٦/١٧ العب النرد في جمعية الشبان السلمين، وسمعني اسخر بقروي جاء ليتداوى في عيادة الجمعية الاسلامية اذ اشكل عليه التفريق بين الاسمين (الجمعية الاسلامية) و(جمعية الشبان المسلمين) لتقاربهما فانتهرني واخذ بيد القروي الى العيادة ولم يتركه حتى اشترى له العلاج:

وقال لي ذات يوم : يمين الله ان شباب العصر الاخير ابتعدوا كثيرا عن النهج القويم وامعنوا في الضلال فلم يبق على هذه الامة الا ان تعتصم بما في قلوب الفلاحين والعمال من بساطة وايمان وبعد عن بهارج مدنيتكم الزائفة وعلومكم وآدابكم التي تقصي الانسان عن الفطرة المستحبة، فقلت له: اتدري انهم يتهموك بالشيوعية اذا سمعوك.

فقال : انظر لقد اشتعل رأسي شيبا وخبرتي الطويلة تجعلني ارجو خيرا من الفلاحين والعمال فهم واثقون بالله، مؤمنون بجنات الخلد واليوم الاخر ومن كانت هذه صفاته كان اقرب الناس الى التضحية واجرأهم على الاقدام اضف الى

(١٥) حموده ، سميح: الوعي والثورة ، ص٥١

ذلك انهم اقوى بنية، وأكثر احتمالا للمشاق والمتاعب، وفي عام ١٩٣٢ سئل الشيخ القسام عن رأيه في اهل الشعراوية وجبل نابلس الذين يقطعون الاشجار ويسممون الحيوانات وينعتهم الناس بالحرامية وقطاع الطرق، فاجاب "دعهم يعملون لان في عملهم رجولة سنحولها في يوم من الايام الى جهاد وما دام المستعمر يرغب في اماتة نفوسنا فان هؤلاء اقرب الى الله والى حب الجهاد من المستكينين".

ولهاتين الرواتين دلالتهما .. فالقسام كان يعتقد ان المدنية الحديثة التي غزت العالم الاسلامي اذابت اغلب الفئات المثقفة بالثقافة الغربية وجعلتها بعيدة عن روح الفطرة السليمة، فلم تستطع التصدي للغرب وعساكره لانها اولا مبهورة بمثله، ولانها ثانيا متمسكة بالقيم المادية لا الروحية.

ومن خلال الاتصالات التي قام بها الشيخ عز الدين، وممن وجد فيهم الصفات المطلوبة شرع بالمرحلة الثالثة للحركة عام ١٩٢٥ واخذ يختار طلائع الحركة واعضاءها، وكان الشخص الذي يقع عليه الاختيار يخضع لتجربة ومراقبة تمتحن خلالها عزيمته وقدرته على حفظ السر..

وكان للعضوية شرطان(١٦)

الاول – ان يقتني العضو السلاح على حسابه من خاص ماله

الثاني – أن يدفع اشتراكه الشهري البالغ عشرة قروش ويتبرع بما يستطيع من دخله.

بعد ذلك ينتظم كل خمسة اعضاء في خلية سرية، ويتم تثقيفهم

---

(١٦) السيد احمد ، عبد العزيز : عز الدين القسام رائد النضال في فلسطين ، ص٢٥

وتزويدهم بالمعلومات والخبرات، التي تخدمهم في عملهم الجهادي فيدرسون تجارب السابقين من المجاهدين وخاصة سير أبطال المسلمين وقادتهم، ومعارك الاسلام الشهيرة، واهتم الشيخ بحصول كل عضو في التنظيم على الثقافة الدينية والوعي السياسي والتدريب العسكري وزيادة في الحرص والحيطة كان الاعضاء يتعاملون باسماء حركية وكانت كل خلية لا تعرف شيئا عن سواها.

في هذه المرحلة انتشرت طلائع القسام في اوساط الشعب على نطاق واسع ولكن بحذر شديد. يبصرون المواطنين بابعاد الهجرة اليهودية الى البلاد، وآثارها في المستقبل، وفي الوقت نفسه عمل الشيخ واخوانه رواد الحركة الجهادية على نشر روح المحبة والتآلف بين المواطنين، وبدأت روابط الوحدة الوطنية تقوى وتشتد بعد ان كان الانجليز قد مزقوها بما اثاروا من حزازات وعداوات عشائرية وقبلية.

تكوين الوحدات الجهادية:(١٧)

اهتم القسام بالتنظيم الدقيق وتوزيع الادوار والمهمات فعندما تم انشاء العصبة السرية للجهاد بشكل متكامل، كانت تحتوي على وحدات منظمة مختلفة المهمات وكانت:

الاولى - وحدة خاصة بشراء السلاح، ويرأسها الشيخ حسن الباير والشيخ نمر السعدي.

والثانية - وحدة للاستخبارات ومراقبة تحركات العدو البريطاني واليهودي وكان يرأسها الشيخ ناجي ابو زيد، وقد تمكنت الحركة من بناء جهاز سري من العمال الذين يعملون في المصالح الحكومية وخاصة في دوائر البوليس والعمال الذين يعملون مع اليهود لمعرفة النشاط السري للاحزاب اليهودية.

---

(١٧) ياسين ، صبحي :" الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ص٢٢-٢٣

الثالثة – وحدة خاصة بالتدريب العسكري ويشرف عليها الشيخ جلادات وهو ضابط سابق في الجيش العثماني.

الرابعة – وحدة للدعاية في المساجد والمجتمعات وابرز اعمالها الدعوة الى الجهاد وكان الشيخ كامل القصاب موجها ومستشارا لها.

الخامسة– وحدة العمل الجماهيري والاتصالات السياسية ويشرف عليها الشيخ محمود سالم المخزومي.

السادسة – وحدة جمع المال من الاعضاء والانصار ورعاية اسر المعتقلين والشهداء ، وكان للمرأة دور بارز في هذا المجال..

ولم يكن القسّام يرى اتباع الاكراه لجمع المال من الشعب لهذا اكتفى بان يدفع الاعضاء اشتراكات مالية لتغطية نفقات التسليح والتدريب ، اما الشعب فسيدفع بعد اعلان الثورة وسيمدها بكل ما تريد بعد ان يعرف اهدافها ويشاهد انتصاراتها. يقول ابراهيم الشيخ خليل، احد افراد العصبة القدامى، بان المال للثورة كان له مصدران : مصدر الاشتراك الشهري، ومصدر التبرع التطوعي، ويأتي التبرع من اصدقاء القسام الذين كان الكثير منهم في وضع مالي جيد، فكان منهم المزارع الكبير والتاجر والمقاول، وهؤلاء كثيرا ما كانوا يتبرعون بارباحهم بعد اكتفاء عائلاتهم، بالاضافة الى هذا كان المال يأتي ايضا تبرعا من بعض الاثرياء الوطنيين عن طريق الاصدقاء ايضا، ويؤكد ابراهيم على حقيقة، وهي ان جمع التبرعات حتى في سنة ١٩٣٨ ، لم يكن يتم ابدا الا بعد الوثوق من الشخص الذي يطلب منه التبرع وثوقا تاما(١٨).

---

(١٨) الشيخ خليل ، ابراهيم : رسالة من مجاهد قديم – مجلة شؤون فلسطينية ٧ اذار ١٩٧٢ ،ص٢٦٧-٢٦٨

وكان القسام يرى ان امكانات الشعب الفلسطيني لا بد ان تسخر للجهاد وكان ينتقد ويقاوم بشدة انفاق اموال الاوقاف في تشييد الابنية والفنادق وتزيين المساجد، حتى ولا المسجد الاقصى المبارك، لان اعداد الشعب وتسليحه للجهاد ولخوض المعركة افضل واحق من الامور الشكلية التي يمكن انجازها في اوقات اكثر مناسبة. فمئات الالوف من الجنيهات كان بالامكان تسليح خمسة الاف مجاهد بها آنذاك.

لقد زاد عدد اعضاء عصبة القسام على ثلاثمائة مجاهد، وبعد استشهاده وانفجار الثورة ارتفع العدد الى اضعافهم.

اما القيادة العليا في العصبة فلم تكن للقسام وحده بل كانت قيادة جماعية تتألف من اثني عشر عضوا كانوا اعضاء (الجمعية) وقد بقيت الجمعية مؤلفة من هذا العدد بعد استشهاد القسام وحتى سنة ١٩٤٨ وبقي مركزها مدينة حيفا، وكانت هذه الجمعية هي المسؤولة عن اتخاذ جميع القرارات المهمة، ومن بينها القرارات باغتيال الجواسيس والخونة الا انه لاسباب دينية لم يكن يكتفى باجماع الجمعية بل كان لا بد من رفع قرار الاغتيال الى عالم ديني كي تصدر الفتوى عنه(١٩).

وقد ورد في كتاب القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ جدولا باعضاء عصبة القسام السرية في الثلاثينات كمايلي(٢٠):

---

(١٩) الحوت، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص٣٢٤

(٢٠) الحوت، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص٨٨٦

القيادة المسؤولة:

- الشيخ عز الدين القسام.
- الشيخ خليل العيسى(ابو ابراهيم الكبير).
- الشيخ سليمان عبد القادر حمام.
- الشيخ عطيه احمد عوض.
- سرور برهم العودة.
- محمود زعرورة.
- توفيق ابراهيم (ابو ابراهيم الصغير).
- الحاج حسن حماده.
- محمد محمود غزلان (ابو محمود الصفوري).

قادة القواعد والفروع:

- الشيخ فرحان السعدي.
- الشيخ نمر السعدي.
- الشيخ محمد عبد الرحيم.
- الشيخ محمد الحنفي.
- الشيخ عارف احمد.
- الشيخ ناجي ابو زيد.
- الشيخ حسن الباير.
- الشيخ ذيب الديوان.
- داود علي خطاب.
- حسن شبلاق.
- ابو خضر عارف ابراهيم.
- احمد ابو ذان المزرعاوي.
- شريف السيلاوي.

- صالح ابو حشمة.
- احمد الغلاييني.
- احمد التوبة.
- عيسى البطل.
- عبد قاسم ابو طه.
- محمد سيلاوي.
- سعيد عطية.
- محمود صالح.
- ممدوح العلي .

واستمر الشيخ القسام في الاعداد للثورة سنين عددا ، والطلائع تلتف من حول حركته التي تستميل المخلصين والوطنيين الغيورين على كرامتهم وبلادهم ومقدساتهم .. واطلق على حركته اسم (الجهادية)

وحدث ان برزت احداث خطيرة في هذه الفترة كان لها اثر كبير على الحركة وأهم تلك الاحداث:

في سنة ١٩٢٩ وقعت ثورة البراق واقدم الانجليز على اعدام ثلاثة من المجاهدين العرب وهم فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير، وكانت ثورة البراق عبارة عن منبه لابناء فلسطين بان امرا خطيرا يدبر .

وفي سنة ١٩٣٠ عندما ازدادت هجرة اليهود الى فلسطين بتنظيم من الانجليز ذهب وفد عربي من قادة الرأي في البلاد الى لندن ليستجدي العدل ويستعطي العطف ورجع بخفي حنين ، وعلى هذا المنوال كان فشل جميع الوفود العربية ، فالانجليز ماهرون في فن الاستعمار كانوا يستقبلون الوفود ويشكلون اللجان لدراسة الاوضاع ويصدرون البيانات وبهذا يقتلون الوقت ولا

يفعلون الا ما يكفل لقافلة اليهود اطراد المسير ، اما القسام فكان على بينة من امره ، عالم بمكر اليهود والانجليز ماض في حركته السرية وكان على يقين بان جميع وفود العرب ومؤتمراتهم لن تجدي شيئا وان الطريق الوحيد لانقاذ ارض الاسراء والمعراج هو الجهاد في سبيل الله.

وكان الانجليز يدربون اليهودعلى القتال ، ويسهلون لهم عملية استيراد الاسلحة ، وحدث ان قام اليهود خلال الحرب العالمية الثانية باستيراد الاسلحة من بلجيكا بمقادير كبيرة مخفية في براميل الاسمنت وصناديق البضاعة ووصلت الى حيفا باسم بعض المحلات التجارية اليهودية، فتحطم منها صندوق على الرصيف، واذا به يحتوي على مسدسات وقنابل وبنادق سريعة الطلقات ، وعلم سكان حيفا بالأمر ، وذعر الناس وقامت التظاهرات والاحتجاجات ، اما القسام ورجاله فلم يعبأوا بهذه التظاهرات وواصلوا عملهم واستعدادهم لاعلان الجهاد وبدء المعركة.

روى الشيخ نمر الخطيب للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله ، في لقاء تم بينهما في فندق امية بدمشق عام ١٩٤٢ فقال(٢١):

لقد استفاد يهود فلسطين من الحرب العالمية الثانية، حيث شكلت السلطات البريطانية لهم كتائب تتدرب على القتال وامدتهم بالاسلحة والذخائر ، واتفق ان وصلت الي حيفا خلال سني الحرب صناديق كبيرة باسم بعض المحلات التجارية اليهودية على انها تحمل اقمشة وسلعا ، وذكر الشيخ الخطيب قصة هذه الصناديق التي اشرنا اليها سابقا ، ثم قال : فعلم سكان حيفا بالأمر مما جعل الشهيد عز الدين القسام (رحمه الله) يعتزم القيام بثورته مع اخوانه ومريديه ، وقد كان يعمل لها سرا منذ سنين .. اقول ، ولقد حضرت له درسا في بعض

(٢١) السباعي، د. مصطفى : الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ، ص١٧

مساجد حيفا ليلة الاسراء والمعراج وكنت في طريقي الى القاهرة فادهشتني قوة روحه وتوجيهه وما يبثه في الناس من آيات الفداء والاستشهاد، على تقدمه في السن .. وكان مما قال : ان الوضع في فلسطين خطير ونحن عرب فلسطين يحظر علينا حمل ابسط انواع السلاح.

رابعا- مرحلة العمل العسكري التجريبي ضد المستعمرات اليهودية:

اهتم الشيخ القسام باعداد عناصر الحركة الجهادية روحيا ومعنويا وعسكريا، وكان يعمل على تدريبهم بالقدر المتاح لهم .. وفي عام ١٩٢٨ حدثت صدامات بين العرب واليهود تبين خلالها ان اليهود يقتنون السلاح ويتقنون التدريب عليه ، وجاءت حادثة البراق لتدفع حركة القسام الى الانتقال من الكلام الي العمل والتدريب على السلاح .. ويصف المجاهد خليل محمد العيسى (ابو ابراهيم الكبير) بداية التدريب فيقول(٢٢):

"اشترينا بندقية عام ١٩٢٨ واحضرنا مدربا اسمه محمد، ابو العيون وكانت تبدأ الجلسة بان يلقي الشيخ دروسه ثم تحولت دروس الشيخ من دروس دينية الى تحريض على الجهاد ، وكان المدرب في آخر الجلسة يقوم بتدريب الموجودين على البندقية واحدا واحدا".

وفي عام ١٩٢٩ نشبت ثورة البراق وقام اليهود بتنظيم مظاهرة ضخمة في تل ابيب بمناسبة ذكرى تدمير الهيكل وقاموا بمظاهرة اخرى في اليوم التالي في شوارع القدس متوجهين نحو حائط المبكى حيث رفعوا العلم الصهيوني وأنشدوا النشيد القومي «الهاتكفا» .

وفي اليوم التالي كان يوم جمعة وصادف ذكرى المولد النبوي الشريف،

---

(٢٢) حموده ، سميح: الوعي والثورة ، ص٥٤

فتجمع المسلمون في باحة المسجد الأقصى وتوجهوا بعد الصلاة في مظاهرة كبيرة حطموا فيها أدوات اليهود عند الحائط، وحدثت اشتباكات دموية بين المسلمين واليهود استمرت أسبوعا كاملا، سقط فيها عشرات القتلى والجرحى(٢٣).

ولم يشترك الشيخ القسام في هذه الثورة لأن برنامج توعيته لم يأخذ درجة الإنتشار في جميع أوساط الأمة وفي جميع مدنها، وكذلك لأن رجاله لم ينهوا تدريبهم واستكمال تسليحهم(٢٤)، ولم تكن العصبة قد مضى على تشكيل أول قيادة لها سوى بضعة شهور .

وفي بداية الثلاثينات كان هناك نشاط عسكري واضح للعصبة في مجال التدريب على استعمال السلاح ومن ثم تنفيذ العمليات الفدائية ضد المستعمرات اليهودية . وكانت التدريبات العسكرية تتم في رحلات ليلية، كما كانوا يقومون بحركات استطلاعية يتمزنون خلالها على إصابة الهدف(٢٥). وذكر أحد المجاهدين وهو من سيلة الحارثية أنه تدرب مع القساميين على السلاح ولم يكن عمره يزيد على الرابعة عشرة، في مكان يدعى وادي رشم، يقع في مدخل مدينة حيفا الجنوبي، وكان القسام يشارك بنفسه في هذه التدريبات، وكان يخرج ليلا إلى جبل الكرمل ويدرب الأعضاء على الأسلحة ويوجههم على أساليب الكفاح المسلح .

ويصف حسن شبلاق - أحد الذين تدربوا على يد الشيخ - خطوات التدريب فيقول : «كنا نجتمع قبل الخروج إلى جبل الكرمل في واحد من الجوامع

---

(٢٣) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٢٢٢

(٢٤) حجازي ،عرفات : فلسطين ارض البطولات ، ص٥٤

(٢٥) حموده ، سميح: الوعي والثورة ، عن نمر الخطيب - احداث النكبة

الثلاثة : الإستقلال، الجامع الكبير «الجرينة»، والجامع الصغير . وكان الخروج عادة على مستوى الحظيرة ، ثلاثة أشخاص يعرفون بعضهم بعضا ، والحجة القانونية التي كنا نتسلح بها في خروجنا وجود المحاجر ، ومعظم الحجارة كانوا من القساميين ، وكان القسام يخرج مع كل حظيرة ويعلمها فك وتركيب البندقية وتنظيفها وكيفية استخدامها [٢٦]. كما أن القسام استفاد من عضويته في هيئة جمعية الشبان المسلمين للتستر على التدريب العسكري تحت حجة النشاط الرياضي والكشفي، وكثيرا ما كان ينام على كرسي الجمعية ولا يعود إلى البيت .

وفي هذه الفترة تعرف الشيخ القسام على الشيخ فرحان السعدي، وانتظم الأخير في صفوف الحركة وتمت بينهما زيارات ولقاءات . وفي إحدى زيارات القسام لقرية المزار اتفق الاثنان على تدريب مجموعة من الشباب في الجبال المحيطة بالقرية حيث كان السعدي يخفي عددا من البنادق في المغاور،كما تم إحضار كمية من الاسلحة من سورية ، عبر الأردن وتم تكليف الشيخ فرحان بتمريرها بواسطة أصدقائه من شيوخ البدو في شرقي الاردن.

ولما قطعت الحركة شوطا من الاعداد ، تم فيه تهيئة المقاتلين للجهاد ، ابتدأت عصبة القسام تنفيذ عمليات فدائية ضد المستوطنات اليهودية عن طريق اعداد كمائن والهجوم على افراد محددين ومستوطنات معينة ، بهدف دفع اليهود في الخارج الى وقف الهجرة الى فلسطين.

وكانت اولى العمليات موجهة ضد مستعمرة الياجور ، ففي ليلة الخامس من نيسان عام ١٩٣١ كمنت مجموعة من المجاهدين على الطريق الرئيسي المؤدي للمستوطنة وبينما كانت قافلة سيارات يهودية تسير باتجاه المستوطنة

---

(٢٦) خلف ، علي حسين : تجربة عز الدين القسام ، ص٩٣

وتقل عددا من الشبان والفتيات اليهود العائدين من احدى الحفلات اطلق المجاهدون النار عليهم ، فقتلوا ثلاثة منهم وعادوا من حيث اتوا دون ان يتركوا اي اثر يدل عليهم واعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها اربعمئة جنيه لمن يدلي بمعلومات تقود للقبض على الفاعلين ، ولكن جهودها ذهبت ادراج الرياح(٢٧).

ونفذ القساميون عمليتهم الثانية بتاريخ ١٩٣١/٤/٧ فاطلقوا النار على موشى فليبتس في مستعمرة (نهلال) واصابوه برجله.

والعملية الثالثة كانت في السادس عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٣٢ حيث قاموا بقتل يوسف بورنشتيان في مستعمرة (بلفوريا) وفي الخامس من اذار من العام نفسه قتلوا (شموئيل جوترمان) في (كفار هاسيديم) كما قاموا بعمليات اخرى في مستعمرة عتليت ومستعمرة العفولة في المرج.

وتوج القساميون عملياتهم بالعملية الفدائية التي نفذوها في مستوطنة (نهلال) في مرج ابن عامر – للمرة الثانية – والتي اثارت الانجليز واليهود وافقدتهم صوابهم ففي ليلة ١٩٣٢/١٢/٢٢ القيت قنبلة على منزل يوسف يعقوبي في هذه المستعمرة التابعة رسميا لقضاء حيفا ، فاصيب صاحب المنزل وابنه داود بجراح خطرة كانت سببا لوفاتهما فيما بعد ، فثار اليهود بسبب هذه الحادثة وحولوا جنازة اليعقوبي الى شبه مظاهرة قادها الدكتور ارلوزوروف رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، كما اعلنت الحكومة عن تخصيص مكافأة قدرها خمسمائة جنيه فلسطيني لاي شخص يقدم اخبارية تؤدي الى القاء القبض على منفذي العملية(٢٨).

---

(٢٧) نويهض ، عجاج : رجال من فلسطين ، ص١١٣

(٢٨) جريدة الجامعة العربية – العدد ٩٨١ ، في ٢٩ كانون الاول ، ١٩٣٢

وكان اعلان الحكومة عن هذه المكافأة الضخمة دليل على غضب السلطة الشديد، وعلى ادركها ابعاد العملية.

اما لماذا اختار القسام نهلال بالذات هدفا لهذه الضربة فربما يعود ذلك الي ان نهلال تعتبر رمزا كبيرا من رموز الصهيونية وقد اعترف وايزمن بذلك في زيارة له لفلسطين قام خلالها بجولة واسعة من اجل التمهيد لعقد مؤتمر مائدة مستديرة مع العرب والانجليز مستغلا نجاح المفاوضات بين الوكالة اليهودية والحكومة البريطانية حول الكتاب الابيض وهي تلك المفاوضات التي انتهت بالتعديل الى كتاب اسود، كما نشرت جريدة الجامعة العربية جزءا من خطاب وايزمن في حفلة اقيمت على شرفه في مستعمرة نهلال في ١٧٨ اذار ١٩٣١ حيث قال:(٢٩) «*ان نهلال مستعمرة ذات قيمة خاصة في نظري لانني منها ابتديء بسياحتي وبها اختمها وهي رمز عملنا العظيم في مرج ابن عامر، ولست ابالغ اذا وصفتها بانها قلب المرج وعندما تقترب مني الايام الصعبة اتطلع الى نهلال لاستمد منها التعزية*».

واما خطوات تنفيذ العملية فقد بدأت عندما استطاع القسامي احمد الغلاييني والذي كان يعمل سمكريا استطاع ان يصنع قنابل في معمله الصغير وكانت احدى الخلايا القسامية تعمل في صفورية وتقوم باطلاق النار من بنادق حربية تابعة للعصبة على اليهود وضمت هذه الخلية خليل محمد العيسى ابو ابراهيم الكبير، احمد الغلاييني، مصطفى علي الاحمد، احمد التوبة، وبعد ان تمت صناعة القنابل، اخذ مصطفى قنبلتين وضع احداهما في منزل حراس المستعمرة يعقوبي وابنه وحين انفجرت ادت الى قتل الاثنين، وبعدها قام القساميون بتسيير قطيع من الغنم على طريق المستعمرة لاضاعة الاثر .

---

(٢٩) جريدة الجامعة العربية – العدد ٥٥٣ ، في ٢٠ اذار ١٩٣١

ورغم جهود الشرطة المكثفة لمعرفة الفاعلين الا انها لم تستطع الكشف عن المجاهدين الا بالصدفة، فقد قامت بعد ستة شهور من الحادثة بتفتيش قرية صفورية وعثرت في منزل مصطفى الاحمد على قنبلة مماثلة لتلك التي انفجرت في نهلال وصادرت بندقية حربية من نفس المنزل واعتقلت مصطفى الاحمد ثم قامت باعتقال خليل محمد العيسى واحمد الغلاييني، وبقي الثلاثة رهن التحقيق الذي كان يشرف عليه الضابط احمد نايف والضابط كلايتمان، واستطاع الاثنان كشف النقاب عن منفذي العملية وكذلك اسماء الاعضاء النشيطين في العصبة.

ونشرت صحيفة دافار اليهودية تفاصيل عن التحقيقات التي اجريت حول نهلال فقالت ان من بين الذين القي القبض عليهم، خليل محمد العيسي، حسين محمد حمدي، محمد زعرورة، عز الدين القسام، ذيب الديوان، احمد الحسن، الحاج مصطفى والشاب عبد الطه(٣٠).

وعلى الرغم من كل التحقيقات الطويلة والشهادات التي تم جمعها فلم يتم تقديم كل المتهمين للمحكمة واسقطت التهم عن القسام وآخرين لعدم وجود ادلة كافية، ولكن المحكمة حاكمت ثلاثة من القساميين خلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول عام ١٩٣٣ وهم :مصطفى الاحمد، وحكمت عليه بالاعدام ونفذ الحكم، واحمد الغلاييني وحكمت عليه بالسجن ١٥ عاما، قضاها وخرج عام ١٩٤٤ وبرأت ساحة ابو ابراهيم الكبير. وخلال المحكمة انكشفت بعض اسرار عصبة القسام واصبحت تحركاته ونشاطاته موضع شك لدى المخابرات والبوليس البريطاني وكان لشهادة عبد الطه اثر سيء في كشف مجموعة من اسرار الجماعة، وقد نقلت صحيفة دافار نص شهادته امام المحكمة وقالت انه كشف النقاب عن كافة اسرار المنظمة السرية التابعة لجمعية الشباب المسلمين في حيفا.

---

(٣٠) حموده، سميح: الوعي والثورة، ص٥٨ – عن صحيفة دافار، ملحق المساء في ١٩٣٥/١/٢١

وقد ادى كشف مخططات الجماعة واهدافها العسكرية الى ايقاف نشاط العصبة، الى ان يتم تجاوز المرحلة الحرجة، وحالة الاستنفار لدى المخابرات الانجليزية واليهودية، واستمرت حالة التجميد هذه حتى قرب نهاية عام ١٩٣٥.

ومهما كانت نتائج هذه العمليات العسكرية التجريبية فاننا نستطيع ان نقول عنها انها القت الرعب في نفوس اليهود، اذ رأوا لاول مرة عملا جديدا من حديد ونار وهذا لم يتعوده اليهود في فلسطين بعد.. وازدادت الحكومة واليهود ذعراً وبثوا الارصاد ونشروا الجواسيس في الليل والنهار وصار الاعتقال لمجرد الشبهة.

وكانت عمليات القسام هذه بمثابة الروح التي سرت في اوصال الامة فحركت الهمم وشدت العزائم وحفزت الناس الى العمل.

ولم تكن اعمال جماعة القسام خلال هذه المرحلة مهاجمة المستعمرات فحسب، وانما قاموا بمجموعة اعمال اخرى ذكرها الاستاذ اميل الغوري في كتابه (فلسطين عبر ستين عاما) فقال:

«اما الاعمال التي قام بها القساميون فكانت من اروع ما قام به المجاهدون في فلسطين، وعلى الرغم من كثرتها وتعدد اشكالها ومظاهرها، فانها ظلت محاطة بالسرية والكتمان الى مدى كان معه اكثر الناس يجلهون مصدر هذه الاعمال، بل كانوا لايعرفون اطلاقا بوجود حركة القساميين وكان من هذه الاعمال: ملاحقة وتأديب الذين يخرجون عن الشعب ومصالحه،من مثل التعاون مع الحكومة ضد الحركة الوطنية او التجسس لحساب المخابرات البريطانية او بيع الاراضي لليهود او السمسرة عليها للاعداء.وكان من اعمال القساميين العديدة والواسعة النطاق التصدي لدوريات الجيش والشرطة وقطع طرق المواصلات

والاغارة على ثكنات الجيش ومراكز الشرطة ومهاجمة حرس المستعمرات اليهودية وزرع الالغام والمتفجرات فيها » .

خامسا - مرحلة اعلان الثورة المسلحة عام ١٩٣٥.

بعد حادثة البراق عام ١٩٢٩ كان بعض رجال القسام يرون ان الوقت قد حان للبدء بالثورة، ولكن الشيخ القسام لم يكن متعجلا امر اعلان الثورة، وانما كان يؤمن بالتأني والحاجة الى استكمال التهيئة والاعداد ، ولهذا رفض ان يبدأ التنظيم بالثورة العلنية بعد حادثة البراق لاقتناعة بان الوقت لم يحن بعد. وقد اشارت بعض المصادر الى حدوث انقسام من اجل البدء باعلان الثورة.. ولكن ابراهيم الشيخ خليل، احد رفاق القسام نفى هذا الخبر وقال « *لم يحدث انشقاق على الاطلاق بين القائد الشهيد واخوانه في عام ١٩٢٩ ، بل كان الوفاق على اتمه، والانشقاق بمفهومه لم يحدث لا في حياة القائد الشهيد ولا بعد استشهاده ايضا ، والسبب بسيط جدا، فان القائد الشهيد كان يدعو الى الجهاد على اساس ديني والجهاد في سبيل الله، واستخلاص الوطن ودفع المظالم عن المواطنين، ومفهوم الجهاد على اسس دينية لايوجد به اشكالات ولا تعقيدات ايديولوجية او نفسيه، ولا اعماق ولا ابعاد، وكل ما يتعلق بالجهاد محكوم بايات قرآنية معروفة.. كان هناك شعار واحد تنطوي تحته كل مفاهيم الثورة وهو (هذا جهاد، نصر اواستشهاد) والذي حدث بالفعل كان خلافا بسيطا على توقيت اعلان الثورة*»(٣١).

وبعد العمليات العسكرية التجريبية التي قامت بها عصبة القسام والتي ادت الي كشف مخططاتها واهدافها العسكرية بعد حادثة نهلال في اواخر عام ١٩٣٢ تم ايقاف نشاط العصبة الى ان يتم تجاوز حالة الاستنفار لدى المخابرات البريطانية واليهودية واستمرت حالة التجميد هذه حتى قرب نهاية عام ١٩٣٥.

(٣١) شؤون فلسطينية - العدد السابع ، مارس ١٩٧٢ ، ص٢٦٧

ولكن الظروف الصعبة التي أخذت تمر بها البلاد في تلك الاعوام دفعت الشيخ القسّام للعودة الى العمل. . فقد دخل الى فلسطين خلال عام ١٩٣٤ وما قبله حوالي ٤٢ الف يهودي باشراف الحكومة ومباركتها هذا عدا الذين دخلوا بهجرة غير شرعية ، وامتلك اليهود مع بداية العام نفسه ٦٢ الف دونم من اراضي فلسطين تسربت اليهم عن طريق الحكومة والسماسرة مما ادى الى المزيد من تشريد عدد كبير من الفلاحين وتهديد آخرين بقرب تشريدهم.

وقبل نهاية ١٩٣٥ كتب (واكهوب) الى وزارة المستعمرات يقول:«*ان خمس القرويين قد أصبحوا بالفعل دون اراضي يمتلكونها كما كان عدد العمال العاطلين في المدن اخذ في الازدياد وان الاستياء من الحكومة اخذ يتصاعد يوما بعد يوم*»(٣٢).

وبالاضافة الى ذلك لم تكن هنالك اية تطورات تدعو الى الأمل فقد ضرب مجموع المهاجرين اليهود عام ١٩٣٥ رقما قياسيا مقداره ٦٠ الف مهاجر، كما ان زيادة عدد العاطلين عن العمل حمل واكهوب على استنتاج ان هذا الرقم يتجاوز الطاقة الاستيعابية للبلاد، ثم ان الاستفزازات الصهيونية كالتدريب العسكري السافر ومهاجمة الفاشيين اليهود من اتباع جابوتنسكي للقرى العربية اثار غضب الرأي العام العربي: وجاء اكتشاف شحنة كبيرة من الاسلحة المهربة لليهود مؤيدا لاسوأ المخاوف التي يعانيها أبناء فلسطين، ولما لم يكن هنالك امل بان تستجيب الحكومة لمطالب العرب بشأن الهجرة وبيع الأراضي والحكومة الذاتية البرلمانية اصبح من الواضح أن البديل الوحيد الذي بقي أمام العرب للحيلولة دون اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين هو اللجوء الى الثورة المسلحة.

ان توالي الاحداث في عام ١٩٣٥ اجبر القسام وأتباعه المجاهدين على

---

(٣٢) الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث ،ص٢٩٤

البدء بالاعداد لثورة مسلحة ضد الانجليز والصهاينة، ففي بداية ذلك العام اعاد القسام اتصاله باتباعه في صفورية والمنطقة الشمالية وارسل اليهم بعض البنادق وعددا من القنابل، واوعز الى المجاهدين هناك بالانتظار الى ان تصل اوامر اخرى بتنفيذ العمل، وحين حضر القسام مؤتمر علماء فلسطين المنعقد في شهر كانون الثاني ١٩٣٥م ناقش في لقاء سري مع عدد من العلماء ومنهم المفتي ضرورة تنفيذ اعمال مسلحة ضد اليهود والانجليز وقد عارض جميعهم مقترحاته ما عدا المفتي(٣٣).

الدوافع الاساسية لخروج القسام واعلان الثورة،

يمكن تلخيص الاسباب التي دفعت القسام الى الخروج والتعجيل باعلان الثورة بمايلي:

١. ازدياد الهجرة اليهودية الى فلسطين واتساع مساحة الاراضي التي استولى عليها اليهود وعدم استجابة الحكومة البريطانية لمطالب العرب بوقف عملية الهجرة وبيع الاراضي.

٢. خشية القسام من اعتقاله، واعتقال النخبة التي يعتمد عليها من اخوانه بعد ان رأى شدة مراقبة الانجليز له ومتابعة تحركاته.. يقول ابراهيم الشيخ خليل وهو احد مجاهدي العصبة - مؤكدا هذا السبب:

«في اوائل عام ٩٣٥م رأى القائد بان المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة، وكان القائد يتحسس بان المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من اخوانه، ويفسد جميع مخططات الثورة قبل ان تظهر للمواطنين، وكان يرى

---

(٣٣) حموده ،سميح: الوعي والثورة،ص٦٦عن الارشيف الصهيوني ملف س٢٥/٤١٢٧ اخبار الدائرة العربية ، تقارير من حيفا ١٩٣٥/١/٢٥

الخروج الى الجبال والطواف بالقرى وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة »(٣٤).

وقد أكد هذا الرأي عدد من اتباع القسام ومنهم حسن شبلاق وغيره، وذكروا ان الحركة كانت في وضع حرج وكانت معرضة لضربة من الانجليز وان احساس القسام بهذا الامر دفعه لاتخاذ قرار الخروج.

٣. تهريب الاسلحة لليهود: وكان هذا من اشد العوامل التي دفعت القسام الى اعلان الثورة.. فقد تم اكتشاف عملية تهريب ضخمة للاسلحة الحديثة مرسلة لليهود عن طريق ميناء يافا، بتاريخ ١٦/١٠/١٩٣٥م وقد اجمعت المصادر التاريخية على ان هذا الحادث من اقوى الدوافع لثورة القسام وقد صرح بهذا المجاهد القسامي عربي البدوي وذكر ان القسام قال بعد اكتشاف الاسلحة المهربة .. « *اذا لم نهاجم اليهود فانهم سوف يهاجموننا* »(٣٥).

وتم اكتشاف عملية التهريب هذه عندما رست السفينة (ليوبولد الثاني) في ميناء يافا في ١٦ اكتوبر ١٩٣٥م والتي كانت تحمل بضاعة قيل انها (٥٣٧) برميلا من الاسمنت، لم تكن في حقيقتها سوى احدى الوسائل التي استعملها اليهود لتهريب السلاح الى فلسطين، وتبين اثناء انزال الاسمنت المرسل من بلجيكا الى المدعو (أ. كاتان) من تل ابيب ان البراميل تحوي كمية قليلة من الاسمنت تشكل غطاء تمويهيا لآلاف المسدسات والبنادق وعشرات الرشاشات والكميات الهائلة من الرصاص، فعندما انكسر احد البراميل نتيجة وقوعه على الارض لوحظ ان محتواه هو السلاح وليس الاسمنت فقامت ادارة الميناء باعادة الكمية التي كانت قد وضعت في المخازن تمهيدا لتسليمها لكاتان واجريت عملية

---

(٣٤) مجلة شؤون فلسطينية - العدد السابع ، ٧ اذار١٩٧٢ ، ص٢٦٧

(٣٥) حموده ،سميح: الوعي والثورة ، مقابلة شخصية مع عربي البدوي في١/٤/١٩٨٤

تفتيش تبين بعدها ان ٣٥٩ برميلا من اصل ٥٣٧ تحتوي اسلحة وذخيرة، وقدر عدد البراميل التي وصلت ميناء يافا قبل هذه الحادثة وبحجة احتوائها على الاسمنت بـ ١٦٦٦ برميلا(٣٦)، وبهذا فان كميات هائلة من الاسلحة لليهود دخلت البلاد دون ان يشعر بها احد.

وكان قد تم اكتشاف طريقة اخرى في عام ١٩٣٠م استعملها اليهود لتهريب الاسلحة وهي ارسال الاسلحة في صناديق حديدية لحفظ الاموال ووصلت هذه الصناديق الى ميناء حيفا، وحين فتحت وجد بها مئات البنادق والاف الخراطيش وبعد ان قامت السلطات البريطانية باعتقال اليهودي المرسلة باسمه وموظف الجمارك الضالع بعملية التهريب عادت واطلقت سراحهما ثم اقفلت الملف.

وفي عام٣١م قامت السلطات البريطانية بتسليح المستعمرات اليهودية واباحت لسكانها التمرين على السلاح وحين عقد في نابلس مؤتمر لمعالجة تسليح اليهود قبضت الحكومة على بعض المشاركين في المؤتمر وحظرت على الصحف ذكر كلمة سلاح او تسليح مما اضطر الاهالي الى الاضراب اسبوعا(٣٧).

ولقد احدث انكشاف امر براميل الاسمنت دويا هائلا في فلسطين من اقصاها الى اقصاها ودعا الحاج امين الحسيني الاحزاب الفلسطينية الى الائتلاف ومواجهة هذا الوضع الخطير على مستقبل البلاد، وفعلا تشكلت لجنة موحدة للاحزاب في ١٩٣٥/١٠/٢١م ضمت رؤساء الاحزاب وقابلت المندوب السامي وطالبته بسحب الاسلحة من المستوطنات اليهودية، ومواصلة التحقيق للقبض على المهربين وشركائهم، واتخاذ التدابير اللازمة لمنع ادخال السلاح في المستقبل

---

(٣٦) خلة، د. كامل . فلسطين والانتداب البريطاني ص٣٧٢-٣٧٣

(٣٧) زعيتر، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص٧

وانشاء حاميات عربية لحراسة السواحل، اما اليهود فقد شنوا حملة صحافية على هذه المطالب، وطلبوا من الحكومة وضع حد للتحرك العربي الجديد.

وانتظرت لجنة الاحزاب رد المندوب السامي على طلباتها وشعرت بالحرج أمام الجماهير ولما تأخر الرد طالبت بالسماح لها باعلان الاضراب في فلسطين في ٢٦/١٠/١٩٣٥م ولكن المندوب رفض الطلب فزادت حراجة موقفها امام الجماهير، وعاد الخلاف بينها الى سابق عهده.

٤. وصول الوضع العام في فلسطين الى حالة يرثى لها بسبب الخلافات والمهاترات التي اثارتها الاحزاب وخاصة كتلة المعارضة.

جولة الشيخ القسام قبل الخروج:

في اواخر عام ١٩٣٥م قام الشيخ عز الدين القسام بجولة في عدد من المناطق ليختار اماكن في جبالها وغاباتها تصلح قواعد جديدة للانطلاق منها الى القرى، وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة وزار الشيخ في تلك الجولة بعض القرى كان من بينها: قرية المزار حيث التقى بالشيخ فرحان السعدي، وقرية يعبد وكان يرافقه المجاهد معروف الحاج جابر، وزار قرية صانور والتقى فيها بالمجاهد كامل الحاج حسين، وبالشيخ الجليل موسى السيد، وفي مقابلة اجريتها مع الاستاذ طاهر احمد حسين في صيف ١٩٨٦م اخبرني فيها ان المجاهد كامل الحاج حسين اتصل بالشيخ القسام في اواخر عام ١٩٣٥م وعرض عليه ان يجعل من صانور قاعدة له وان يبدأ الثورة ضد الانجليز من جبالها وان الشيخ القسام عندما زار المنطقة لم يجد فيها الاحراش الكثيفة الكافية التي تمكن المجاهدين من الاختفاء فيها، لتحميهم من طائرات العدو، وفي مقابلة اخرى اجريتها مع الشيخ فريز جرار في صيف ١٩٨٦م ايضا اخبرني فيها ان الشيخ القسام عندما زار صانور في اواخر عام ١٩٣٥م التقى بالشيخ الجليل

موسى السيد وتباحث معه في موضوع تدريب المجاهدين والثورة ضد الانجليز.

وقيل ان القسام أرسل الى الحاج امين يستشيره في خروجه واعلان الثورة وان الحاج امين نصحه بالتريث حتى يكتمل الاعداد، وذكر صبحي ياسين ان الشخص الذي ارسله القسام لمقابلة المفتي واعلامه عن عزمه القيام بالثورة، قبل قيامها باشهر هو محمود سالم، وقد اتصل بالمفتي بواسطة الشيخ موسى العزراوي، احد اعوان المفتي، واعلمه عن رغبة القسام وهي ان يشرع الحاج امين في الاعداد للثورة في جنوب البلاد بينما يعد هو العدة للثورة في شمالها فكان جواب المفتي بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل(٣٨).

قرار الخروج للجهاد:

بعد حادثة تهريب الاسلحة في ميناء يافا وما لحقها من غضب جماهيري عمّ جميع انحاء فلسطين، وجد الشيخ القسام الفرصة ملائمة لاعلان الثورة ضد الانجليز، ورأى ضرورة عدم فقدان هذه الفرصة وانه يجب القيام فورا لزعزعة الانجليز واليهود سوية، فابتدأ بتهيئة اهل بيته وزوجته لخروجه، فكان يقول لزوجته كلاما يهيئها به لتلقي الصدمة اذا بلغها خبر مصرعه، واستلف منها كل ما كان معها من مال ومصاغ وحلي واشترى به سلاحا (٣٩)ثم بدأ يتصل باتباعه من المجاهدين ويتحدث معهم بشأن قراره اعلان الثورة، يقول عربي البدوي(٤٠): "*قبل الخروج كنا لمدة اسبوع نتباحث ونجتمع في بيوت متفرقة، واخيرا قررنا الخروج*" وارسل القسام حسن الباير الى ابو ابراهيم الكبير

---

(٣٨) ياسين، صبحي: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص٢١-٢٢

(٣٩) جريدة الاهرام - القاهرة، ١٩٣٥/١١/٢٣

(٤٠) مقابلة اجراها سميح حموده مع عربي البدوي في قبلان بتاريخ ١٩٨٤/٤/١

ليستشيره في الامر، وكان ابو ابراهيم قد خرج من السجن بعد ان امضى فترة في المعتقل يسبب حادثة نهلال ثم التقى به في حيفا، وقال ابو ابراهيم للشيخ القسام، باننا بما في ايدينا لا نستطيع الوقوف في وجه الانجليز . فعلينا الاستمرار في عملنا كما هو الان اي الاستمرار بالغارات ليلا والعمل نهارا، فقال القسام : انما نريد ان نتسلح ونخرج الى القرى كي نحثها ونحضها على الجهاد، وبعد مشاورات ومداولات في الامر وافق ابو ابراهيم ووافق الجميع على الخروج.

وكان من افراد المجموعة الذين قرروا الخروج للجهاد، محمد ابو قاسم خلف، الذي باع في الخامس من تشرين الثاني ١٩٣٥/١١/٥م كل ما يملك واعلن انه سيذهب للموت في سبيل الله، وعطيفه احمد المصري الذي كان قد اشترى لزوجته اساور من ذهب بنحو ٨٠ جنيها مما اقتصده من مياومته، فلما دعاه داعي الجهاد لبى واخذ الاساور من يدي زوجته وباعها واشترى بثمنها بضع بنادق له ولاخوانه المجاهدين وترك زوجته حاملا(٤١)، وهو الذي كان قبل تعرفه بالقسام من المنحرفين بتعاطي المخدرات وتهريبها.

ولاستكمال لوازم الثورة وشراء الاسلحة يقول عربي البدوي ان القسام أرسل رسالة الى الحاج امين الحسيني بواسطة محمود سالم المخزومي قال«ان الامور لا تطاق، واليهود يتسلحون وقد اصبح الجهاد فرضا واعلانه فرض وانا سأقوم باعلان الجهاد وانت عليك كرئيس للمجلس الاسلامي الاعلى وحسب امكانياتك وميرانية الاوقاف ان تمدنا بثمن الاسلحة، ويضيف البدوي الى كلامه ان الحاج امين ارسل مبلغا من المال للقسام دون ان يبادر الى اعلان الثورة في منطقة الوسط حيث كان نفوذه قويا.

وبعد هذه الاستعدادات استقال القسام من رئاسة جمعية الشبان المسلمين

---

(٤١) الرابطة العربية - العدد٢٤ في ١٩٣٦/١١/٤

بحيفا ودعا قادة حركته وعقد معهم اخر اجتماع في مدينة حيفا وتدارس معهم الموقف، وكان قرار بدء الثورة وتبعه الامر القيادي الاول:

(ليتوجه كل الى اهله، يستودعهم الله ويعاهدهم على اللقاء في الجنة)

ثم وقف للمرة الاخيرة خطيبا في جامع الاستقلال، وخطب في جمع من المصلين وفسر لهم الاية الكريم *(الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسوم وهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم، فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين)*. التوبة ١٣-١٤وكان في صوته تهدج وحماسة وفي نبراته رنين ألم ممض، وفي عينيه بريق من بأس وقوة[٤٢].

ويقول يوسف الشايب الذي استمع الى الخطاب ان آخر كلمات قالها القسام في خطبته (ايها الناس لقد علمتكم امور دينكم، حتى صار كل واحد منكم عالما بها، وعلمتكم امور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد، الا هل بلغت اللهم فاشهد، فالى الجهاد ايها المسلمون، الى الجهاد ايها المسلمون[٤٣]. وما ان انهى القسام خطابه حتى كان الحاضرون قد اجهشوا بالبكاء واقبلوا على الشيخ يقبلون يديه ويعاهدونه على القتال في سبيل الله.

وبعد ساعة من القاء الخطبة اخذت السلطة تفتش عن الشيخ القسام للقبض عليه ومحاكمته ولكنه كان قد ودع اهله واخوانه وحمل بندقيته وذهب وصحبه الى الجبال ليجاهدوا وليستشهدوا[٤٤].

---

(٤٢) الرابطة العربية – العدد ١٧ ، في ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص٢٤

(٤٣) مقابلة اجراها سميح حموده مع يوسف الشايب في عصيرة الشمالية بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٤

(٤٤) الرابطة العربية – العدد ١٧ ، في ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص٢٤

ويؤكد الشايب خروج القسام بعد هذه الخطبة وان سيارة كانت تنتظره خارج المسجد وانه لم يشاهده احد في حيفا بعد ركوبه فيها .

وكان القسام قبل مغادرته حيفا قد كتب الى اخيه وصديقه رشيد الحاج ابراهيم يقول *(اني واثق من نفسي وان صوتي سيجد صداه في كل مكان عند اول صيحة، ونستودعك الله راجين من المولى تعالى ان يوفقنا في اعمالنا لتحرير الوطن)*(٤٥) .

---

(٤٥) نويهض ، عجاج : رجال من فلسطين ، ص١١٤

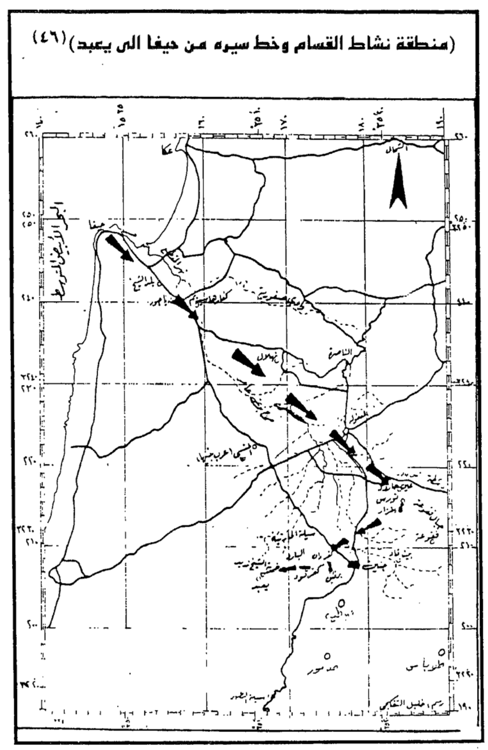
(هذا جهاد .. نصر او استشهاد)

عز الدين القسام



(ان علينا نحن عرب فلسطين الاعتماد على انفسنا، وعلى امكاناتنا الذاتية، لا ننتظر حتى تهبط علينا النجدات من السماء ، ولا حتى تصلنا من وراء الحدود) .

عز الدين القسام



(منطقة نشاط القسام وخط سيره من حيفا الى يعبد)(٤٦)

(٤٦) حموده ، سميح: الوعي والثورة ، ص٢٣٤

معركة يعبد (٢٠تشرين الثاني١٩٣٥).

الطريق الى يعبد:*

خرج الشيخ عز الدين القسام من حيفا ومعه مجموعة من المجاهدين اكثرهم ينتمون الى قرى تنتشر في منطقة جنين ومرج ابن عامر، ولم تتفق المصادر التاريخية على تحديد عددهم لكن بعض الصحف الفلسطينية في تلك الفترة ذكرت اسماء عدد منهم ، كما ان بعض المصادر التاريخية ذكرت مجموعة من تلك الاسماء ومن بينها كتاب الباحثة التاريخية السيدة بيان الحوت "القيادات والمؤسسات السياسية"، وكتاب السيد سميح حموده "الوعي والثورة"، وكتاب السيد شوقي ابو خليل"الاسلام وحركات التحرر العربية".

ويمكن تحديد اسماء الذين ورد ذكرهم من الذين تركوا المدينة ورافقوا الشيخ بما يلي(٤٧):

يوسف عبد الله الزيباوي - من قرية الزيب

عطيفة احمد المصري - من سكان حيفا

محمد ابو القاسم خلف - من قرية حلحول

نمر حسن السعدي - من شفا عمرو

---

* يعبد : قرية تقع في الجهة الغربية من مدينة جنين وعلى بعد١٨ كم منها ، وهي من امهات قرى القضاء، فهي الرابعة في كبرها ومساحة اراضيها المزروعة بالزيتون والحبوب والخضار، وتحيط بها غابات الاحراش الكبيرة التي تبلغ مساحتها٩٢ الف دونم، وتقع بناحية يعبد مجموعة من القرى الصغيرة اشهرها خربة الشيخ زيد، وتقع في الجهة الشمالية من يعبد وخربة الطرم وتقع في الجهة الشمالية الشرقية، وفي هاتين القريتين خربة الشيخ زيد، وخربة الطرم حدثت المعركة التي استشهد فيها القسام ورفاقه، وخربة طوره الشرقية، وتقع في الشمال الشرقي وخربة الخلجان وتقع في الجهة الغربية من يعبد وتحيط بها ايضا خربة أم الريحان وخربة سماره وزيده.

(٤٧) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية ص٨٨٦ وسميح حموده : الوعي والثورة ص١٧ .

حسن الباير – من برقين

احمد الحاج عبد الرحمن – من عنبتا

محمد اليوسف – من سولم

اسعد مفلح الحسين – من ام الفحم.

محمود سالم من – زرعين

صالح اسعد من – صفورية

داود خطاب – من الكبابير

معروف الحاج جابر – من يعبد

يوسف ابو دره – من سيلة الحارثية

داود الشيخ احمد – من بيتا

عربي البدوي – من قبلان

الحاج احمل الخليل

وقيل ان مجموعات اخرى من المجاهدين انتشرت في مناطق اخرى وخاصة المنطقة الشمالية من فلسطين وان بعض المجموعات بقيت في حيفا وكان من بينهم خليل محمد العيسى (ابو ابراهيم الكبير).

وكانت خطة القسام بعد الخروج، أن يبدأ هؤلاء بالطواف في القرى لتجميع الرجال وتسليحهم، ثم بعد استكمال الإستعدادات يتم مهاجمة مدينة حيفا واحتلالها(٤٨). ويذكر صبحي ياسين نقلا عن مجموعة من إخوان القسام

---

(٤٨) مقابلة اجراها سميح حموده مع عربي البدوي في قبلان بتاريخ ١/٤/١٩٨٤

القياديين بأن قيادتهم قررت أن تبدأ المعركة الأولى باحتلال حيفا أكبر ميناء فلسطيني، ومنطقة الصناعات البترولية، بقصد إحراز مكسب عسكري كبير يكون حافزا للجماهير العربية للإلتحاق بالثورة منذ بدايتها، ثم لإرهاب السلطات البريطانية منذ الضربة الأولى، وإشعار الصهيونية بقوة الثورة.. ويقول: بأنه جرى للخطة دراسة كاملة، وإحصاء لقوات بريطانيا وأسلحتها فقدروا أن باستطاعتهم الإحتفاظ بالمدينة لمدة ثلاثة أيام(٤٩).

وتوجهت المجموعة بقيادة القسام إلى منطقة جنين التي تبعد عن حيفا نحو ٤٠ كيلومترا، حيث ينتظرهم الشيخ فرحان السعدي في قرية نورس، وهناك أقاموا في مغارة تقع في إحدى جبال القرية.

وفي تلك الليالي وقع حادث مفاجيء كشف أمر الجماعة .. وقد وصف خليل محمود العيسى (أبو إبراهيم الكبير) ذلك الحادث بقوله:«في إحدى الليالي هاجم مجهولون إحدى المستعمرات، ومروا أثناء رجوعهم بالقرب من مركز الشيخ في«مغارة نورس»، وفي الصباح مرت دورية من ثلاثة أشخاص: إنجليزي ويهودي وعربي، مع كلب أثر، فما كان من محمود سالم إلا أن أطلق النار، فقتل الشاويش اليهودي. وعندما سمع الشيخ إطلاق النار، استفسر عن السبب، فأخبر بما جرى، فنادى جماعته وقال لهم :لنرحل على الفورحتى لا نصطدم بالقوات البريطانية، ومنذ تلك اللحظة بدأت الجماعة مسيرتها، ولكن الجواسيس انتشروا في المكان، فما أن وصلت جماعة الشيخ إلى أحراش يعبد حتى كانت مطوقة»(٥٠).

وهناك رواية ثانية تقول أن الجماعة أعدت كمينا للشاويش روزنفلد

(٤٩) ياسين ، صبحي : استراتيجية العمل لتحرير فلسطين ، ص٨٢

(٥٠) خلة ، د. كامل : فلسطين والانتداب البريطاني ، ص٣٨٢

بتدبيرها عملية قطف الثمار من المزروعات التابعة للمستعمرة، وعندما وصل روزنفلد إلى المغارة، سقط في الكمين وتم اغتياله.

وورد في جريدة فلسطين في ١٩٣٥/١١/١٠م أن إدارة الامن العام أذاعت بيانافي ١٩٣٥/٥/٩م ذكرت فيه أن هذا الحادث حصل يوم ١٩٣٥/١١/٧م ، وقال البيان أن روزنفلد مع اثنين من رجاله ذهبوا من مخفر «شطة» للتحقيق في حادث سرقة ثمار من بساتين مستعمرة عين جارود، فتعقبوا الأثر إلى أن وصلوا إلى شرق المستعمرة، وعندما أرسل الشاويش روزنفلد أحد رجلي البوليس إلى جهة قريبة وأبقى الآخر معه ، وذهب هذا للبحث عن رجل شاهده، وما كاد يبتعد حتى سمع عيارين ناريين ولما عاد مسرعا وجد الشاويش طريحا على الأرض وبه جرح قاتل.

وتبين حسب تحقيقات الشرطة التي أجريت بعد مقتل «روزنفلد» وجود الشيخ القسام ومحمود سالم وشخص ثالث في قرية زرعين أثناء عملية الإغتيال - وهي على مقربة من المغارة - حيث عقدوا اجتماعا قرروا فيه اغتيال شخصيات يهودية بينها «روزنفلد»، وكذلك مهاجمة «١٥» مستعمرة يهودية ، وعندما سمع القسام حادث الإغتيال غضب لتلك الخطوة التي كانت متسرعة وتتناقض مع خطته .

وهناك روايات أخرى عن الحادث . والذي نستطيع أن نستنتجه من مجموع الروايات هو ان قتل الشاويش اليهودي تم دون علم القسام ودون إطلاعه، ويبدو أن الذين هاجموا المستعمرة اليهودية وقطفوا من ثمارها هم مجموعة غير مجموعة القسام، ومروا أثناء هروبهم قرب المغارة التي تمركزت فيها الجماعة، وعندما وصل البوليس إلى المكان حصل الصدام مع المجاهدين دون وجود القسام في الموقع -والأرجح أنه كان في زرعين- فتصرف أحد المجاهدين وهو «أحمد عبد الرحمن حسن» بناء على اجتهاده الخاص فأطلق النار

على روزنفلد . فالقسام لم يكن قد مضى على خروجه سوى فترة قصيرة، وهذا يعني أن خطته بتجميع المجاهدين وتسليحهم استعدادا للثورة، لم تنفذ بعد . وبالتالي فإن أي خطوة متسرعة تكشف مكان وجوده ومجموعته.

والأرجح أن المجهولين الذين ذكرهم أبو إبراهيم الكبير وغيره، كانوا من تنظيم شمال فلسطين الذي كان يقوده علي رضا النحوي بتوجيه من المفتي، وذلك كما ذكر الأستاذ الغوري في كتابه «فلسطين عبر ستين عاما»، وعندما مر هؤلاء المجهولون بالمنطقة لم يكن لديهم علم بوجود الشيخ القسام وجماعته فيها.

كانت السلطات البريطانية تراقب تحركات الشيخ ورفاقه قبل خروجهم من حيفا، وقد خصصت لذلك عددا من رجال البوليس السري، كان أبرزهم الضابط أحمد نايف .. وبعد مقتل روزنفلد اهتمت دائرة البوليس بالحادث اهتماما بالغا، فتوجه من القدس معظم ضباط البوليس إلى الشمال للتحقيق، وسافر بصفة خاصة «المستر رايس» مدير البوليس لهذه الغاية(٥١). ويبدو أن إدارة البوليس ربطت بين غياب القسام عن حيفا وبين الحادث، وقد كان لديها شكوك حول علاقته بالعمليات المسلحة التي حدثت في أول الثلاثينات.

وقامت الشرطة بوضع حوافز مادية لتشجيع القرويين على الإدلاء بمعلومات للبوليس فوضع «المستر سبايسر» مفتش البوليس العام مكافأة مقدارها «٢٠٠» جنيه لأي شخص يقدم أخبارا تؤدي إلى اعتقال قاتل أو قاتلي روزنفلد (٥٢). ونشرت الشرطة خبرا أن المجموعة المطاردة في جبال جنين هي عصابة لصوص، وذلك لتضليل الناس والحصول على معلومات عن تحركها.

---

(٥١) جريدة فلسطين – يافا ، في ١٩٣٥/١١/١٣ ،ص٦

(٥٢) جريدة فلسطين – يافا ، في ١٩٣٥/١١/١٣ ،ص٥

أما الجماعة المجاهدة فقد توجهت من كفردان إلى برقين ومنها إلى جبال قريتي البارد وكفرقود. ويصف عربي البدوي ماحصل هناك فيقول (٥٣):
«أثناء النهار كنت حارسا على الجماعة في موقعة البارد، وكان الشيخ وبقية المجاهدين يستريحون في مغارة، وبينما كنت أراقب الطريق، أتى رجل معه عصا طويلة في رأسها قطعة حديد يجر بها الأرض أثناء سيره، أوقفته وسألته ماذا يريد؟ وكان متجها نحو المغارة، فقال أنه حارس لمزروعات القرية، فأبلغت الشيخ القسام بالخبر فأمرني بتركه، فتركته.

وبعد برهة أدركت أنه جاسوس جاء يتجسس علينا- يبدو أن الرجل كان مقتنعا بأن المطاردين هم عصابة لصوص-، وكان البوليس على الجبل المقابل لنا يتعقبوننا دون أن يعرفوا المكان بالتحديد.

أرسلوا عسكريا كي نشتبك معه وينكشف مخبؤنا، فأمر الشيخ كلا من معروف الحاج جابر، ومحمد أبو قاسم خلف، بالذهاب وأخذ بارودة العسكري، وحين اصطدموا معه، ابتدأت المعركة بينهم وبين باقي أفراد البوليس، وسمعنا إطلاق النار، فهيأنا أنفسنا وتوزعنا بانتظارهم . واستشهد أثناء المعركة محمد أبو قاسم خلف الحلحولي، واستطاع معروف الحاج جابر الإنسحاب والعودة إلى حيفا.

أما كيف عرف البوليس أن الجماعة موجودة قرب كفرقود؟.. فقد راجت الإشاعات حول عدد من الوشاة الذين غررت بهم دائرة البوليس، ولكن لا يستطيع أحد أن يجزم بعلاقة أحد ممن روجت الإشاعات حول علاقتهم بالوشاية، ولكن من المؤكد أن نشاط وجهود أحمد نايف، وحليم بسطه واستخدامهم للكثيرين من البسطاء الذين لم يدركوا حقيقة وهوية الجماعة المطاردة هي التي

(٥٣) عربي البدوي : مقابلة اجراها معه سميح حموده في ١٩٨٤/٤/١

ساعدت بالكشف السريع والمبكر عن القسام ورفاقه، وقد يكون في وثائق حكومة الانتداب ودارة البوليس المحفوظة في لندن ما يساعد على معرفة الوشاة والجواسيس المتعاونين مع الانجليز.

يقول كوهين [٥٤]: «ان اخبارية وصلت للشرطة في السابع عشر من تشرين الثاني تفيد ان هناك حوالي ٣٠ مسلحا يختبئون في مغارة قرب قرية كفر قود بالقرب من جنين، فخرج من حيفا حوالي ٢٠٠ شرطي مسلح، نصفهم بقي في شرطة جنين قوة احتياط والباقي توجه الى المكان، وحسب وصفه لتتابع الاحداث فان محمد ابو قاسم خلف كان مع اثنين آخرين من المجموعة نائمين في المغارة، بينما نجح ٢٥ واحدا منهم بالتمركز في مواقع خلف الزيتون حين عرفوا بوجود البوليس في المكان.

وحين سمعوا اطلاق النار فر الاثنان الموجودان مع «ابو قاسم خلف» ولحقا بالبقية بينما تأخر محمد الى ان استيقظ ولم يجد مفرا فوجه بندقيته حالا نحو الشرطة واطلق عدة طلقات فاطلق عليه شرطي بريطاني النار من مسدسه وارداه قتيلا، ثم بدأ بعدها سماع طلقات من طرف الجماعة على الشرطة، فاصدر الضابط الانجليزي «هاوس» الذي كان قائدا للفرقة امرا بعدم اطلاق النار تخوفا من وقوع كارثة بين افراد الشرطة لان الظلام قل حل واصبح هناك خطرا بان يطلق افراد الشرطة النار على بعضهم ولم يكن معهم فتاش يضيء المنطقة حولهم.

بيان دائرة البوليس .. وتضليل الرأي العام

اهتمت دائرة البوليس كثيرا بتضليل الرأي العام في فلسطين، وتأثر الناس بهذا التضليل وأن المطاردين هم عصابة لصوص حتى بعد استشهاد

---

(٥٤) حموده ، سميح: الوعي والثورة ، ص٧٥ عن الارشيف الصهيوني :س٢٥/٤٢٢٤

محمد ابو قاسم خلف، فنشرت صحيفة فلسطين التي كانت تصدر في يافا بيانا حول مقتله من دائرة البوليس جاء فيه:(ان دائرة البوليس علمت بوجود عصابة اشقياء!! بين نابلس وجنين وهي تظهر باسلحتها الكاملة وتهدد الامن العام، فارسلت قوة من البوليس بعد ظهر امس ١٩٣٥/١١/١٧وعلى رأسها المستر هاوس واخذت تقوم بالتحري عن العصابة، وفي سفح جبل واقع على بعد ٨ كيلو متر عن جنين عثرت على اثار لافرادها فتابعت السير حتى وصلت الى كهف في الجبل فرأت واحدا يخرج منه ويطلق النار من بندقية عليها، فقابلته بالمثل وقتلته ثم تقدمت القوة الى داخل الكهف فلم تجد فيه احدا، ولكنها عثرت على بقايا طعام واثار واضحة تدل على انه كان هناك عدة اشخاص سكنوه حديثا(٥٥).

ويتابع المجاهد عربي البدوي كلامه عن خط سير الجماعة بعد حادثة كفر قود فيقول: «في الثامن عشر من تشرين الثاني كان القسام يقود جماعته بعد ان انسحبوا اثناء الليل من جبال كفر قود وكانت وجهته خربة الشيخ زيد قرب يعبد حيث الشيخ سعيد الحسان وهو احد افراد جماعة المجاهدين وفي الطريق لاحظ عربي البدوي متابعة الجواسيس لخطواتهم، فطلب من القسام التريث قليلا لاخذ قسط من الراحة ولبحث مشكلة الجواسيس، يقول عربي، كان القسام يحترم افكاري رغم صغر سني، اخبرت الجماعة عن ملاحظتي وان هذه القرى مليئة بمن يتعقبون اثارنا، واقترحت ان ننقسم الى قسمين، قسم يتجه الى الشمال ويعود الى حيفا والناصرة يقوم اثناء سيره بتخريب سكك الحديد وقطع خطوط الهاتف التابعة للانجليز واليهود ثم يذهبون الى نورس حيث الشيخ فرحان السعدي ويأتون به لملاقاتنا في الوادي الاحمر بين نابلس والغور، وهناك نملك حرية اكثر وتخف ملاحقة الجواسيس لنا، فاعجبت الفكرة الشيخ القسام وطلب الانقسام الى مجموعتين، ذهبت الاولى الى الشمال وهي مكونة من عشرة

(٥٥) جريدة فلسطين - يافا، في ١٩٣٥/١١/١٩م

افراد ويدلهم على الطريق الشيخ داود الخطاب واذكر منهم الشيخ احمد من بيتا، يوسف ابو دره، محمود سالم، صالح اسعد، وداود خطاب.

اما الباقون فهم، الشيخ القسام حسن الباير، عربي البدوي، احمد عبد الرحمن جابر، محمد يوسف، نمر السعدي، عطيفه المصري، اسعد المفلح، يوسف الزيباوي، فقد توجهنا نحو الغرب الى يعبد وفي الطريق نفذ الماء وكانت احمالنا ثقيلة ، فكل رجل منا يحمل بندقية و٦٠ مشط فشك، وحربة صنعها الشيخ القسام عند احد الحدادين، وكانت على طريقة الصحابة للاقتداء بهم، بالاضافة الى الاغطية وادوات السفر الاخرى والطعام.

وفي الليل ارهقنا التعب والعطش فطلبت من الشيخ ان نستريح لنشرب فقال لا يوجد لدينا ماء، ولن نستطيع ان نشرب فاصررت على ان نرتاح ونشرب فكرر الشيخ سؤاله، ومن اين نشرب؟ وكان الشيخ حسن الباير يعرف المنطقة شبرا شبرا وقال للقسام لا يوجد هنا ماء، واقرب منبع للماء يبعد عنا حوالي ١٠ كيلو مترات ورغم هذا امرنا الشيخ بالراحة وارسل معي اثنين حملوا اوعية ماء وقال لهم الحقوا به، فسرت امامهم دون ان ادرى اين انا سائر ولم نكد نقطع مسافة ستين مترا حتى اتينا صخرة واذ بها حفرة معصرة حجمها متر مكعب مليئة بالماء فشربنا وملأنا الاوعية ورجعنا، فشرب اخواننا واسترحنا ثم واصلنا السير حتى وصلنا خربة الشيخ زيد.

وفي التاسع عشر من تشرين الثاني اصبحت تحركات الجماعة تلاقي صعوبة شديدة، فالمعلومات التي حصل عليها البوليس الانجليزي نتيجة للتحقيقات المكثفة اصبحت تساعد اكثر فاكثر على تحديد مكان الجماعة، وعدد افرادها واسمائهم واسلحتهم، وقد ابتدأت التحقيقات من قرية فقوعه المحطة الاولى التي ابتدأ القسام رحلته منها، فاستدعى البوليس في ١٩٣٥/١١/١٨ ثمانية اشخاص من القرية وحقق معهم في شأن المجاهدين

ووصل الى جنين عدد كبير من رجال التحقيق وانبثوا بين القرى وبين الناس ومعهم عدد من الضباط وليسترقوا الاخبار عن المجاهدين وكان كل واحد منهم يلبس زيا خاصا كعامل او فلاح او زبال، ونحوه، ووصف مراسل صحيفة فلسطين في جنين، وقضاء المدينة بقوله[٥٦]، انه اصبح ساحة حرب لكثرة استعدادات البوليس وازدياد عدد رجاله من رسميين وسريين.

وفي نفس اليوم شيعت مدينة جنين الشهيد محمد ابو قاسم خلف الحلحولي وكانت الشرطة قد ابقت جثته مكانها بعد استشهاده يوما كاملا الى ان تم تشخيصها وقد سار في الجنازة عدد كبير من تجار ووجهاء وشباب مدينة جنين وقضائها واظهر المشيعون تعاطفا مع الشهيد رغم انه لم يكن معروفا وقتها ان المطاردين هم جماعة مجاهدة وليست عصابة لصوص وكان للاقوال التي انطلقت من افواه الناس دلالاتها بشأن احترام الخارجين على قانون الانتداب والمتحدين له بقوة السلاح.

احداث المعركة:

وصل الشيخ القسام وجماعته خربة الشيخ زيد في التاسع عشر من تشرين الثاني، ونزلوا في بيت الشيخ سعيد الحسان حتى صبيحة الاربعاء ٢٠/١١/١٩٣٥ وكانت قد وصلت معلومات لدائرة بوليس نابلس تفيد ان افراد الجماعة موجودون في احراش يعبد، وقامت الصيحة عند الاعداء، فان اخوف ما يخافه الانجليز واليهود هو عودة الامة الى عقيدة الجهاد، وجرد الانجليز عليهم قوات كثيفة جمعوها من حيفا ونابلس والناصرة وبيسان وطولكرم ووصلت القوات الى المنطقة القريبة من يعبد[٥٧]، وطوقت قرية الشيخ زيد والطرم عند الفجر، وقامت بتفتيش المنطقة بحثا عن المجاهدين وكان المجاهدون قد انتقلوا

(٥٦) جريدة فلسطين - يافا ، في ١٩٣٥/١١/٢٠

(٥٧) صحيفة البالستاين بوست (بالانجليزية) العدد ٢٨٩١ ، في ١٩٣٥/١١/٢١

بعد صلاة الفجر الى الاحراج. . وقامت جماعة القسام باطلاق النار باتجاه فصيل الشرطة، وكان ظن الشيخ انه فصيل منفرد، ولكن تبين انه فصيل متقدم لكشف الطريق امام قوة هائلة من الشرطة، ومع بداية اطلاق النار استطاعت الشرطة تحديد موقع اطلاق النار، فقامت بمحاصرة المكان.

وفي الساعة السادسة صباحا تجول الكابتن «رايس» نائب مدير الشرطة مع احد افراد المخابرات في الشمال فوق المنطقة داخل طائرة واعطوا الاشارات حول مكان المجاهدين، وقدرت بعض مصادر الحكومة عدد افراد البوليس المهاجمين بـ(١٥٠) فردا من الشرطة الانجليز والعرب بالاضافة الى قوة الاحتياط التي بقيت في نابلس وجنين، وكان هناك عشرة من افراد الشرطة بقوا في مكان قريب من موقع المعركة لحراسة الشارع(٥٨).

وبدأت المعركة ووزع القائد رجاله في مواقع حصينة وسط الصخور العالية والاشجار الكثيفة بحيث يسهل عليهم الدفاع، وكان في مقابل كل بطل منهم ما يزيد على الاربعين من جنود العدو، واحتدم القتال والرصاص ينهال عليهم من كل صوب والمجاهدون صامدون كالنسور في مواقعهم، يقاومون بضراوة وايمان، مع ما بأيديهم من سلاح وعتاد محدود.

وحين عرف الشيخ القسام ان افراد الشرطة يقتربون من مواقعهم اعطى لاتباعه امرا بعدم اطلاق النار باي شكل من الاشكال على افراد الشرطة العرب بل اطلاق النار باتجاه الانجليز، وكان الضباط الانجليز قد وضعوا البوليس العربي في ثلاثة مواقع امامية، ولم يكن هؤلاء يعرفون حقيقة الجهة التي احضروا اليها(٥٩)، وحقيقة الجماعة التي يطاردونها.

---

(٥٨) جريدة دافار اليهودية ١٩٣٥/١١/٢١ .ص١

(٥٩) جريدة فلسطين - يافا ، في ١٩٣٥/١١/٢١

واتخذت المعركة بين الطرفين شكل عراك متنقل، وساعدت كثافة الاشجار على تنقل افراد الجماعة من موقع الى آخر واستمرت الى ماقبل العصر بقليل، وكان الشيخ القسام من الفعالين في القتال، فقد حارب ببندقية ومسدس بالتناوب، في الوقت الذي كانت شفتاه تلهج بالدعاء.

لقد ثبت المجاهدون، وابوا الفرار وكانوا يستطيعونه، وبدت امامهم فرصة للنجاح، عندما ناداهم الضابط البريطاني:

- *استسلموا تنجوا..*

ولكن الشيخ صرخ في وجهه:

- *لا .. لن نستسلم، هذا جهاد في سبيل الله.*

ثم التفت الى اصحابه وهتف بهم:

- *موتوا شهداء*

فردد الجميع ورددت سفوح الجبال من حولهم النداء :

- *لبيك يا فلسطين، لبيك يا فلسطين، جئناك مستشهدين، الله اكبر، الله اكبر*(٦٠).

وكانت معركة رهيبة بين المجاهدين والبريطانيين صمد فيها رجال القسام وقاتل شيخهم قتال الابطال، وظل يكافح حتى خر صريعا في ميدان الجهاد، شهيدا كريما في سبيل اعلاء كلمة الله فوق ارض فلسطين، استشهد وهو يقول:

---

(٦٠) السيد احمد ، عبد العزيز : عز الدين القسام رائد النضال في فلسطين ،ص.٤٠

واستشهد في المعركة بعض اخوان القسام وجرح آخرون منهم وتم اسرهم.

ويصف المجاهد عربي البدوي احداث المعركة في المقابلة التي اجراها معه السيد سميح حموده، والتي مر ذكرها، فيقول:

كان يوم اربعاء، وكنت اقف خفرا على طرف الحرش، حرش يعبد قرب خربة الشيخ زيد، ورفاقي داخل الغابة، الشيخ عز الدين وعصبته، ومع طلوع الشمس رأيتهم يهجمون علينا وهم على ظهور الخيل ويتصايحون عليهم عليهم، اوعزت لرفاقي بان يتوزعوا ويأخذوا اماكنهم، وبدأتهم بالرصاص فجعلوا يتركون الخيل ويأخذون مواقع لهم على بطونهم خلف الحجارة والرجوم من اكوام الحجارة.

وابتدأت المعركة، والمعركة غير متكافئة، نحن تسعة وهم جعلوا يتوافدون عشرات، عشرات الى ان اكتمل عددهم من مائتين الى اربعمائة معظمهم يحمل شارة بندقيتين على ذراعه وهذا يعني انه قناص لا يخطيء، مكثت مدة تزيد على عشرين دقيقة او نصف ساعة وانا اطلق الرصاص واقفا بطول قامتي لا يحجبني عنهم حجر او سلسال او شجر. المسافة بيني وبينهم لا تزيد عن خمسين مترا، اقف هدفا لمئات البنادق من بنادق الصيادين، وعبثا حاولوا ان يقتلوني او يصيبوني برصاصة واحدة، الرصاص ينهمر ويزأر ويصفر ويرن حول اذني وفوق رأس وحول جسمي وبين ارجلي ومن تحت ابطي وحول عنقي تماما لو هاجت علي مئات الخلايا من النحل الهائج في يوم شديد الحرارة، لم اصب ولم اجرح!! ولم اقتل!! لانه ليس مكتوب لي او مقدر علي ان اموت في ذلك اليوم او على وجه تلك الارض، واخيرا انتبه الشيخ رحمه الله، وصاح باعلى صوته: خذ الارض، لن تموت شهيدا، اذا مت على هذه الحالة انت منتحر

اذا لم تأخذ الارض.

لقد كنت فعلا اتمنى الشهادة، واحاول عبثا الحصول عليها، فل
الامر على الشيخ وهو اخبر من غيره بشروط الشهادة ووسائل الحصول
تلقينا امرا بالانسحاب والتوغل داخل الغابة وجرح الشيخ اسعد المفلح
الفحم، حاولت حملة فرفض الشيخ قائلا اتركه واعتن بنفسك وفي داخل
وجدنا صخورا تصلح لان تكون استحكامات قوية، ضيقوا علينا
واحكموا نطاق الطوق الا من جهة واحدة، جهة الشمال وكانت
والانسحاب منها معروفة نتائجه، فقررنا المقاومة حتى حلول الظلام.

ويصف عربي البدوي مقتل الشرطي الانجليزي (ر.س.موت
رفيقه «فرانك ريدر» بعد ان حاول الوصول لمكان الجماعة والاقتراب اكثر
قبل، ويقول انه بعد مقتل موت استشهد الشيخ القسام، فالزيباوي
المصري، وجرح نمر السعدي جروحا بليغة، ثم سلم الباقون انفسهم وهم
الباير، عربي البدوي، احمد عبد الرحمن جابر، محمد يوسف بعد ان وجدوا
مجال للمقاومة وكان الوقت قبل العصر بقليل، اما البيان الرسمي للحكـ
ذكر ان المعركة انتهت الساعة العاشرة.

ولا بد هنا ان نفتقد المجاهد الشيخ فرحان السعدي في هذه المعر
علمت من ابنه عبد الله السعدي في مقابلة أجريتها معه بمدينة عمان في
١٩٨٦ علمت ان الشيخ القسام قبل ان يغادر مغارة «نورس» ويتـ
احراش يعبد، كان قد ارسل الشيخ فرحان الى نهر الشريعة ليحضر السـ
شرقي الاردن، وبعد احضار السلاح وعودته الى احراش يعبد، علم با
الشيخ القسام، فاخترق الطوق الذي فرضته القوات البريطانية على
والقى نظرة على قائده الشهيد، وعاد الى الجبال ليجمع المجاهدين
الجهاد الذي بدأه القسام، وفي اليوم التالي من استشهاد القسام خرج

فرحان مع جماعة من اصحابه الى جبال صفد ورابط هناك، وبدأ يغير على المستعمرات اليهودية في مرج ابن عامر وشمال فلسطين، كما بدأ بعمل كمائن لضرب الانجليز في منطقة نابلس.

نتائج المعركة:

رغم المقاومة الباسلة التي ابداها القسام ورفاقه فقد كانت نتيجة المعركة بالنسبة للمجاهدين كمايلي(٦١):

الشيخ عز الدين القسام - شهيد

يوسف عبد الله الزيباوي - شهيد

عطيفه احمد المصري - شهيد

احمد سعيد الحسان - شهيد

محمد ابو قاسم خلف (استشهد قبل المعركة برصاص البوليس)

الشيخ نمر السعدي (جرح في المعركة)

اسعد المفلح (جرح في المعركة)

حسن الباير (اسر في المعركة)

احمد الحاج عبد الرحمن (اسر في المعركة)

---

(٦١) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٨٨٦ .. وسميح حموده الوعي والثورة ،ص٨٠

عربي البدوي (اسر في المعركة)

محمد اليوسف (اسر في المعركة)

وبعد انتهاء المعركة، تعمد قائد قوات البوليس (فستجيرالد) مدير بوليس نابلس اهانة جثة الشهيد القسام، ويقال انه داس على رقبته(٦٢).

اما نتيجة المعركة بالنسبة للانجليز، فقد قتل الشرطي (ج٠ر٠س٠موت) بعد اصابته في رئته وجرح الشرطي فرانك ريد في يده بعد تقدمه لمساعدة (موت) حين اصيب.

وتعود قلة خسائر الانجليز الى اصرار القسام وجماعته على عدم اطلاق النار باتجاه الشرطة العرب، وتوجيه بنادقهم نحو الانجليز فقط، وكان الانجليز قد اخذوا مواقع خلفيه(٦٣).

الاسباب التي ادت الى هذه النتائج:

اولا- عدم تمكن القسام من تنفيذ خطته التي خرج من حيفا عازما عليها، فلم يجد الفرصة التي يتمكن فيها من الاتصال بالقرى وشرح الخطة التي ينوي تنفيذها والاهداف التي يسعى الى تحقيقها.

ثانيا - انكشاف امر الجماعة في المكان الاول الذي وصلت اليه في مغارة «نورس» حين تم قتل موشي روزنفلد دون علم القسام، هذا مما لفت انظار الشرطة الي المكان الذي تختفي فيه الجماعة، وافسد امكانية التجول بين القرى دون ملاحقة البوليس، واضاع ايضا عنصر مباغتة الانجليز ومفاجأتهم بثورة مسلحة دون ان يكونوا على علم مسبق بها.

---

(٦٢) النمر، احسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج٣، ص٢١٥

(٦٣) جريدة فلسطين - يافا في ١٩٣٥/١١/٢١

ثالثا - قيام الانجليز بتضليل الرأي العام في فلسطين بعد الاشتباك الجانبي في كفر قود، وإيهام الناس بوجود عصابة لصوص في المنطقة، هذا ولم يكن احد من الناس يعلم بخروج الجماعة من حيفا لانها خرجت في ظروف فرضت عليها السرية التامة والتكتم الشديد.

رابعا - الاشتباك الاولي في احراش يعبد مع مجموعة صغيرة من الشرطة ظنا من المجاهدين انها تضم جميع عناصر البوليس المطاردة لهم، وكذلك عدم مقدرة المجاهدين على معرفة حجم القوات المهاجمة لهم.

خامسا - استنفار الانجليز لقوات كثيرة من نابلس وطولكرم وحيفا وجنين، واحكام الطوق حول احراش يعبد وعدم معرفة الاهالي بما يجري داخل الاحراش.

الحقائق التي تركتها المعركة في نفوس الناس:

بعد المعركة عرف ابناء فلسطين حقيقة الجماعة التي خرجت من حيفا جهادا في سبيل الله ودفاعا عن عقيدة الاسلام وعرفوا ان افراد الجماعة قد التزموا في اثناء مرورهم بين القرى بشعائر الاسلام واخلاقه، وكانوا في الليل يشعلون النار ويجلسون يتلون القرآن ويسمعون من شيخهم احاديث الجهاد والشهادة في سبيل الله، وحين استشهد من استشهد منهم، واسر من اسر وجد مع كل واحد منهم نسخة من كتاب الله المجيد(القرآن الكريم)(٦٤) ووجد مع الشيخ القسام دعاء كان يضعه في عمامته، كتبه على النحو التالي:(اعوذ بالله من كيد الشيطان الرجيم في كل ما انا عازم عليه، اعوذ بعزة الله وقدرته من قدرة الكافر والاته النارية، ومما يقدرون واعوذ بعزة الله وقدرته من كل عزة وقدرة تعاديني في امري، سبحانك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، سألت الله ان ينصر دينه)(٦٥).

(٦٤) الرابطة العربية - العدد٢٤ ، في ١٩٣٦/١١/٤ ، ص٢٢

(٦٥) جريدة فلسطين - يافا في ١٩٣٥/١١/٢٣

وعرف الناس ان جماعة القسام ابوا الاستسلام للاعداء، لانهم يجاهدون في سبيل الله دفاعا عن ارض الاسراء والمعراج وان قائدهم قال لهم (موتوا شهداء) فلبوا النداء وفهم ابناء فلسطين رسالة القسام، فالموت الشريف خير من الحياة الذليلة المستكينة.

لقد كانت معركة يعبد اول مواجهة مسلحة بين العرب وبين الانجليز منذ بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين، وقد اثبتت هذه المواجهة ان الانجليز هم سبب نكبة البلاد وهم العدو الاول الذي مكن لليهود في فلسطين.

كما ان معركة يعبد اقضت مضاجع السلطة الاستعمارية، فكتبت صحيفة (الأوبزيرفر) اللندنية في مقال لها ان جهاد العرب الحقيقي في سبيل التحرير بدأ بقيام حركة القسام.

اما استشهاد القسام فكان له دوي قوي في فلسطين من اقصاها الى اقصاها، فتعاطفت كافة فئات الشعب مع فكرة الاستشهاد في سبيل الله والوطن، وكانت معركة يعبد مدرسة لابناء فلسطين وحافزا على البذل والتضحية، تجلت اثارها في ثورة ١٩٣٦ التي بدأها انصار القسام، بل وبدأت قبل هذا التاريخ، يقول المؤرخ عمر ابو النصر (ان الثورة لم تبدأ في نيسان ١٩٣٦ بل بدأت يوم تشييع القسام يوم رأينا حيفا تضطرب في موجة حزن وتجتمع في نعش ميت، وتخرج باعلامها وراياتها والامها واحزانها، ونسائها وشيوخها وشبابها، تضع هذا كله على بضعة اشبار من الارض استراح اليها بل ضحكت امانيها على فمه ولم تفطن الى عبقريته وتضحيته حتى سقط على ارضها صريعا وانتقل من دنيا تموج بالضجيج الى دنيا لا تأنس بالعجيج، عندئذ فطنت الى عظم ما قام به في سبيلها وكيف انه نفخ فيها روحا لم تكن تفطن لها من قبل، ولا تتعلق بها بسبب طويل او قصير، وكذلك جعل الله من جثة القسام الهامدة وطنا يشعر بالحرية ويعيد لذكرى التضحيات، بل يا له من جسد

لم يكد الموت يتلقاه حتى افاض الحياة على هؤلاء الذين يعيشون على الارض من غير ان يفطن واحد منهم الى اضواء الحياة(٦٦).

ولم تتوقف حركة القسام باستشهاده بل لعل حادث الاستشهاد ادى الى ماكان يتمناه الرجل ويسعى اليه من ايجاد عمل جهادي في فلسطين امتد من بلد الى بلد وانتقل من جيل الى جيل.

---

(٦٦) ابو النصر ، عمر : جهاد فلسطين العربية ، ص٢٧٤-٢٧٥

الفصل السادس

الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦-١٩٣٩

اسبابها، اهدافها، عناصرها، مراحلها

- **تقديم**
- **الاسباب والعوامل التي أدّت الى الثورة**
- **اهداف الثورة**
- **عناصر الثورة**
  * عناصر الثورة داخل فلسطين
  * تنظيم الجهاد المقدس
  * تنظيم القسام
  * عناصر الثورة من خارج فلسطين
- **التنظيم العسكري للثورة**
  * التنظيم العسكري في بدايةالثورة
  * التنظيم العسكري للثورة بعد المرحلة الاولى
  * قادة الثورة والقادة المساعدون ١٩٣٧-١٩٣٩
  * قوات الثورة
  * التمويل
  * التسليح والذخيرة
- **مراحل الثورة**

الفصل السادس

ورة الفلسطينية الكبرى عام١٩٣٦-١٩٣٩

اسبابها ، اهدافها ، عناصرها ، مراحلها

ـــم

لذي يتابع احداث القضية الفلسطينية وتطوراتها يرى ان ثورة -١٩٣٩ قد بدأت عملياً وشعبيا قبل اعلان الجهاد المقدس في مطلع م ١٩٣٦ فما جرى من احداث في فترة الثورة وما سبقها من اجراءات ت ما هي الا سلسة ملتحمة الحلقات من اضرابات عامة، ومظاهرات واصطدامات محلية بين العرب والاعداء، وعمل فدائي مسلح، وكفاح ، مستمر وجهود دبلوماسية ودعائية ومقاومة جدية لبيع الاراضي سرة عليها، ومقاطعة للاعداء في المجالات السياسية والاجتماعية صادية..

لقد تجمعت عدة عوامل وظروف واعتبارات ادت الى نشوب هذه الثورة ـة التي كانت اكبر واطول ثورة قام بها شعب عربي ضد اعدائه باستثناء لجزائر.. هذه العوامل والظروف هي التي جعلت ابناء فلسطين يصممون الدفاع عن وطنهم ووحدة اراضيه وانقاذ فلسطين من شرور السياسة انية والغزوة الصهيونية والعمل على بلوغ اهدافهم بالحرية والاستقلال ـدة العربية والاسلامية.

وهذه العوامل هي التي ادت الى نشوب الثورات الفلسطينية في اعوام ١و١٩٢١و١٩٢٩ والى ما وقع في فلسطين من احداث ومظاهرات

واضرابات واصطدامات دامية بين العرب واعدائهم منذ عام ١٩١٩ وحتى عام١٩٣٦.

وزاد من تصميم ابناء فلسطين على الدفاع عن وطنهم في وجه الاستعمار البريطاني والغزوة الصهيونية التجارب المريرة التي مرت بها الحركة الوطنية الفلسطنية منذ نشأتها في عام ١٩١٩/١٨ وما منيت به جميع محاولات التفاهم مع الانجليز من اخفاق وخيبة امل، وساد الفلسطينيين عامة، وقيادتهم بشكل خاص اقتناع عميق بعد عام ١٩٣١، بان بريطانيا لن تدخل اي تبديل او تعديل على سياستها وانها تساعد الصهيونيين على بلوغ هدفهم بتهويد فلسطين وانجلى هذا الاقتناع عن شعور عام في البلاد بانه لا جدوى من الجهود والمساعي السياسية التي كانت تبذل بنشاط لاقناع بريطانيا بتغيير مواقفها والعمل على انصاف العرب، وبانه لا فائدة من مواصلة ارسال الوفود الى بريطانيا واوروبا وامريكا، والقيام باعمال الدعاية في الخارج للدفاع عن قضية فلسطين وعرض مطالب العرب على المحافل الدولية، وبان السبيل الوحيد المجدي لانقاذ الوطن هو مجابهة الاعداء بالقوة والعنف، وقد عمل هذا الاقتناع على تغذية وتعميق حركة الاعداد السري للجهاد والكفاح المسلح، وزادها عزما ونشاطا واشعر المسؤولين في الحركة الوطنية بوجوب التعجيل في انجاز مهام التأهب والاعداد والاستفادة من الشعور المتوثب تأييدا لاعمال الجهاد والتحرير. وكان الايمان بعدم جدوى العمل السياسي، وبان الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد لبلوغ الاهداف الوطنية، قد وجد تجسيده بشكل حي وواقعي في ثورة الشيخ عز الدين القسام عام ١٩٣٥ فقد ايقظت هذه الثورة الشعب الفلسطيني واشعلت في نفسه الحماسة للجهاد، ورفعت معنوياته، واثبتت له بالتجربة ان لا سبيل لمواجهة الاستعمار والصهيونية الا اعلان الجهاد والثورة المسلحة.

الاسباب والعوامل التي ادت الى الثورة:

١ . نقمة العرب على بريطانيا بسبب احتلالها للبلاد في الوقت الذي كان العرب فيه يسعون الى الاستقلال والوحدة ومن اجله ثاروا على العثمانيين فكانت النتيجة الواقعية للثورة على العثمانيين وقوع المشرق العربي بما فيه فلسطين تحت الاستعمار الغربي البريطاني والفرنسي وتمزيق المشرق العربي الى دويلات[١].

٢ . تبني بريطانيا لسياسة وعد بلفور بكل اصرار وبذلها اقصى ما تستطيع لمساعدة الحركة الصهيونية لاقامة الوطن القومي اليهودي.

٣ . استفحال تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين وخاصة بعد تولي الحزب النازي مقاليد الحكم في المانيا وارتفاع عدد المهاجرين خلال السنوات ١٩٣٣-١٩٣٥ بشكل اثار مخاوف الشعب بصورة ملموسة، وكذلك استمرار الهجرة اليهودية (السرية) الى فلسطين وتغاضي الحكومة البريطانية عنها والتستر عليها وحمايتها[٢] وهذه الهجرة اليهودية والواسعة بلغت سنة ١٩٣٥ (٦٢) ألف مهاجر رسمي ومثل هذا العدد من المهاجرين المهربين مما اصبح يهدد عرب فلسطين بان يصبحوا اقلية في فلسطين او ان يطردوا منها[٣].

٤ . ازدياد خطر استيلاء اليهود بشتى الوسائل والاساليب على اراضي فلسطين وامعان الحكومة البريطانية في سن الانظمة والقوانين لتسهيل عملية استيلاء اليهود على الاراضي وخوف العرب وخصوصا الفلاحين من ان يصبحوا بلا ارض.

---

(١) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٠ عام ٨٨ ،ص٤٣

(٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ،ص٦٢٣

(٣) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٠ عام ٨٨ ،ص٤٤

٥. قيام اليهود (بمعرفة الحكومة ومساعدتها) بتهريب كميات كبيرة من السلاح والعتاد الى فلسطين وتوزيعها على المدن والمستعمرات الصهيونية، بالاضافة الى نضالهم العلني والسري في انشاء تشكيلات ومنظمات عسكرية وارهابية بمساعدة بريطانيا واشتراك ضباط بريطانيين في تنظيمها وتدريب افرادها، وقد بدأ عرب فلسطين يلمسون وجودها وقوتها وخطرها على وجودهم(٤).

٦. هناك عوامل واسباب نفسية تعتبر من حيث تأثيرها على الشعور العام، وما كان لها من ردود فعل في الاوساط الشعبية، من العوامل الاساسية في نشوب الثورة اذ هيأت النفوس للاقبال عليها والاشتراك فيها ومن هذه العوامل(٥):

أ. ما كان يتعرض له الفلسطينيون عامة والمجاهدون خاصة من اضطهاد وظلم على ايدي الانجليز.

ب. اقدام اليهود على اقتراف اعمال اجرامية ارهابية ضد العرب، ولا سيما في المناطق المحاذية للمدن والمستعمرات اليهودية.

ج. اتفاق جميع الاحزاب والفئات والجماعات الفلسطينية على توحيد الكلمة والصف وانتهاء عهد الاختلافات والمشاحنات وتشكيل «اللجنة العربية العليا الفلسطينية».

د. اعتزاز الفلسطينيين بما اخذوا يلمسون وجوده من تشكيلات ومنظمات عسكرية فلسطينية (سرية) تم اعدادها لاعمال الجهاد ويقينهم بان قيادة الحركة الوطنية عملت على حشد الرأي العام في العالمين العربي والاسلامي لدعم اهل فلسطين.

---

(٤) الموسوعة الفلسطينية- المجلد الاول ،ص٦٢٤ ومجلة القدس الشريف العدد ٤٠ ،ص٤

(٥) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ،ص٦٢٤

وكان في مقدمة هذه المنظمات الجهادية:

منظمة القسام ومنظمة الجهاد المقدس وقد تعرض عدد من المؤرخين العرب الى اهم العوامل والاحداث التي ادت الى هذه الثورة، فكتب الاستاذ عزة دروزه عن حادثة استشهاد القسام فقال [٦]: «*وكان الحادث من الحوافز النفسية القوية للاحداث التي تلته حيث بعد أشهر قليلة اعلن الاضراب العام*» ووصف الاستاذ عمر ابو النصر تضحية القسام بانها كانت مقدمة لصراع عنيف وجهاد رائع يكون فيه للحق الغلبة على الباطل وقال ان استشهاد القسام يصح ان يحسب فاتحة الثورة ومشعل انوارها[٨].

٧. وهناك عوامل اخرى فقد طرأت قبل اعلان الثورة احداث عجلت بنشوب الثورة وهي[٨]:

أ. في مطلع شهر نيسان ١٩٣٦ ضاعف اليهود هجماتهم العدوانية المسلحة على العرب لاثارتهم وجرهم الى خوض المعركة قبل ان يتموا استعدادهم للثورة، وكان الانجليز واليهود قد علموا يومئذ باتجاه العرب نحو التأهب والاستعداد، لكن هذه الخطة المبيتة منيت بالفشل اذ امتنع التشكيل السري عن مجابهة الهجمات اليهودية وترك امر الرد عليها للاهلين في مناطق الاعتداء.

ب. بعد فشل هذه الخطة لجأ اليهود الى شن اعمال عدوانية ضد يافا، ولكن الخطة انقلبت على اصحابها اذ انها ادت الى وحدة صف

---

(٦) دروزرة، عزة: القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة، ج١ ،ص٢١

(٧) ابو النصر، عمر: جهاد فلسطين العربية، ص٢٧١-٢٧٤

(٨) الموسوعة الفلسطينية – المجلد الاول ،ص٦٢٤

الفلسطينيين بشكل سريع فاعلنت يافا الاضراب العام وتبعتها مدن وقرى فلسطين التي بادرت الى انشاء اللجان القومية وضمت هذه اللجان ممثلين عن جميع الاحزاب والطوائف والفئات.

ج. في ٢٥ نيسان والاضراب العام ما زال قائما عقدت اللجان القومية مؤتمرا عاما لها في القدس وقرر هذا المؤتمر تشكيل قيادة سياسية مركزية للحركة الوطنية مقرها القدس على ان تتمثل فيها الاحزاب والجماعات، فتألفت اللجنة العربية العليا لفلسطين برئاسة محمد امين الحسيني وعضوية ممثلي الاحزاب والمستقلين.

٨. اما الاسباب التي ذكرها تقرير لجنة (بيل) والتي ادت الى الثورة فهي:

اولا - رغبة العرب في نيل الاستقلال الوطني

ثانيا - كرههم لانشاء الوطن القومي اليهودي وتخوفهم منه.

ثم اضاف التقرير بعض العوامل الثانوية التي ساعدت الى نشوب الثورة مثل:

ازدياد هجرة اليهود منذ عام ١٩٣٣ والفرصة المتاحة لليهود للتأثير في الرأي العام في بريطانيا وعدم ثقة العرب، في اخلاص الحكومة البريطانية وفزع العرب من استمرار شراء الاراضي من قبل اليهود، وعدم وضوح المقاصد النهائية التي ترمي اليها الدولة المنتدبة(٩).

---

(٩) الرضيعي ، يوسف رجب : ثورة ١٩٣٦م في فلسطين ، ص٤٣

٩٠ بالاضافة الى كل ما تقدم او نتيجة لهذه العوامل وصل التوتر الشعبي مستوى عال وبدأ الاستعداد للثورة ومن مظاهر ذلك تشكيل فرق كشفية من الجوالة باسم (الكشاف المسلم) فرقة في كل قرية وشكلت لها قيادة عامة تربطها بفرق الكشافة في المدن، وكان الحزب العربي الفلسطيني يدعم هذه الحركة ويشرف عليها .

وكان كل شاب من افراد الكشافة يعتبر نفسه جنديا مستعدا للمشاركة في الثورة عند قيامها (١٠) .

وفي شهر كانون الاول عام ١٩٣٥ قام المندوب السامي البريطاني بمحاولة فاشلة لتهدئة الاجواء المضطربة فاقترح اقامة مجلس تشريعي في فلسطين يتألف من٢٨ عضوا خمسة منهم موظفون و١١ معينون تعيينا و١٢ منتخبون ومن اصل المنتخبين ٨ مسلمون و٣ يهود ومسيحي واحد، وبهذا لا يختلف مشروع المجلس التشريعي لسنة ١٩٣٥ كثيرا عن المجلس التشريعي لسنة ١٩٢٢ الذي رفضته القيادة الفلسطينية في حينه، فالمندوب السامي البريطاني يبقى الفيصل في كل القوانين التي تعرض على المجلس (له حق الفيتو) اضافة الى ان اكثرية المجلس معينة تعيينا ، كما نص في المشروع المقترح على عدم جواز اي اقتراح يضع(صحة) الانتداب البريطاني موضع الريبة او الشك وان يبقى تحديد جدول الهجرة من صلاحيات المندوب السامي وحده .

واعلنت حكومة بريطانيا انها ستنفذ هذا المشروع سواء أقبله العرب ام رفضوه وسواء قبله اليهود ام رفضوه، واعلنت القيادة الصهيونية رفضها للمشروع على اساس انه يتعارض مع وعد بلفور ويضع اليهود في موضع الاقلية، اما القيادة العربية فقد وافقت ضمنا على قبول الاقتراح مع نقده والعمل على تعديله، وفيما بعد هاجم البرلمان البريطاني المشروع وقرر الغاءه .

---

(١٠) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٠ عام ١٩٨٨ ،ص٤٤

وكان رد الفعل لالغاء مشروع المجلس التشريعي عنيفا واصبح جليا ان الكفاح السياسي لن يحل مشكلة فلسطين ولا بد من الثورة المسلحة وبذلك ازداد التوتر والتحفز الثوري.

وفي شهر كانون الثاني وشباط سنة ١٩٣٦ اعلن في سوريا الاضراب العام المستمر الى ان تتحقق المطالب الوطنية وكانت الاستجابة للاضراب واسعة جدا وتجاوب صدى هذا الاضراب في انحاء فلسطين، وفي يوم ١٩٣٦/٢/٤ اضربت فلسطين اضرابا عاما تضامنا مع اضراب سوريا الشمالية، وارتفعت دعوات وكتبت مقالات تنادي بامتداد الحركة الثورية من سوريا الشمالية الى فلسطين، واضطرت سلطات الانتداب الفرنسي الى الاستجابة الى بعض مطالب الحركة الوطنية في سوريا، واعلنت سياسة جديدة تقوم على اساس تشكيل حكومة وطنية من ابناء سوريا تحول اليها سلطات الانتداب شيئا فشيئا، وكان لهذا الانتصار رد فعل كبير في فلسطين اوصل حده التحفز الشعبي الى القمة(١١).

اهداف الثورة:

كانت اهداف ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ هي نفس الاهداف التي ثار ابناء فلسطين من اجلها، والتي قاموا في سبيلها بالمظاهرات والاضرابات والاصطدامات العنيفة مع الاعداء منذ١٩١٩ حتى ربيع ١٩٣٦، وهذه الاهداف هي صيانة فلسطين عربية اسلامية والحفاظ على مقدساتها واراضيها المباركة ومنع تهويدها، واعلان استقلالها في وحدة عربية شاملة.

وهذه الاهداف لم تعلن بصراحة ووضوح الا عند اعلان الثورة المسلحة في مطلع ايار ١٩٣٦ ولعل السبب الذي دفع اللجنة العربية العليا لفلسطين الى

---

(١١) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٠ عام ١٩٨٨ ،ص٤٥

عدم اعلان هذه الاهداف فور تشكيلها في ١٩٣٦/٤/٢٥ يعود الى ان زعماء الحركة الوطنية ركزوا جهودهم ولا سيما بعد مظاهرات تشرين الاول ١٩٣٣ على خطة سياسية تعتمد على مطالبة الانجليز بتغيير سياستهم المتبعة وبتبديل مواقفهم المتخذة من فلسطين واهلها، وتجنبوا التهديد بالتمرد والعصيان وآثروا السكوت عن المطالبة بالحرية والاستقلال لفلسطين، وتعود هذه الخطة الى عاملين رئيسيين هما(١٢):

١. الحرص على التستر على ما كان يجري من تنظيم واعداد وتأهب للجهاد، والاعتقاد بان المطالبة بالتغيير والتبديل فحسب ستحمل الانجليز واليهود على الاقتناع بان القيادة الوطنية غدت معتدلة.

٢. اعتقاد القيادة السياسية بان خطة مطالبة بريطانيا بتبديل سياستها وتغيير مواقفها وعدم مجابهتها بالمطالب الاساسية للحركة الوطنية قد تكون اكثر جدوى واقرب الى التلبية من جانب بريطانيا وان التركيز على هذه المطالبة سيحول الرأي العام البريطاني الى جانب العرب فيضغط على حكومته لتلبية هذه المطالب لما يظهر فيها من اعتدال.

وظل القادة المسؤولون يلتزمون خطة مطالبة الحكومة البريطانية بالتبديل والتغيير بعد الاضراب العام، ولكن تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين يومئذ، دفع اللجنة العربية العليا لفلسطين الى اتخاذ مسألة الهجرة وسيلة لدعم مطالبتها بالتغيير والتبديل فاتخذت القرار التالي واعلنته على الشعب:

«دعوة الشعب العربي الفلسطيني إلى مواصلة الإضراب العام حتى تبدل الحكومة البريطانية سياساتها وتغير موقفها، وأن تكون البادرة الأولى لهذا التبديل وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين».

---

(١٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٢٤

عناصر الثورة:

ليس من اليسير تحديد جميع العناصر التي شاركت في ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، وذلك لعدة أسباب منها(١٣):

١. طوق السرية والكتمان الذي ضرب على حركة التأهب والإستعداد الفلسطينية (السرية) والذي ظل مضروبا إلى مدى بعيد بعد نشوب الثورة.

٢. تجنب المسؤولين عن إعلان الثورة وقيادتها كشف النقاب عن عناصر المجاهدين (الثوار) وقادتهم الحقيقيين، وعن المدن أو القرى التي جاؤوا منها. وكان الغرض من هذا التكتم إخفاء الحقيقة، أو إبعادها عن الإنجليز واليهود، لأن الأعداء كانوا يضطهدون (عائلات) الثوار إذا عرفوهم، ويبطشون بمدنهم وقراهم، في حين كانت المنظمات الإرهابية الصهيونية تقترف أبشع الجرائم ضد القرى التي يتبين لها أن أبناءها يحملون السلاح ويشتركون في الثورة.

٣. تعدد عناصر الثورة واختلافاتها، فمنهم المجاهدون حملة السلاح، ومنهم زعماء اللجان القومية، وتشكيلات «سرية جدا» مستقلة عن الثورة مهمتها معالجة أمور الجواسيس وباعة الأراضي والسماسرة، ومنهم عناصر وطنية وسياسية في خارج فلسطين ساهمت بشكل جدي في دعم الثورة وتقويتها.

عناصر الثورة داخل فلسطين:

يمكن تسجيل الحقائق التالية بالنسبة الى عناصر الثورة داخل فلسطين وقد تكون هناك بعض العناصر مازالت غير معروفة:

١. كان ابناء فلسطين هم العنصر الاساسي والرئيس في الثورة سواء منهم

---

(١٣) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول، ص٦٢٥

المجاهدون حملة السلاح او عدد من رجال السياسية والقيادة الوطنية او عدد من كبار الموظفين العرب في الحكومة الذين قدموا للثورة خدمات جيدة.

٢. كان الحاج امين الحسيني وعدد من الشبان الذين وثق بهم واعتمدهم قد انشأوا خلال الاعوام التي سبقت نشوب الثورة عدة منظمات وتشكيلات (سرية) في اماكن متعددة من فلسطين، ووفروا لها السلاح والتدريب والتنظيم للقيام بالثورة عندما يأذن الوقت الملائم، وكانت هذه المنظمات والتشكيلات هي في الحقيقة نواة الثورة.

٣. عمل الحاج امين الحسيني والعلماء والشبان الذين تعاونوا معه على انشاء تشكيلات ومنظمات علنية ودربوها تحت ستار النشاط الرياضي على اعمال الاسعاف والدعاية وعلى اعمال تنظيمية ومسلكية تفيد منها الثورة عند نشوبها، وكان من هذه التشكيلات والتنظيمات: جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمعيات الشبان المسلمين، ومنظمة الفتوة التابعة للحزب العربي الفلسطيني ومنظمة الجوالة الاسلامية التابعة (للمجلس الاسلامي الأعلى) فضلا عن نواد ثقافية ورياضية كان من ابرزها كشافة الجراح في عكا ونادي روضة المعارف في القدس، والنادي الرياضي الاسلامي، والنادي الارثوذكسي في يافا، والاتحاد النسائي العربي الفلسطيني، ولجان الاسعاف والعناية بالايتام والمنكوبين، وكانت هذه المنظمات والتشكيلات ايضا معينا ينتقى منه من يرى فيه المقدرة والاستعداد لضمهم الى التشكيل السري.

اما تنظيمات الجهاد الرئيسية في الثورة فكانت:

تنظيم الجهاد المقدس:

ان تطور الاحادث في فلسطين وخاصة بعد ثورة ١٩٢٩ وانتفاضة

١٩٣٣م دفع القادة الصادقين والشبان المؤمنين الى التهيئة والاعداد والتنظيم السري لمحاربة الحكم البريطاني فقد قام الحاج امين الحسيني وعدد من الشبان الذين وثق بهم واعتمدهم خلال الاعوام التي سبقت نشوب الثورة بانشاء عدة منظمات وتشكيلات سرية في اماكن متعددة من فلسطين ووفروا لها السلاح والتدريب والتنظيم لتكون نواة للثورة.

وتكون تنظيم سري للجهاد في المناطق الشمالية من فلسطين،(١٤) وبالاضافة الى هذا التنظيم تكون تنظيم اخر في المناطق الجنوبية وخاصة في القدس كونه الشبان الوطنيون وعقدوا لواء قيادته لعبد القادر الحسيني واطلقوا عليه اسم الجهاد المقدس.

وبدأ رجال هذا التنظيم يقومون ببعض الاعمال لإزعاج السلطات واليهود، واتخذت شكل الاصطدام بالقوات البريطانية ونصب الكمائن لدوريات الجيش والشرطة ومهاجمة حرس المستعمرات اليهودية.

وفي عام ١٩٣٥ بلغ التذمر من الحكم البريطاني ذروته واكتسحت البلاد دعوة جارفة لمحاربته ومقاومته في حين اتسعت اعمال العصابات في شتى الميادين، وازداد تنظيم الجهاد المقدس نشاطا وجرأة وازدادت الاصطدامات الدموية وغدا الناس يتوقعون حدوث اصطدام عنيف شامل بين العرب وبين الحكم البريطاني واليهود.

وفي الخامس والعشرين من شهر تموز ١٩٣٥ التقى سماحة المفتي ببعض المسؤولين عن التنظيم السري وعلى رأسهم عبد القادر الحسيني وكان المفتي يعتقد ان الوقت المناسب للاصطدام المباشر بالحكم البريطاني بات وشيكا وان على جميع الفلسطينيين ان يعدوا انفسهم له..

---

(١٤) كان هذا التنظيم بقيادة المجاهد علي رضا النحوي من صفد

ولما تفاقمت الاوضاع العامة في فلسطين وازدادت خطورة عمل المفتي على توحيد جميع التشكيلات والتنظيمات بما فيها التنظيم السري للشباب الذي كان يرأسه عبد القادر الحسيني، وهكذا قامت في فلسطين في صيف ١٩٣٥ منظمة فلسطينية عامة واختار المفتي عبد القادر الحسيني قائدا لها وكانت تحت اشراف الحاج امين ورئاسته السرية المباشرة، وهي منظمة الجهاد المقدس التي تولت اعمال الجهاد الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨[١٥].

وبعد قيام منظمة (الجهاد المقدس) شكل المفتي لجنة مركزية للجهاد كان من اعضائها عارف الجاعوني والشيخ موسى العيزراوي، وعبد القادر الحسيني وعبد الفتاح المزرعاوي ونافذ الحسيني واميل الغوري وجميل الفارس، وموسى الصوراني والشيخ ابراهيم الصانع[١٦].

تنظيم القسام[١٧]،

منذ قدم القسام الى فلسطين، ورأى مشروع الوطن القومي اليهودي عن كثب يبنى لبنة لبنة ورأى مع هذا حرص الانجليز على كسر شوكة المسلمين، بدأ الشيخ يفكر بالثورة والجهاد فقد آمن ان الثورة المسلحة هي وحدها القادرة على انهاء الانتداب والحيلولة دون قيام دولة صهيونية في فلسطين، وحدد القسام ثلاثة اهداف للجهاد والثورة المسلحة هي:

- طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين

---

(١٥) الغوري ، اميل: فلسطين عبر ستين عاما . ص٢٤٤

(١٦) الموسوعة الفلسطينية – المجلد الاول ، ص٣٤

(١٧) لمزيد من الاطلاع على تنظيم القسام راجع الكتاب الثاني من سلسلة اعلام الجهاد في فلسطين والذي بعنوان : الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد قضية.

- منع اقامة دولة يهودية على ارض فلسطين

- اقامة دولة عربية اسلامية تعمل على تحقيق الوحدة الاسلامية بين الدول العربية .

ولتحقيق هذه الاهداف قام القسام بتكوين الوحدات الجهادية (١٨)واهتم بالتنظيم الدقيق وتوزيع الادوار والمهمات واشترط لعضوية التنظيم شرطين :

الاول - ان يقتني العضو السلاح على حسابه من خاص ماله.

الثاني - ان يدفع اشتراكه الشهري البالغ عشرة قروش، ويتبرع بما يستطيع من دخله.

وقد زاد عدد اعضاء تنظيم القسام على ثلاثمائة مجاهد وبعد استشهاده وانفجار ثورة ١٩٣٦ ارتفع العدد الى اضعافهم، وقد لعب اعضاء هذا التنظيم السريين والذين تمكنوا من تجنب عمليات التطويق البريطاني وممن نجحوا في تأمين قواعد لهم في الجبال دورا بارزا في التحريض على اشعال الثورة والاعداد التنظيمي والعسكري لها مستغلين حالة الغليان التي عاشتها الجماهير والتي ادت الى اعلان الاضراب الكبير، كما انهم لم يتوقفوا ابدا عن العمل الثوري في صفوف كافة ابناء الشعب وخاصة الفلاحين والعمل على دعوتهم للالتحاق بقضية العرب الكبرى(١٩) .

وقد كانت اكثر مساهماتهم فعالية من اجل قضية الثورة ذلك الدور القيادي والتنظيمي لفصائلها والذي مارسوه عند اشتعالها، كما عمل الكثيرون منهم حتى النهاية ضمن تشكيل كبار القادة في الجبهات القتالية المختلفة،

---

(١٨) ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ص٢٢

(١٩) الرضيعي ، يوسف رجب : ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٤٥

واذكر على سبيل المثال لا الحصر خمسة منهم عملوا ضمن صفوف القيادة العليا وهم:

- خليل محمدعيسى الملقب بـ(ابو ابراهيم الكبير)من مواليدشفا عمرو
- يوسف ابو دره من مواليد سيلة الحارثية
- الشيخ فرحان السعدي من مواليد المزار
- الشيخ عطيه احمد من مواليد بلد الشيخ - حيفا
- محمد صالح الحمد من مواليد سيلة الظهر

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن تنظيم القسام ان نذكر ان هذا التنظيم كان على صلة وتعاون وتنسيق مع سماحة المفتي، وان الشيخ كامل القصاب الذي اقام له تجارة في حيفا وأخرى في القدس وكان يتنقل بينهما، كان هو صلة الوصل بين المفتي والقسام.

مجموعة من القادة الوطنيين:

وكان في مقدمتهم المجاهد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد من قرية ذنابه والمجاهد عارف عبد الرازق من قرية الطيبة، منطقة طولكرم وعدد آخر من المجاهدين في مناطق متعددة من فلسطين.

وفي هذا المجال لا بد ان نذكر ان عددا من رجال الشرطة العرب وموظفي الدولة قد لعبوا دورا اساسيا في مساعدة قادة المجاهدين عن طريق تزويدهم دائما وباستمرار بالمعلومات السرية عن نوايا القوات البريطانية وعملياتها العسكرية الوشيكة التنفيذ، كما ساهموا في تضليل البريطانيين فيما يتعلق

بتحركات الثوار العرب[٢٠]، وفي مقابلة مع المرحوم الشيخ فريز جرار اخبرني انه قام هو ومجموعة من اخوانه في البوليس الفلسطيني خلال ثورة ١٩٣٦ بمساعدة الثوار بالذخيرة والاخبار والمعلومات التي تفيدهم وكان هذا العمل بتكليف من سماحة المفتي في القدس، كما قاموا بالمشاركة في عدد من اللجان القومية وفي التناوب علي حراسة وامن المسجد الاقصى، وان بعضهم عمل على نقل المتفجرات والذخيرة بوضعها في سلة ووضع الخضار فوقها وهم يرتدون البدلة العسكرية فلا يجري تفتيشهم من قبل البوليس البريطاني[٢١].

عناصر الثورة من خارج فلسطين:

وصلت الى فلسطين مجموعات من المتطوعين من شرق الاردن والعراق وسوريا ولبنان ومصر للمشاركة في الثورة، ومن هذه المجموعات:

- في حزيران ١٩٣٦ وصلت مجموعة سورية من المجاهدين بقيادة الشيخ محمد الاشمر، ومجموعة اخرى بقيادة المجاهد سعيد العاص، وهما من قادة الثورة السورية البارزين[٢٢].

- مجموعة من المتطوعين من ابناء شرقي الاردن التحقوا بجيش الجهاد المقدس.

- في ٢٢ اب ١٩٣٦ وصل فوزي القاوقجي قادما من العراق على رأس حملة عسكرية منظمة قدرت بنحو مائتي مقاتل، وهو ضابط عربي لبناني عمل في الجيش العثماني والعراقي[٢٣].

---

(٢٠) الرضيعي ، يوسف رجب : ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٤٦
(٢١) مقابلة مع الشيخ فريز جرار في عمان في الشهر الثامن من عام ١٩٨٤
(٢٢) دروزه ، عزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ج٣،ص١٢٩
(٢٣) الرضيعي ، يوسف رجب : ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٤٧

– مجموعة من حماة وحمص بقيادة منير الريس وهو اديب وصحفي سوري وأحد اعلام الثورة السورية(٢٤).

– مجموعة عراقية بقيادة جاسم، وهو ضابط عراقي نظامي

– مجموعة من لبنان وجبل العرب بقيادة حمد الصعب، وهو مناضل لبناني من الشويفات وممن ساهموا في الثورة السورية(٢٥).

– وفي مصر اعلن الامام البنا عن ارسال اثنين من مساعديه هما: عبد الرحمن الساعاتي، ومحمد اسعد الحكيم في مهمة رسمية الى فلسطين للقاء الحاج امين الحسيني، وتوطيد علاقات الاخوان المسلمين مع قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، ثم ارسل مجموعة من شباب الاخوان مع المجاهد محمود عبده، للمساهمة في تدريب عصبة القسام، ولما قامت ثورة ١٩٣٦ اخذ الاخوان يمدون المجاهدين بما يقع في ايديهم من مال وسلاح، كما نجح عدد من شبابهم في التسلل الى فلسطين والاشتراك مع الثوار في جهادهم وخاصة في مناطق الشمال حيث عملوا مع جماعة المجاهد الشيخ عز الدين القسام. وقال لي الشيخ عبد المعز عبد الستار في لقاء معه(٢٦) (كان الاخوان يجمعون السلاح للمجاهدين الفلسطينيين ويقدمون لهم الخبراء لاصلاح السلاح وكان الشهيد يوسف طلعت يقوم بمهمة توصيل الاسلحة الى الثوار وكثيرا ماكان يقوم بتهريبها بنفسه عن طريق الاسماعيلية وسيناء ويعرض نفسه للمخاطر من اجل هذا العمل الشريف).

وذكر الشيخ احمد حسن الباقوري في مذكراته عن (مسارعة بعض الشباب الى مشاركة المجاهدين في فلسطين مع اخ لهم لا يعرف كثير من الناس

---

(٢٤) النمر، احسان: تاريخ جبل نابلس والبلقاء ج٣، ص٢٦٣

(٢٥) الرضيعي، يوسف رجب: ثورة ١٩٣٦ في فلسطين، ص٤٧

(٢٦) مقابلة مع الشيخ عبد المعز عبد الستار في الدوحة عام ١٩٨٥

انه من طلائع دعوة الاخوان المسلمين وهو الشيخ الشهيد عز الدين القسام وكان من الاخوان الذين لا يشق لهم غبار - رضي الله عنه - فقد قتل تحت لوائه في فلسطين شاب مصري من خيرة شباب الاخوان وهو الاخ احمد رفعت الذي كان طالبا في كلية التجارة والذي كان لا يركب الترام ايمانا منه بان الشركة التي تملك الترام هي شركة استعمارية فكل من يعينها ولو بمال ضئيل انما يعين قوة استعمارية على قتل الابطال المجاهدين في معارك فلسطين) (٢٧).

- تشكلت في العراق وسوريا ولبنان وشرقي الاردن وغيرها من الدول العربية والاسلامية لجان وطنية لنصرة اهل فلسطين ودعم ثورتهم وقد عملت هذه اللجان على جمع الاموال والاسلحة وارسالها الى الفلسطينيين وقامت باستقبال الجرحى والمصابين من المجاهدين والعناية بهم.

التنظيم العسكري للثورة:

التنظيم العسكري في بداية الثورة

لقد برزت ثلاثة تنظيمات عسكرية في بداية الثورة، اي في المرحلة الاولى من الثورة هي:

الاول - تنظيم الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني القائد العام للثورة ، وكان يتبع هذا التنظيم قادة الجهاد المقدس في منطقة القدس وجنوب فلسطين والساحل وبعض المناطق في المثلث وشمال فلسطين.

وقد انضم اليه معظم المتطوعين الذين دخلوا فلسطين من شرقي الاردن وعدد من المتطوعين السوريين بقيادة المجاهد سعيد العاص. ومن القادة الذين عملوا مع عبد القادر الحسيني في هذه المرحلة:

(٢٧) الباقوري ، احمد حسن : بقايا ذكريات ، ص٤٥

الشيخ حسن سلامه - قائد منطقة الساحل (يافا ، اللد ، الرملة)

عيسى البطاط - في منطقة الظاهرية قضاء الخليل

عبد الحليم الجولاني - في الخليل

كامل الحاج حسين - في منطقة جنين

فوزي جرار - في منطقة جنين

ابراهيم ابو ديه - في منطقة صوريف الخليل

محمد عمر النوباني - في منطقة رام الله

وقد نظم عبد القادر قواته في مجموعات كبيرة تكونت من عدة مئات انتمى معظم افرادها اصلا الى تنظيم شباب الفتوة التابع للحزب العربي الفلسطيني اما قيادته فقد اسسها في بير زيت.

الثاني- تنظيم القساميين في شمال فلسطين بقيادة خليل محمد عيسى (ابو ابراهيم الكبير) الذي تولى القيادة العامة للثورة في المنطقة الشمالية لفلسطين، وكان من القادة في تنظيم الشمال:

- محمود سالم (ابو احمد القسام) قائد منطقة شفا عمر

توفيق ابراهيم (ابو ابراهيم الصغير) من قادة المنطقة الشمالية

- رشيد ابو درويش، قائد منطة جبل الكرمل

- عبد الله الاصبح قائد منطقة الجاعونة

الثالث - تنظيم منطقة المثلث (نابلس، جنين، طولكرم) وانتخب فوزي القاوقجي قائدا عاما له وذلك لانه اكثر قادة المنطقة خبرة في النواحي العسكرية ولكونه قائدا لمجموعة من المتطوعين العسكريين اضافة الى خبرته في حرب العصابات التي مارسها ضد الفرنسيين ايام الثورة السورية(٢٨).

ومن القادة الذين كانوا في منطقة المثلث قبل قدوم القاوقجي والذين تعاونوا معه بعد قدومه الى فلسطين:

الشيخ فرحان السعدي قائد منطقة نابلس

الشيخ عطيه احمد عوض قائد منطقة جنين

محمد صالح الحمد ابو خالد من قرية سيلة الظهر

وهؤلاء الثلاثة من القادة القساميين

- عبد الرحيم الحاج محمد قائد منطقة طولكرم، والذي نظم قواته في فصائل على رأس كل فصيل قائد خاص

- عارف عبد الرزاق من الطيبة منطقة بني صعب

- فخري عبد الهادي من عرابة منطقة جنين والذي تعاون مع الثورة في المرحلة الاولى منها ثم انحرف عنها(٢٩)

---

(٢٨) الرضيمي ، يوسف رجب : ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٤٧

(٢٩) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٨٩٧

ومن القادة المتطوعين الذين تعاونوا مع القاوقجي:

الشيخ محمد الاشمر من دمشق ومعه مجموعة سورية

منير الريس سوري ومعه مجموعة من حماة وحمص

الضابط العراقي جاسم ، ومعه مجموعة عراقية

حمد الصعب من لبنان ومعه مجموعة من جبل العرب ولبنان

ولقد تعاون هؤلاء القادة مع القاوقجي في الفترة التي قضاها في فلسطين اي في المرحلة الأولى من الثورة ولكن تعاون القادة القساميين معه لم يدم طويلا، لأن خلافا نشب بين فرحان السعدي وفوزي القاوقجي حول قضايا النزاهة وأدى الخلاف الى استقلال فرحان وإخوانه بنشاطهم الثوري(٣٠).

وقد حافظ العمل العسكري خلال عام ١٩٣٦ الى حد ما على التنظيم، لكن العفوية تغلبت على معظمه حتى خريف ١٩٣٧.

التنظيم العسكري للثورة بعد المرحلة الاولى:

عندما اشتعلت الثورة مرة اخرى شملت قطاعات الشعب الفلسطيني كله وكان للتجارب التي مرّ بها القادة والثوار واكتسبوا خلالها خبرة اوسع من ناحية القتال والتدريب اثر كبير في تطوير التنظيم نحو الافضل مما جعل الثورة على مستوى اعلى في الدقة والتنظيم..

وعندما بدأت المرحلة الثانية للثورة كان المفتي وبعض اعوانه في لبنان يهيئون لمساندة الثورة، وفي تلك الفترة تم تكوين اللجنة المركزية للجهاد من

(٣٠) حموده ، سميح: الوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ القسام، ص١٠٢

المفتي، والشيخ حسن ابو السعود ومنيف الحسيني واسحاق درويش في لبنان وعزة دروزه ومعين الماضي في دمشق(٣١).

وقامت اللجنة المركزية بتوجيه الثورة وامدادها واخذت تجهز بعض البارزين من المجاهدين وتسيرهم الى فلسطين ليتولوا قيادة الحركة الجهادية في مرحلتها الجديدة.

وتم تنظيم القيادة العسكرية على الشكل التالي:

اولا القيادة العامة : اتخذت قيادة الثورة من مدينة دمشق مقرا سريا لصعوبة بقائها في فلسطين في تلك الفترة نتيجة ضغط ومراقبة السلطات وتكون المجلس القيادي من القائد العام ومن عدد من المساعدين هم غالبا رؤساء فروع الشؤون الادارية والمخابرات والاعلام، بالاضافة الى قادة المناطق كما تم تعيين عدد من قدامى المحاربين السوريين ممن عملوا في الثورة السورية ١٩٢٥-١٩٢٧ مستشارين للقائد العام.

ثانيا - قيادة المناطق : خضعت جبهات القتال في فلسطين لقيادات مناطق رئيسة كانت كل منها قيادة ميدانية للثورة في غياب القيادة العسكرية العامة في دمشق وقد تم توزيعها على الشكل التالي(٣٢):

١. المنطقة الشمالية - وتمتد من جبل الكرمل في الجنوب الى حدود سوريا ولبنان في الشمال ومنطقة طبريا وسمخ في الشرق وتعتبر هذه المنطقة بسبب وعورتها ملائمة لحرب العصابات.

---

(٣١) دروزه ، عزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ج١ ، ص٢٠٩

(٣٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ،ص٦٣٢

٢. منطقة نابلس – وتشمل اقضية نابلس وطولكرم وجنين وساحل حيفا وتعتبر هذه المنطقة نموذجية لحرب العصابات لوعورتها وصعوبة مسالكها.

٣. المنطقة الوسطى – تشمل اقضية يافا واللد والرملة

٤. منطقة القدس وتشمل أقضية القدس والخليل ورام الله وبيت لحم.

أما المناطق الجنوبية من فلسطين فلم يكن فيها قادة مناطق لانها اراض زراعية او صحراوية لاتصلح لتنقل رجال العصابات.

ووضعت قيادات محلية في غزة والمجدل وبئر السبع تنفذ أوامر القيادة العامة وتتعاون مع قيادتي منطقتي القدس ونابلس في بعض الاحيان.

ثالثا – مسؤوليات قادة المناطق : تألفت المنطقة الرئيسية من عدد من المناطق المحلية تضم كل منها بين ١٥٠–٢٠٠ ثائر موزعين الى فصائل يتألف كل فصيل من ١٥ مقاتلا في المتوسط منهم فصيل القيادة، وقد حددت اختصاصاتها بالاشراف على القطاعات المحلية وشؤون الامن فيها بالاضافة الى الاشتراك في المعارك الرئيسية وكانت الادارة البريطانية في المناطق الجبلية باعتراف الجنرال هايننغ القائد العام للقوات البريطانية (غير موجودة على الاطلاق)

وقد اظهرت دراسة تناولت ٢٨٢ قائدا عسكريا ممن تولوا مختلف المناصب في الثورة أن ٦٥٪ منهم كانوا فلاحين و٣٪ فلاحين استقروا في المدن و٢٢٪ من سكان المدن و٨٪ من البدو وان الباقين كانوا من الدول العربية المجاورة.

قادة الثورة والقادة المساعدون ١٩٣٧-١٩٣٩:

لقد وردت اسماء عدد من قادة الثورة والقادة المساعدين وقادة الفصائل في بعض المراجع التاريخية للقضية الفلسطينية [٣٣] على الشكل التالي:

- خليل محمد عيسى (ابو ابراهيم الكبير) قائد المنطقة الاولى (المنطقة الشمالية) وهو من قرية المزرعة الشرقية قضاء رام الله.

- الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد قائد المنطقة الثانية (منطقة نابلس) ثم اصبح قائدا عاما للثورة في فلسطين عام ١٩٣٨ وهو من ذنابه قضاء طولكرم.

- الشهيد حسن سلامه قائد المنطقة الثالثة (المنطقة الوسطى) وهو من قضاء الرملة.

- الشهيد عبد القادر الحسيني قائد المنطقة الرابعة منطقة القدس.

- توفيق الابراهيم (ابو ابراهيم الصغير) قائد في المنطقة الاولى وهو من اندور - الناصرة

---

(٣٣) من هذه المراجع : دروزه ، عزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ج٣
- ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ٣٦-١٩٣٩
- الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨
- النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، ج٣
- زعيتر ، إكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية.
- جرار ، حسني : سلسلة اعلام الجهاد في فلسطين
- عوذة ،و زياد : من رواد النضال في فلسطين
- مذكرات بهجت ابو غربية



الشهيد القائد
عبد القادر الحسيني



الشهيد القائد
عبد الرحيم الحاج محمد



القائد خليل عيسى الملقب
بأبي ابراهيم الكبير



الشهيد حسن سلامة

- الشيخ رشيد ابو درويش قائد منطقة جبل الكرمل
- محمود سليم ابو احمد القسام قائد منطقة شفا عمرو
- الشهيد ابو خضر محمود الخضر قائد منطقة متجول
- محمد ابو محمود الصفوري قائد منطقة متجول
- ابو غازي قائد فني في منطقة الشمال من سوريا
- خالد الحصني قائد فني في منطقة الشمال
- سليمان العبد القادر قائد في المنطقة الاولى وهو من سمسم غزة
- عبد الله الاصبح قائد منطقة متجول وهو من الجاعونه
- الشيخ الشهيد عارف حمدان قائد منطقة متجول وهو من رمانه
- عبد الله الشاعر قائد منطقة صفد والناصرة وهو من صفد
- احمد التوبه مساعد قائد في المنطقة الاولى وهو من صفورية
- الحاج صالح احمد طه مساعد قائد وقاضي الثورة وهو من صفورية
- علي ابراهيم زعرورة مساعد قائد في المنطقة الاولى وهو من صفورية
- محمد العبد موسى مساعد قائد وهو من كوكب ابو الهيجاء
- محمود سليم الصالح مساعد قائد وهو من قضاء صفد
- الشيخ حامد مساعد قائد وقاضي الثورة وهو من كوكب
- الشيخ عطية احمد قائد في المنطقة الثانية / نابلس من بلد الشيخ - حيفا
- عارف عبد الرزاق قائد في منطقة نابلس وهو من الطيبة - قضاء طولكرم
- فريد يعيش امين سر قيادة عارف عبد الرزاق

- الشهيد محمد صالح الحمد قائد في منطقة نابلس وهو من سيلة الظهر
- الشهيد يوسف ابو دره قائد في منطقة نابلس وهو من السيلة الحارثية
- الشهيد عبد القادر يوسف قائد في منطقة نابلس وقاضي الثورة
- الشيخ فرحان السعدي قائد في منطقة نابلس وهو من المزار جنين
- الشهيد الشيخ عبد الفتاح محمد ابو عبد الله قائد في منطقة نابلس وهو من سيلة الظهر
- احمد جميل مستشار القائد عبد الرحيم الحاج محمد في منطقة نابلس
- الشهيد الشيخ طه قائد في منطقة نابلس وهو من صرفند الخراب حيفا
- كامل الحاج حسين قائد في منطقة جنين وهو من قرية صانور
- فوزي فياض جرار قائد في منطقة جنين وهو من قرية صانور
- احمد محمد الحسن ابو بكر قائد في منطقة نابلس وهو من برقة
- حمد زواتا قائد في منطقة نابلس
- فارس العزوني قائد في منطقة نابلس وهو من عزون
- الشيخ ابو عمر عبد الرحمن صالح قائد في منطقة نابلس من سيلة الظهر
- علي الفارس قائد في منطقة نابلس وهو من ام الفحم
- عبد الله الاسعد قائد في منطقة طولكرم وهو من عتيل
- عبد الله البكر قائد في منطقة نابلس
- نواف ابو شحرور قائد في منطقة نابلس وهو من قضاء حيفا

- الشهيد يوسف الحمدان قائد في منطقة نابلس وهو من ام الفحم
- داود الحوراني مساعد للقائد يوسف ابو دره وهو من جنين
- عارف غنيم مساعد قائد
- يحيي هواش مساعد قائد وهو من البروه
- ناجي ابو زيد قائد فصيل في الناصرة وهو من زرعين
- نايف الزعبي قائد فصيل في الناصرة وهو من قرية سولم - الناصرة
- الشهيد عيسى البطاط قائد في المنطقة الرابعة منطقة الخليل/ من الخليل
- ناجي النبي (ابو نعيم) قائد في منطقة الخليل
- عبد الحليم الجولاني قائد في منطقة الخليل وهو من الخليل
- ابراهيم ابو ديه قائد في منطقة الخليل وهو من صوريف الخليل
- محمد عمر النوباني قائد في منطقة رام الله

هؤلاء القادة قاتلوا مع عبد القادر الحسيني في منطقة القدس:

- فوزي القطب قائد فرقة التدمير
- الشيخ عبد الحفيظ بركات قائد في منطقة الخليل
- عبد الغني حيمور قائد فصيل عرب العبيدية قاتل مع عبد القادر الحسيني
- محمود ابو ادهم قائد فصيل عرب السواحرة
- شيخ عيسى ابو قدوم قائد فصيل عرب التعامرة
- جاد الله الخطيب قائد فصيل صور باهر

- الشهيد احمد جابر قائد منطقة العرقوب قضاء بيت لحم

- خليل منون وعيسى الحمزة - في عين كارم

قوات الثورة:

ليس من السهل الحصول على رقم دقيق لعدد الثوار المتفرغين الذين عملوا خلال فترة الثورة. ولكن بعض المصادر العربية تقدر عدد الثوار الذين اشتركوا في ثورة ٣٦-١٩٣٩ بما يتراوح بين تسعة وعشرة آلاف ثائر. من هذا العدد ثلاثة آلاف ثائر تفرغوا لأعمال العصابات، والف ثائر تفرغوا للعمل في المدن. أما الباقون فكانوا من سكان القرى والبادية الذين لم يتفرغوا للقتال، بل كانوا يمارسون أعمالهم الخاصة، ولكنهم يقومون بنجدة الثوار عند نشوب المعارك بالقرب من قراهم وأماكن سكنهم.

أما السلطات البريطانية فقدرت قوة الثوار المتفرغين للقتال بين ألف وألف وخمسماية مقاتل يساعدهم عدد كبير من المتطوعين من سكان المناطق المجاورة كانوا يذوبون بين الجماهير إثر كل معركة بعد أن يخفوا ملابسهم وسلاحهم، ويعودون لممارسة أعمالهم العادية. وقدرت مصادر أخرى (باحثون بريطانيون) عدد الثوار عام ١٩٣٦ بخمسة آلاف بين متفرغ وشبه متفرغ، ثم قفز الرقم إلى خمسة عشر ألفا في عام ١٩٣٨م.

ومن هنا تبدو تقديرات المصادر العربية لقوة الثوار معقولة بالمقارنة مع تقديرات المصادر البريطانية المختلفة، هذا إذا أضيف إلى عدد الثوار المتفرغين أولئك الذين يعملون إلى جانبهم من سكان القرى المجاورة، والذين سموا «بالفزيعة». وقد قام هؤلاء الثوار غير المتفرغين بعمليات لا تقل في جرأتها عن تلك التي قام بها الثوار المتفرغون، مثل نسف وتخريب طرق المواصلات، ونفذوا الكثير من المهام القتالية كالإغارة على المستعمرات الصهيونية ومراكز

الشرطة، وإشغال العدو بمعارك جانبية لتخفيف الضغط عن قوات الثورة أثناء اندلاع المعارك الكبيرة، وشن معارك الإلهاء لتوزيع وتشتيت جهود العدوعلى جهات مختلفة عند القيام بهجوم أو عملية حربية كبيرة، وحماية مؤخرة وحدات الثوار عند الهجوم على الدوريات والمستعمرات والمعسكرات التابعة للجيش البريطاني، وتأمين نقل الذخائر والتموين للثوار المتمركزين في قواعد ثابتة في الجبال والمناطق الوعرة، وذلك بالتنسيق مع القيادات المحلية(٣٤).

التمويل:

اعتمدت قوات الثورة اعتمادا أساسيا على تأييد ودعم وتمويل الشعب الفلسطيني، وعلى التبرعات التي قدمتها الدول العربية والإسلامية، وكذلك على الأموال التي تم الإستيلاء عليها من البريطانيين واليهود خلال المعارك. وقد شكلت البنوك ومراكز البريد هدفا رئيسيا للثوار حيث نجحوا خلال إحدى غاراتهم على فرع بنك باركليز في نابلس عام ١٩٣٨ في الإستيلاء على ٥٠٢٠ جنيه، ونجحوا في محاولة أخرى في الإستيلاء على ٢٠٠٠ جنيه من مكاتب البريد. كما أن على الثوار القادرين تأمين أسلحتهم وذخيرتهم طوال مسيرة الثورة. وكلفت جمعية خاصة بمهمة جمع المال، وقد تشكلت من سبعة أعضاء أحدهم سوري وآخر عراقي، وخمسة من الفلسطينيين، تولى معظمهم مناصب قيادية في صفوف الثورة وهم: عبد الرحيم الحاج محمد، وإبراهيم الحاج نصار، وعارف عبد الرازق، والشيخ فرحان السعدي، وتوفيق الصالح الحاج محمد(٣٥). كما تم تشكيل لجان وطنية في كل من شرقي الأردن والعراق

---

(٣٤) ياسين ، صبحي : حرب العصابات ، ص٧٥-٧٦ والشاعر ، محمد : الحرب الفدائية في فلسطين ، ص١٦٢

(٣٥) الرضيعي : يوسف رجب ، صورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٤٩

وسوريا ولبنان لجمع التبرعات. وفي مصر قام الإمام حسن البنا بتشكيل لجنة مركزية لمساعدة فلسطين في الخامس والعشرين من شهر صفر الخير ١٣٥٥هـ(آذار ١٩٣٦م)، وبدأت اللجنة المركزية نشاطها بتوجيه نداء إلى الشعب المصري والأمة الإسلامية لنصرة فلسطين المسلمة.. وأذاعت بيانا إلى عموم الإخوان للمساهمة ببذل المال والمشاركة بجمع التبرعات[٣٦] . وكان الإخوان لا يدعون وسيلة شريفة لجمع التبرعات إلا اتبعوها. ومن الوسائل التي مارسوها إصدار طوابع سموها «قرش فلسطين». وكانت بالإتفاق مع الحكومة ومع المفتي. وكانوا يرسلون جميع التبرعات إلى المجاهدين في فلسطين.

التسليح والذخيرة:

تكونت الأسلحة التي استخدمها الثوار خلال هذه الفترة من خليط غريب ومتنوع من البنادق والمسدسات يمكن وصفها بأنها قديمة الطراز وغير فعالة إذا قورنت بالأسلحة التي استخدمتها القوات البريطانية والمنظمات الصهيونية. وقد كان لذلك أثر كبير في إبقاء معظم عمليات الثوار مقتصرة على الكمائن والغارات وعمليات القنص. ومن الثابت أنه لم تكن هناك خطة عامة للتسليح في البداية، وهي الفترة التي انطلقت فيها الثورة بعفوية جماهيرية.

استخدم الثوار في البداية بنادق كانت تحتفظ بها الأسر للدفاع عن النفس وتم الحصول عليها قبل الحرب العالمية الأولى من الجيش التركي ومن مصادر أخرى . واستخدموا أيضا بنادق من صنع كندي وفرنسي وانجليزي وياباني وروسي وألماني، وكذلك أسلحة تم تركيبها بطريقة لا تخلو من الخيال والإبداع من قطع غيار مختلفة لبنادق متنوعة. وفي إحدى العمليات استولت القوات البريطانية على بندقية برتغالية مصنوعة في القرن الثامن عشر.

---

(٣٦) البنا ، الامام حسن ، مذكرات الدعوة والداعية ، ص٢٠٧

ولكن القسم الأكبر من الأسلحة تم الحصول عليه من مخلفات القوات التركية المنسحبة أثناء الحرب العالمية الأولى، أو تم تهريبه عن طريق البحر وعبر الحدود من الأردن وسورية ولبنان، أو من مصر من الذي جمعه شباب الإخوان من المدن والأرياف المصرية وهربوه إلى المجاهدين عن طريق سيناء.

وفي فترة لاحقة بعد وصول القاوقجي إلى فلسطين، استخدم الثوار الرشاشات على نطاق ضيق في منطقة نابلس بعد ان غنموا بعضها من البريطانيين. أما المدافع فلم تكن موجودة على الإطلاق.

ومن الظواهر المعبرة والمؤثرة فيما يتعلق بموضوع الأسلحة ذلك التعاون الذي كان يحدث بين إخوة السلاح. فالأسلحة التي استخدمت في ثورة ١٩٣٦ في فلسطين هي نفسها التي استخدمت في ثورة ١٩٢٥ في سورية ثم نقلت إلى فلسطين بعد ذلك. وقد كانت قوة الشرطة الفلسطينية (١٥٠٠شرطي) مصدرا سهلا لإمداد الثوار بالبنادق.

أما الذخيرة التي استخدمها الثوار فقد كانت مستودعات الجيش البريطاني والشرطة مصدرها الرئيسي. وكان بعضها ظروفا فارغة تم جمعها وتعبئتها يدويا، أو جرى الإستيلاء عليها خلال المعارك مع القوات البريطانية، أو شراؤها من بعض أفراد تلك القوات، بالإضافة إلى قسم كبير تم تهريبه من المناطق المجاورة. واستخدم الثوار أيضا كميات كبيرة من القنابل اليدوية البريطانية من نوع «ميلز٣٦»، وقاموا بتصنيع قنابل يدوية أفادوا منها بشكل واسع في عمليات المدن. وحوّل الثوار أيضا قذائف مدفعية استولوا عليها من بعض معسكرات الجيش البريطاني إلى ألغام نسفوا بها خطوط السكك الحديدية والطرق والجسور(٣٧).

---

(٣٧) الموسوعة الفلسطينية – المجلد الاول ،ص٦٣٣

كما قامت بعض ورش خراطة الحديد بتصنيع رصاص للبنادق طيلة سنوات الثورة (٣٦-١٩٣٩).. وفي مقابلة مع مسؤول إحدى هذه الورش أخبرني أن ورشته التي كانت في مدينة حيفا تمكنت من صناعة رصاص للبنادق، واستطاعت خراطة وتصنيع رشاش صغير (استن)(٣٨)

مراحل الثورة:

مرت الثورة بثلاث مراحل رئيسية، هي:

المرحلة الأولى: مرحلة التخطيط والإضراب العام واشتعال الثورة:

بدأت هذه المرحلة من نيسان ١٩٣٦، واتخذت شكلا مسلحا في مطلع أيار ١٩٣٦، وانتهت في ١٣/١٠/١٩٣٦م.

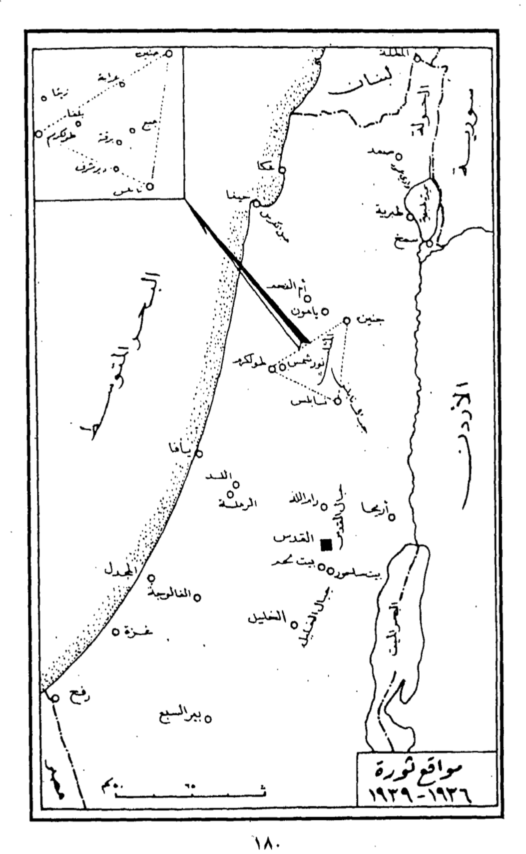
المرحلة الثانية: مرحلة الصراع السياسي والجهاد المنظم:

بدأت هذه المرحلة من تشرين الأول ١٩٣٦، وانتهت في أيلول ١٩٣٧م.

المرحلة الثالثة: مرحلة تصعيد الثورة.. وتراجعها وتوقفها:

بدأت هذه المرحلة في تشرين الأول ١٩٣٧، وانتهت في أيلول ١٩٣٩م.

(٣٨) مقابلة مع السيد اسماعيل رنو في عمان بتاريخ ١٩/١٢/١٩٧٠


مواقع ثورة
١٩٣٦-١٩٣٩
لبنان
سوريا
الأردن
البحر المتوسط
عكا
حيفا
أم الفحم
يامون
جنين
طولكرم
نور شمس
نابلس
يافا
اللد
الرملة
رام الله
أريحا
القدس
بيت لحم
بيت ساحور
المجدل
الفالوجة
غزة
الخليل
رفح
بير السبع
صفد
طبرية
سمخ
المطلة
جبال القدس
جبال الخليل
البحر الميت
مصر
جنين
عرابة
زيتا
بلعا
طولكرم
برقة
دير شرف
نابلس

الفصل السابع

المرحلة الأولى من ثورة ٣٦-١٩٣٩

مرحلة التخطيط والإضراب العام واشتعال الثورة

- تقديم
- الإضراب العام.. وتشكيل اللجنة العربية العليا
- إعلان الثورة وبدء العمليات العسكرية
- العمليات العسكرية:
  * أبرز العمليات العسكرية في المرحلة الأولى
  * نسف مدينة يافا القديمة

المعارك الهامة في المرحلة الأولى من الثورة:

* معركة نور شمس
* معركة الفندقومية
* معركة صانور الاولى
* معركة بلعا الأولى
* معركة بلعا الثانية
* معركة الجاعونة
* معركة جبع
* معركة بيت أمرين
* معركة الخضر - حوسان

توقف الإضراب والثورة:

* اللجنة الملكية (لجنة بيل) .. والوساطة
* نداء الملوك والأمراء العرب
* بيان اللجنة العربية العليا

الفصل السابع

المرحلة الأولى من ثورة ٣٦ -١٩٣٩

مرحلة التخطيط والإضراب العام واشتعال الثورة

تقديم:

لقد بدأ الإستعداد للثورة والتخطيط لقيامها قبل عام ١٩٣٦ بسنوات.. فتطور الأحداث في فلسطين بعد ثورة ١٩٢٩ وانتفاضة ١٩٣٣، دفع العلماء المجاهدين والقادة الصادقين إلى التهيئة والإعداد والتنظيم السري لمحاربة الحكم البريطاني. ولقد قام الحاج أمين الحسيني وعدد من الشبان المخلصين، خلال الأعوام التي سبقت نشوب الثورة بإنشاء عدة تنظيمات وتشكيلات «سرية» في أماكن متعددة من فلسطين، ووفروا لها السلاح والتدريب والتنظيم، لتكون نواة للثورة.

وفي عام ١٩٣٥ عملوا على توحيد هذه التنظيمات في منظمة سرية واحدة هي «منظمة الجهاد المقدس»، وتم اختيار عبد القادر الحسيني قائدا لها.

وفي نفس السنوات، بل وفي مرحلة متقدمة عليها، كان الشيخ عز الدين القسام قد كون تنظيما للجهاد في منطقة حيفا وشمال فلسطين. واضطر هذا التنظيم للقيام بثورة ضد الحكم البريطاني عام ١٩٣٥م.

ونتيجة للمعاناة التي كان يعيشها شعب فلسطين في ظل الحكم البريطاني المتآمر مع الصهيونية. فقد كانت كل الظروف تدفع أبناء فلسطين باتجاه الثورة، وكان من الطبيعي أن يتحرك الشعب في ثورته عند أول فرصة.

الاضراب العام ، وتشكيل اللجنة العربية العليا :

بينما كانت البلاد تعاني من المشكلات السياسية الكبرى التي بدأت منذ قيام الإنتداب، وأبرزها خطر الهجرة، وانتقال الأرض إلى اليهود، وحرمان العرب من أي نوع من أنواع الحكم الذاتي. وبينما كان الخلاف بين زعماء الأحزاب السياسية لم يزل قائما حول اختيار أعضاء الوفد الرسمي المدعو إلى لندن للتباحث في موضوع المجلس التشريعي . توالت الإشتباكات المسلحة بين العرب واليهود بسرعة فائقة مما أدى إلى إعلان الإضراب العام الذي شمل البلاد كلها في اليوم الخامس من بدء هذه الإشتباكات.

ومما لا ريب فيه أن هذا الإضراب الكبير الذي استمر ستة أشهر والذي يعتبر صفحة خالدة من صفحات الجهاد في فلسطين، لم يكن جزءا من خطة سياسية مرحلية، ولم يكن بناء على قرار سياسي أصدرته القيادات السياسية كردة فعل فورية إزاء الأخطار المحدقة بالبلاد. وإنما كان في هذه المرحلة بالذات إضرابا شعبيا انفجرت فيه الأوضاع في البلاد بصورة إضراب شامل، مما اضطر زعماء الأحزاب السياسية إلى تبني الأمر الواقع بالعدول عن إرسال الوفد إلى لندن، والموافقة على الإضراب الشعبي.

لقد انطلقت الشرارة في مساء يوم الأربعاء ليلة الخامس عشر من نيسان (إبريل) ١٩٣٦ حين اعترضت عصابة مسلحة (ثلاثة من المجاهدين العرب بقيادة الشيخ فرحان السعدي) قافلة سيارات يهودية على الطريق العام بين نابلس وطولكرم بالقرب من عنبتا، وقتلت يهوديين وجرحت ثالثا. وفي اليوم التالي قام اليهود بعدة هجمات على العرب وقتلوا عربيين في كوخهما على طريق نابلس - كفار سابا. وفي أيام ١٧، ١٨، ١٩ نيسان وقعت تعديات من اليهود على العرب في ضواحي يافا وتل أبيب رد عليها العرب بهجمات مضادة.

ونتيجة لذلك أصبحت يافا يوم الأثنين (٢٠) نيسان وهي مضربة عن بكرة أبيها، وجرت اصطدامات بين العرب واليهود واطلق البوليس البريطاني النار على العرب فقتل اثنين وجرح ٢٢، وفي هذا اليوم شكل اهالي يافا لجنة قومية اصدرت بيانا دعت فيه الى الاضراب الذي كان قائما بالفعل في جميع انحاء فلسطين نتيجة لاحداث يافا، وكان اول تأييد سياسي ودعم فعلي ليافا صدر عن مدينة نابلس فقد سارع رجال المدينة وشبابها الى عقد اجتماع سريع اتخذت فيه قرارات مهمة تلخصت في ارساء مباديء الحركة الوطنية، وفي الدعوة الى الاضراب العام. وفي ذلك اليوم التاريخي ٢٠ نيسان ١٩٣٦ الذي اعلن فيه الاضراب العام كان هذا النداء يلقى تجاوبا كبيرا من الشعب، وبذلك كان الاضراب عاما وشاملا لجميع مرافق البلاد لم تعرف له فلسطين مثيلا من قبل واستمر ستة اشهر (١)

يقول المؤرخ عيسى السفري في كتابه الذي الفه سنة ١٩٣٧ مايلي(٢):

«بدأ الاضراب في يافا اولا ولم يمض عليه قليل من الزمن حتى شمل البلاد كلها واصبح يشرف عليه نظام دقيق : لجان قومية، ولجان اسعاف، ولجان مقاطعة ولجان اضراب وجمعيات وشباب، فكان هذا الاضراب مدفوعة الية الامة بارادتها، فلا تحريض ولا ارهاب ولا احزاب ولا رئاسات».

وبعد قيام الاضراب بنحو اسبوع تنادت القيادات التقليدية الى اجتماع في القدس، ففي مساء ٢٥ نيسان ١٩٣٦ عقد رؤساء الاحزاب الفلسطينية اجتماعا حضره وترأسه الحاج امين الحسيني بنفسه، وقد تمخض هذا الاجتماع عن قرارين رئيسيين(٣):

---

(١) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٠ عام ١٩٨٨ ،ص٤٦

(٢) السفري ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، ج٢ ، ص٢٥

(٣) مذكرات بهجت ابو غربية:مجلة القدس الشريف- العدد ٤٠ عام ١٩٨٨،ص٤٧-٤٨

١ . تشكيل قيادة عامة لشعب فلسطين باسم(اللجنة العربية العليا) عرفت فيما بعد باسم (الهيئة العربية العليا) برئاسة الحاج امين الحسيني نفسه وعضوية راغب النشاشيبي واحمد حلمي عبد الباقي، والدكتور حسين فخري الخالدي ويعقوب فراج والفرد روك وعوني عبد الهادي، وعبد اللطيف صلاح والحاج يعقوب الغصين، وجمال الحسيني وفؤاد سابا وبذلك ضمت هذه اللجنة (المجلسيين) والمعارضين لاول مرة في قيادة واحدة وكأنها قيادة تجمع وطني او جبهة وطنية، كما ان اشتراك الحاج امين الحسيني رسميا في هذه اللجنة وتولي رئاستها كان حدثا هاما ترتبت عليه اثار بعيدة، فقد حرص الحاج امين الحسيني حتى هذا التاريخ على ان يكون الرئيس الروحي للحزب العربي الفلسطيني وان لا يتولى منصبا رسميا وذلك لانه كان في واقع الأمر موظفا مفتي فلسطين ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى، يفترض ان لا يشتغل في السياسة رسميا، وبعد هذا الاعلان بدأت علاقة الحاج امين تسوء مع الادارة البريطانية وحكومة الانتداب بسبب توليه هذا المنصب وبفعل التحريض الشديد من اليهود في فلسطين وفي بريطانيا لاجل عزله من منصب الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى.

٢ . الدعوة الى استمرار الاضراب الى ان تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلا اساسيا تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية كما كررت اللجنة العربية العليا في بيانها الذي اصدرته المطالب الاساسية التي كانت لا تفتأ تطالب بها بقوة وهي:

اولا - منع الهجرة اليهودية منعا باتا

ثانيا - منع انتقال الاراضي العربية لليهود

ثالثا - انشاء حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي

وقامت اللجنة بتأليف لجان قومية فرعية في كل مدن فلسطين، كما قامت بعقد مؤتمر عام اتخذ بالاجماع القرار المهم التالي:

«قرر المؤتمر بالاجماع الامتناع عن دفع الضرائب اعتبارا من ١٥ ايار الجاري اذا لم تغير الحكومة البريطانية سياستها تغييرا اساسيا تظهر بوادره بوقف الهجرة اليهودية وكذلك قرر المؤتمر مقاطعة اليهود وتأليف اللجان لهذه الغاية» (٤).

واستمر الاضراب في تصاعد مستمر وامتد الى كل البلاد فاغلقت المدارس وامتنع المحامون عن الدفاع امام المحاكم واغلقت غرف التجارة، واعلن الاطباء انهم يعالجون المرضى مجانا طيلة الاضراب واضربت المتاجر واعلن الفلاحون عن عدم بيع انتاجهم في السوق وحتى السجناء المحكومون بالاشغال الشاقة امتنعوا عن العمل، ولم تفتح ابوابها سوى الصيدليات والافران، وساهمت البلديات والشرطة العرب والنقابات والشركات وشارك الطلاب والطالبات مشاركة فعالة وبرزوا كجماعات منظمة ومساهمة في الحقل العام، وخاصة في ميدان الاسعاف والفرق الكشفية وفي ميدان الحرس الوطني ومارست اللجنة العربية العليا نشاطا متواصلا من حيث عقد الاجتماعات الاسبوعية واصدار البيانات العامة والاتصال الدائم باللجان القومية كما عملت على الصعيد الخارجي بارسال الوفود السياسية الى بعض العواصم العربية لادانة السياسة البريطانية وملأ الاضراب عناوين الصحف المحلية، وتعاظمت الحركة واخذ الخطباء في المساجد يدعون الى مزيد من المقاومة، وبدأوا يدعون الى حمل السلاح.

---

(٤) زعيتر، اكرم : اوراق خاصة ، المجموعة الثالثة ، الوثيقة رقم ٢٠ ، (محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية).

اعلان الثورة وبدء العمليات العسكرية.

ولدت الثورة في الحقيقة في احداث نيسان ١٩٣٦ واعلان الاضراب العام واتخذت شكلا مسلحا وعنيفا في مطلع شهر ايار١٩٣٦ ولقد كان من المتفق عليه عند القادة السياسيين ان يتأخر اعلان الثورة المسلحة بعض الوقت، وان تركز الجهود على ابقاء الاضراب مستمرا، والحاحه بشكل يودي الى بلوغ اهدافه ولكن الظروف والاوضاع تطورت بصورة سريعة جعلت اعلان الثورة المسلحة امرا لا مفر منه.

فقد رفضت الحكومة البريطانية، على الرغم من اشتداد الاضراب، طلب العرب وقف الهجرة اليهودية كما اعلنته اللجنة العربية العليا لفلسطين، ثم تحدتهم علانية باصدار شهادة هجرة جديدة قدمتها للوكالة اليهودية لاحضار اعداد كبيرة من المهاجرين الى فلسطين.

وترك موقف الحكومة اسوأ الاثر في نفوس ابناء الشعب، وحفزهم على التشدد في الاضراب وتقويته، وردا على هذا التحدي قرر القادة الفلسطينيون المسؤولون بعد سلسلة من الاجتماعات السرية حضرها كبار المجاهدين اعلان الثورة المسلحة.

وتنفيذا لهذا القرار خرجت قوات جيش الجهاد المقدس يوم ١٩٣٦/٥/٦ الى اماكن جبلية اختيرت لتكون مراكز لانطلاقها، وفي فجر ٧ ايار اطلق عبد القادر الحسيني الرصاصة الاولى ايذانا ببدء الثورة، وكان ذلك في قرية بيت سوريك شمالي غرب القدس حيث انقض المجاهدون على ثكنة قريبة للجيش البريطاني، ودمروا مركز الرادار فيها، ثم توجهوا الى منطقة القسطل لقطع طريق المواصلات الرئيسية بين يافا والقدس، كذلك اندفعت قوات جيش الجهاد المقدس المعسكرة في قالونية وعين كارم وساريس وابو ديس وقطنه وصوبا

والعيسوية وغيرها من قرى قضاء القدس، اندفعت تهاجم ثكنات الجيش البريطاني ومراكز الشرطة وحرس المستعمرات، هذا بالاضافة الى فرقة التدمير بقيادة فوزي القطب التي نسفت الجسور والعبارات وخطوط السكة الحديدية وبعض طرق المواصلات، وعطلت خطوط الهاتف وانبوب نفط العراق الواصل الى حيفا(٥).

اقتصرت اعمال الثورة في ايامها الاربعة الاولى على لواء القدس وحده وعلى المجاهدين المنتظمين في جيش الجهاد المقدس كما اقتصرت على اعمال مسلحة محدودة في منطقة يافا، على ان الفلسطينيين لم يلبثوا ان انطلقوا الى السلاح يحملونه فقد امتدت الثورة في يومها الخامس الى سائر انحاء فلسطين، وعمت المدن والقرى والبادية.

واخذت الثورة تشتد وتتسع نطاقا يوما بعد يوم، واثارت انباء المعارك الضارية والاصطدامات الشديدة بين المجاهدين والاعداء حماسة الجماهير في حين رفعت انتصارات المجاهدين المتوالية معنويات الشعب وضاعفت استعداده للبذل والعطاء فالتحق الكثيرون من الرجال والشبان، ولا سيما في القرى بالمجاهدين واشتركوا في المعارك تحت قيادة جيش الجهاد المقدس، فلم يعد العمل المسلح مقتصرا على المنتظمين في تشكيلاته.

تركزت المعارك والاصطدامات خلال الشهر الاول في لواء القدس (القدس، الخليل، بيت لحم، اريحا، رام الله) ولواء نابلس(نابلس، جنين، طولكرم) في حين اتسعت الاصطدامات واشتدت المناوشات في اقضية يافا واللد والرملة ووقعت في المدن الكبرى وبعض القرى سلسلة من الاعمال المسلحة.

وبدأ الشهر الثاني للثورة بامتداد المعارك العنيفة وحرب العصابات الى

---

(٥) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الثاني ،ص١٢٣

جميع الوية فلسطين واقضيتها، فغدت الثورة في الواقع ثورة الشعب الفلسطيني كله.

وجاء في تلك الفترة نوري السعيد وزير خارجية العراق الى القدس فزار المفتي وحاول الملك عبد الله ان يتدخل لتهدئة الوضع وايقاف الثورة غير انهما لم يتمكنا من اقناع المفتي بتخفيف حدة الثورة.

وفي الثامن عشر من ايار اعلنت بريطانيا عن عزمها على ارسال لجنة ملكية لدراسة اسباب الثورة كما الح المندوب السامي على المفتي لايقاف الثورة ولو الى فترة من الزمن فأعلن المفتي مقاطعة اللجنة.

ثم طرأ تطور في ميدان المقاومة بدخول فوزي القاوقجي وقواته - القادمين من العراق - الى منطقة المثلث من ناحية، وبتدفق المتطوعين من الاردن وسوريا ولبنان على فلسطين وانضمامهم الى جيش الجهاد المقدس من ناحية اخرى وكان من بين هؤلاء قائدان من ابطال الثورة السورية هما الشيخ محمد الاشمر والقائد سعيد العاص(٦)، وقد تأثر الشعب كثيرا بهذه التطورات وتضاعفت حماسته فانطلق يدعم الثورة بالمال والرجال والسلاح وسائر وسائل الكفاح واحالها في شهرها الثالث الى معارك عسكرية مكشوفة مع القوات البريطانية في شتى انحاء فلسطين وهجمات مركزة على المستعمرات الصهيونية وطرق المواصلات ومخافر الشرطة، ومما هو جدير بالتسجيل ان دخول قوات القاوقجي وفصائل الفلسطينيين في معارك عنيفة مع القوات البريطانية في قرى منطقة المثلث رفع معنويات الشعب وحفز الجميع الى المساهمة في اعمال الثورة(٧).

---

(٦) دروزة ، عزة: حول الحركة العربية الحديثة .ج٣ ، ص١٢٩

(٧) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٢٧

وكان الانجليز واليهود يعتقدون في باديء الامر ان الاضراب العام لن يستمر طويلا، وان الثورة ليست سوى فورة آنية لا تلبث ان تخبو وتهدأ، فلما تبين لهم عكس ما كانوا يعتقدون انطلقوا يرتكبون ابشع المظالم من اعمال القتل والاجرام والارهاب والعسف والقهر ضد العرب، ولكن الفلسطينيين واصلوا الجهاد ولم تضعفهم عمليات السلطات واليهود بنسف القرى وتدمير الاحياء والبيوت واعتقال المئات من المواطنين، وكان من ابشع ما لجأ اليه الانجليز من تدابير نسفهم بلدة يافا القديمة.

وبمناسبة مرور مئة يوم على اعلان الاضراب العام الذي كان قد بلغ اوجه وقعت في جميع انحاء فلسطين معارك عنيفة طوال هذا اليوم وليلته وقام المجاهدون خلالها بمهاجمة مدن القدس ويافا والخليل وغزة وعكا وصفد وبير السبع وحاولوا احتلالها، وفي الوقت نفسه اتسعت اعمال المجموعات السرية داخل المدن، واخذت تغتال الموظفين البريطانيين وضباط الجيش والشرطة والجواسيس وباعة الاراضي والسماسرة، وتلقي المفتجرات على دوائر الحكومة، وفي هذه المناسبة ايضا خرجت النساء العربيات في شتى مدن فلسطين في مظاهرات صاخبة ضد الانجليز، ووقعت اصطدامات دموية بين القوات البريطانية والنساء الفلسطينيات.

هذه الحوادث اقضت مضاجع الانجليز واليهود، وجعلتهم في حالة من الذعر، وفي خشية من ان يتمكن الثوار من احتلال بعض المدن والقرى الكبيرة بعد ان فقدت الحكومة سلطتها الفعلية على اقسام واسعة من الريف والبادية، فاعلنت الحكومة البريطانية حالة الحصار (حالة الحرب) في فلسطين وقررت وضع قوانين الدفاع وقوانين الطواريء موضع التنفيذ وراحت تطبقها على العرب بقسوة ووحشية. لكن الحكومة شعرت بعجزها عن وقف الثورة وانهاء الاضراب العام فلجأت الى خطة المراوغة والتضليل، واعلنت انها قررت ايفاد (لجنة ملكية) للتحقيق في قضية فلسطين وشكاوى الاهلين ووضع التوصيات لحل

القضية حلا عادلا، كذلك وسطت الحكومة البريطانية بعض اقطاب العرب وحكامهم (ولا سيما المعروفين بصداقتهم لبريطانيا)، لاقناع عرب فلسطين بوقف الثورة، وحضر بعضهم الى فلسطين ليجدوا اصرارا عظيما من العرب على الاستمرار في الثورة حتى تتحقق مطالبهم.

وعندما ايقنت الحكومة البريطانية ان الفلسطينيين لن يلينوا، وانهم مصممون على مواصلة الثورة والاضراب اقالت القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين وعددا من ضباطه وعينت الجنرال(ديل) رئيس اركان جيوش الامبراطورية البريطانية لتولي القيادة العامة في فلسطين، واطلقت يده للعمل دون قيد او شرط، فاحضر الجنرال ديل الى فلسطين قوات عسكرية ضخمة نقلت بحرا وبرا وجوا من بريطانيا نفسها، ومن قواعدها العسكرية من مالطة وقبرص وقناة السويس والحبانيّة في العراق، وبلغ عدد القوات البريطانية في النصف الأول من شهر آب ١٩٣٦ في فلسطين اربع فرق كاملة (اي اكثر من سبعين ألف ضابط وجندي) بالاضافة الى نحو اربعين الف رجل من قوات الشرطة النظامية والاضافية وقوة حدود شرق الاردن وحرس المستعمرات اليهودية ووضع اليهود قوات الهاغاناة والمنظمات السرية الارهابية تحت تصرف القيادة البريطانية وصمد العرب في وجه هذه القوى الضخمة وانتصروا في المعارك التي خاضوها ضد قوات الجنرال (ديل) واستولوا على مساحات اخرى من الريف والبادية، عندئذ اضطرت الحكومة البريطانية الى سحب الجنرال ديل وولت الجنرال (ويفل) القيادة العامة، فرافقه الفشل نفسه فاستبدلت به الحكومة الجنرال (رتشي) وارسلت امدادات عسكرية جديدة ولكن دون جدوى فسحبت الجنرال (رتشي) وعينت الجنرال (ماكميلان) بدلا منه، ولكن هذه الأعمال والجهود ذهبت ادراج الرياح وبقيت الثورة مشتعلة الاوار طوال شهري آب وايلول١٩٣٦ ودون ما مهادنة او ضعف(٨).

(٨) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٢٨

العمليات العسكرية:

جرى على ارض فلسطين على مدى سنوات الثورة الكثير من العمليات العسكرية والمعارك الكبيرة التي كان مسرحها الجبال وبعض المدن، وكانت العمليات العسكرية في المدن تتركز على مهاجمة دوريات البوليس والجيش في الشوارع واصطياد الضباط وكبار المسؤولين البريطانيين والهجوم على مخافر البوليس ودوائر الحكومة، وكان ثوار المدن يجدون في القرى والجبال خير ملجأ لهم عند الضرورة او عند الانكشاف فيخرجون الى الجبال وينضمون الى عصاباتها مؤقتا او باستمرار وكان هناك تنسيق لا بأس به بين ثوار المدن وثوار الجبال، كما كان هناك تعاون بين الثوار وبين رجال البوليس العرب الذين كانت غالبيتهم مؤيدة للثورة ومتعاونة معها او مشاركة مشاركة فعلية.

وكان سلاح ثوار المدن لا يتعدى المسدسات والقنابل اليدوية وسلاح ثوار الجبال البنادق ومعظم الاسلحة قديمة، ولم تكن لدى الثوار اسلحة لمقاومة الدروع كما لم يكن لديهم رشاشات، ولذلك كان مبدأ الحصول على السلاح من ايدي العدو معمولا به، وقد استولى الثوار على السلاح في كثيرة من الاحيان من مخافر البوليس، وفي مراحل متأخرة سقطت في ايديهم مستودعات من السلاح كما جرى في مدينة بئر السبع حيث احتلها الثوار لفترة من الزمن واستولوا على مستودع رئيسي للسلاح كان يحتوي على نحو ٦٠٠ قطعة منها عدد من الرشاشات، وكان كل جندي او بوليس بريطاني هدفا للثوار لخطف سلاحه، وقد نجحت عمليات خطف كثيرة لدرجة انه اصبح على كل جندي او بوليس يسير في المدن او يقوم بحراساته ان يربط بندقيته بسلسلة حديدية مربوطة في حزامه(٩).

---

(٩) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤١ عام ١٩٨٨ ،ص٣١

وقد بلغ عدد العمليات التي نفذها الثوار العرب عام ١٩٣٦ (٤٠٧٦) عملية منها ١٩٩٦ ضد الافراد الصهيونيين و٨٩٥ ضد ممتلكاتهم و٧٩٥ ضد الجيش البريطاني والشرطة و٣٨٠ عملية ضد وسائل المواصلات، وقد استشهد خلالها ٢٢٤ ثائرا عربيا وجرح ١١٢٦ اخرون،وقتل من البريطانيين (في الجيش والشرطة)٣٣ وجرح ١٩٣ اما خسائر اليهود فقد بلغت ٨٠ قتيلا ٣٦٩ جريحا، وقد اقتصرت تلك العمليات على قذف القنابل اليدوية وتصفية بعض العملاء في المدن، والقيام بعمليات القنص ضد معسكرات الجيش ومراكز الشرطة ونصب الكمائن للقوافل الصهيونية ودوريات الجيش التي ترافقها واشعال النار في مزارع وممتلكات الصهيونيين، أما العمليات ضد وسائل المواصلات فقد عمت في تلك الفترة أنحاء البلاد امتداداً من المطلة شمالا وحتى رفح جنوبا، وقد بلغت الخسائر المباشرة للحكومة البريطانية بسبب الاضراب ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه استرليني عدا الخسائر التي نجمت عن توقف التجارة والسياحة الى البلاد.

ومن الواضح ان هذا التركيز على وسائل المواصلات البريطانية والصهيونية يعود الى خطورتها واهميتها بالنسبة الى السلطات والى كونها هدفا سهلا للثوار في وقت كانت فيه وسائل المواصلات العربية متوقفة تماما بسبب الاضراب.

وفي منتصف شهر ايار ١٩٣٦ بدأ مركز النشاط العسكري ينتقل من المدن الى المناطق الريفية والجبلية، واصبحت جبال نابلس والشمال وتلالها الحرجية الشديدة الانحدار اكثر المناطق غليانا وجذبا للثوار، اما التكتيك الذي اتبع فكان تجمع زمر من الثوار وكمونهم في احد سفوح الوديان او رؤوس الجبال المنيعة ينتظرون مرور قافلة من السيارات فاذا ما مرت امامهم اطلقوا عليها النار، ثم قفلوا مسرعين كل الى قريته او بلدته حيث يخفون الاسلحة والعتاد في امكنة آمنة ويختلطون بسكان القرى وكأن شيئا لم يحدث، وكان عدد افراد

الكمين يصل احيانا الى ٢٠٠ رجل متفرغ وشبه متفرغ.

وهذا الاسلوب القتالي الذي اتبع في البداية اسلوب خال من التخطيط العسكري الفني، الذي يبنى عادة على معلومات دقيقة عن تحركات العدو ونياته.

لكن حدث تغير جوهري في نوعية العمليات العسكرية ابتداء من شهر حزيران ١٩٣٦ بعد وصول فوزي القاوقجي وتوليه القيادة، فقد كتب الفايس مارشال بيرز في تقريره قائلا «*لقد اظهر الثوار تصميما اكثر في خوض العمليات كما بدا واضحا ان رجالا عسكريين ذوي خبرة عالية بدأوا يخططون لها* » وكتب في التقرير نفسه (ان العصابات المسلحة التي تألفت في السابق من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ١٥و٢٠ رجلا قد اصبحت تتألف من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ٥٠-٧٠ رجلا، وهي ليست عصابات للنهب بل تمارس ما تعتقد بانه حرب وطنية تدافع بها عن بلادها في وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية(١٠).

ابرز العمليات العسكرية في المرحلة الاولى:

ان العمليات التي وقعت في المرحلة الاولى من الثورة (نيسان - آب) لاتعد ولا تحصى، فكانت سكك الحديد وجسورها والقطارات من الاهداف الرئيسية لهجمات الثوار، حيث ان الجيش البريطاني كان يعتمد عليها كثيرا في مواصلاته وامداداته، وقد جرى خلال هذه الفترة اكثر من عشرين هجوما نذكر منها(١١):

(١٠) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٤

(١١) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤١ عام ١٩٨٨ ،ص٣٣

١ . حادث جري بالقرب من محطة اللد عند الكيلو متر(١٠٧) بين قرية كفرجنس ومحطة اللد حيث سقط القطار من على جسر جرى تخريبه واشتبك الثوار مع حرس القطار.

٢ . اصطدام قطارين من جراء تخريب الخطوط في محطة راس العين

٣ . اخرج قطار شحن عن الخط وانقلب بين قلقيلية وجلجولية

٤ . تدهور قطار عند كفر جنس وتحطمت ١٥ عربة من عرباته

٥ . انقلبت قاطرة مع ست عربات بين السافرية واللد

٦ . انقلب قطار الدورية والتفتيش عند قاقون

٧ . اخرج قطار بضائع عند رأس العين عن الخط

وكانت المعارك على الطرق العامة - طرق السيارات الرئيسية - تبدأ باقامة حواجز من الحجارة وغيرها من العوائق التي تكون في كثير من الاحيان ملغومة ويتمركز الثوار بالقرب من الحواجز انتظارا لمرور قافلة عسكرية حيث ان الجيش البريطاني اصبح لا ينتقل الا ضمن قوافل محروسة بالمصفحات والدبابات والطائرات وعند وصول القافلة الى الحاجز تفجر الالغام ويمطرها الثوار بالرصاص وتخف نجدات عسكرية ولكن معظمها كان لا يتمكن من الوصول الى مكان المعركة الرئيسي بسبب حواجز جديدة وكمائن يقوم بها ثوار القرى المجاورة.

ومن ابرز هذه المعارك:-

١ . معركة نور شمس يوم ٢٢ حزيران وقد استمرت ٧ ساعات وامتدت الاشتباكات من دير شرف قرب نابلس حتى طولكرم واشتركت فيها ٣ طائرات.

٢. معركة عين جارود يوم ٩ حزيران في مرج ابن عامر

٣. معركة باب الواد يوم ٢٦ تموز على طريق القدس يافا

٤. سلسلة معارك قوافل البحر الميت على طريق القدس اريحا

وكان من ابرز عمليات المدن:

١. الهجوم على سينما اديسون في القدس في شهر ايار

٢. الهجوم على سيارة مفتش بوليس القدس البريطاني سيكرست في١٢ حزيران

٣. الهجوم على اثنين من ضباط الطيران الانجليز في القدس.

نسف مدينة يافا القديمة:

كانت مدن نابلس والقدس ويافا اكثر مدن فلسطين غليانا وتفجرا خلال ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ في فلسطين حتى ان القائد العام للقوات البريطانية نفسه لم يجرؤ مثلا على زيارة نابلس الا بعد ارسال كتيبة مشاة اليها معززة بمدافع الهاوتزر، وكانت عمليات المقاومة اكثر انتشارا في القدس، اما يافا فقد نفذت فيها اعلى نسبة من عمليات القنص وقذف القنابل ضد الجيش البريطاني والشرطة ولم يكن احد من المسؤولين او القادة العسكريين البريطانيين يستطيع دخولها دون التعرض لمحاولة القتل او الاعتقال.

وقد اتخذت القيادة البريطانية خلال الاشهر الاولى للثورة وخاصة خلال الفترة التي تولى القيادة فيها الجنرال بيرز سلسلة من الاجراءات الانتقامية داخل تلك المدن وكان ابرزها نسف بلدة يافا القديمة بقصد الرد على تلك الهجمات.

طالب بيرز في تقريره الى وزارة الطيران (بضرورة اعادة النظام والامن الى مدينة يافا واعادة تشغيل مرفئها باستخدام عمال آخرين بدلا من العمال المضربين اذا اصروا على مواصلة الاضراب)، وهذا لا يتم في نظره ما بقيت الحالة الامنية في المدينة متدهورة وغير مستقرة، لذلك قدم اقتراحا يتضمن القيام بنسف أجزاء من مدينة يافا القديمة لتحقيق هذا الغرض، ويتناقض هذا الاقتراح تناقضا كليا مع ادعاء السلطات البريطانية آنذاك ان الهدف من عملية النسف كان توسيع وتحسين المدينة القديمة بشق طريقين فيها.

وفي صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٦ القت طائرة حربية كانت تحوم فوق المدينة الانذار التالي(ان الحكومة على وشك البدء في مشروع يرمي الى توسيع وتحسين البلدة القديمة في يافا، وذلك ببناء طريقين يفيدان المدينة بكاملها، وسنبدأ الخطوات الاولى الضرورية بهدم وازالة بعض الابنية المزدحمة وغير الصحية مستغلين فرصة وجود فرق المهندسين الملكية الان في فلسطين للبدء في هذه الاعمال) (١٢).

وكانت قد صدرت الاوامر للمقدم اوثيرسون كيلسو باجراء الاستطلاعات اللازمة ووضع خطة مناسبة بالتعاون مع حاكم اللواء الجنوبي كروسبي ومساعده مفتش الشرطة العام (فولي) وقد قدم في البداية اقتراحا يوصي فيه باستخدام قوات المشاه لاحتلال المدينة ومن ثم تنفيذ عملية النسف، ولكن الخوف من وقوع خسائر كثيرة في صفوف القوات البريطانية جعل تنفيذ هذه العملية مستبعدا وفي النهاية قررت القيادة البريطانية تنفيذ الخطة التالية وقد قسمت الى اربع مراحل:

---

(١٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول، ص٦٣٧ والرضيعي : يوسف رجب: ثورة ٩٣٦ في فلسطين، ص٨٩.. عن السفري فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ج٢، ص٩٤.

١ . اطلاق نار كثيفة ومستمرة ضد مراكز الثوار حتى اسكات نيرانهم

٢ . فرض عمل اجباري على سكان المدينة لازالة المتاريس والحواجز

٣ . نسف المناطق الشرقية والغربية من البلدة القديمة وشق طريق عبرها

٤ . نسف المناطق الشمالية والجنوبية من المدينة القديمة وشق طريق اخرى وسطها .

وبدأ تنفيذ المرحلة الاولى باطلاق نار كثيف على اماكن القناصة العرب ومواقعهم واستمرت الاشتباكات ١٨ يوما متواصلة، وفي صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٦ القت طائرة منشورات تتضمن قرار الحكومة البدء بعملية تجميل المدينة وهددت باستخدام القوة في حالة حدوث اي مقاومة لتنفيذ الخطة ووعدت بدفع تعويضات مناسبة لاصحاب المساكن المنسوفة او المتضررة .

وبدأت اولى خطوات العملية عند الساعة الرابعة من صباح يوم ١٩٩١/٦/١٨ بعد قيام احدى كتائب المشاه بتطويق المنطقة وتفتيش كل من يغادرها ، وقيام كتيبة اخرى بتأمين التغطية الضرورية لفرقة النسف، في حين وضعت سريتان من المشاة وسرية ثالثة مدرعة في الاحتياط، بالاضافة الى البارجة الحربية (اكتيف) التي عهد اليها تأمين المنطقة المشرفة على البحر، وهكذا بدأت عملية النسف وبحلول المساء تم شق طريق بعرض عشرة امتار تمتد من مركز شرطة العجمي شرقا حتى دير اللاتين غربا .

وبعد نجاح العملية بفترة قصيرة تم البدء بتنفيذ المرحلة الاخيرة من العملية وقد صرح بيرز بان سبب السرعة في تنفيذ المرحلة الاخيرة كان من اجل عدم ترك اي مجال للمحكمة العليا للفصل في عملية النسف بعد قيام العرب برفع شكوى اليها بهذا الشأن .

استؤنفت اعمال النسف لانجاز المرحلة الرابعة(الاخيرة) يوم ١٩٣٦/٦/٢٩ وتم الانتهاء منها في اليوم التالي بعد تدمير بعض المناطق الواقعة شمالي المدينة وجنوبيها وقد نسف في المرحلة الاولى ٧٠ بيتا تسكنها ١٥٠ عائلة وفي المرة الثانية نحو ١٥٠ بيتا يسكنها نحو ٣٠٠ عائلة، وتمت ازالة حوالي ٨٥٠ براكة خشبيّة في مناطق اخرى في المدينة يسكنها نحو ٤٠٠٠ شخص هذا بالاضافة الى هدم وتشقق عدد كبير آخر من البيوت المجاورة ويقدر عدد الذين اصبحوا بلا مأوى بعشرة الاف نسمة وقد اصاب الضرر كنيسة الخضر الموجودة في حي العجمي، واصيب مسجد الشيخ رسلان ودمر جزء من مئذنته وتناثرت الحجارة على كنيسة دير الروم مما سبب خرابا فيها.

ولم يزد التعويض الذي وعدت بريطانيا بتقديمه للمتضررين على عشرين مليما لكل فرد من افراد العائلة دون القيام بعمل يذكر في سبيل ايواء هؤلاء المشردين.

وعلى الرغم من الهدوء النسبي في مدينة يافا وبعض المدن الاخرى اثر عملية النسف بدا واضحا للسلطة البريطانية ان العملية لم تحقق الهدف الاستراتيجي الذي نفذت من اجله وهو ترويع الثوار والسكان ووقف الاضراب فبعد اقل من شهر على العملية وفي يوم ١٩٣٦/٧/٢٧ الذي صادف مرور مئة يوم على بدء الاضراب نفذت عمليات كثيرة غطت معظم انحاء البلاد وقد كتب بيرز على اثرها لقيادته (ان القوات التي تعمل تحت قيادتي لم تعد قادرة على سحق التمرد بالسرعة المطلوبة ولذلك اطلب ارسال كتيبتي مشاة محمولتين على الاقل ليصبح كل لواء مشكلا من اربع كتائب بالاضافة الى كتيبتي احتياط وفوج خياله مفرزين للمهمات المحدودة).

ويضيف بيرز قائلاً: «*لقد بات من الضروري حتى يعود الهدوء بسرعة الى البلاد وضع فرقة كاملة مؤلفة من ثلاثة الوية بما فيها القوات الموجودة اصلا في البلاد ويبلغ عددها ١٠٣٨٩ ضابطا وجنديا بما فيها القوات الجوية تحت*

تصرف القائد العام اضافة الى السرب٣٣ القاذف المتمركز اصلا في قاعدة الاسماعيلية بهدف تكثيف عمليات القصف».

وبعد وصول تلك التعزيزات اصبح عده افراد الجيش البريطاني في نهاية فترة قيادة مارشال بيرز فرقتين كاملتين، الفرقة الاولى والخامسة وبلغ تعداد افرادهما حوالي ١٥ الف جندي منتشرين من رفح في اقصى الجنوب حتى صفد في الشمال يضاف اليهم رجال الشرطة الفلسطينية وهم خليط من العرب والانجليز واليهود وقد قدر عددهم بستة الاف رجل، وقوة الحدود الاردنية وقدر عددها باربعة الاف بين ضابط وجندي ورجل شرطة(١٣).

المعارك الهامة في المرحلة الاولى من الثورة:

حدثت في المرحلة الاولى من ثورة ١٩٣٦ معارك هامة وكثيرة برزت فيها مشاركة شعبية واسعة انتظمت الشعب الفلسطيني كله، ففي المدينة كان العمال والطلاب والموظفون والتجار وحتى رجال الشرطة العرب يساهمون بشكل او بآخر في الاضراب والعصيان المدني وفي العمليات العسكرية، وفي القرية كانت حرب العصابات، بكل ما تقتضيه هذه الحرب من مشاركة جماهيرية وبكل ماتتطلبه من اعباء، كان معظم الثوار من اهالي القرى وكان سكان القرى يوفرون لهم الايواء والطعام والماء والاستطلاع والحراسة، وغير ذلك من الخدمات، وكانت القرويات يساندن الثورة والعمليات العسكرية بكل بسالة فيحملن على رؤوسهن الماء والطعام ويتبعن المقاتلين من مكان الى مكان، ويسعفن الجرحى وحتى بعد منتصف الليل وكان جميع سكان القرى يهرعون الى الطرق التي تدور قربها المعارك فيغلقونها في وجه الجيش البريطاني بالحجارة ولمسافة عدة كيلو مترات.

---

(١٣) السفري، عيسى: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ج٢، ص١١٧

يقول الأستاذ المؤرخ صالح مسعود أبو يصير(١٤):

«لقد شهدت تلك الثورة معارك خالدة ما زال شعب فلسطين يؤرخ بها عديدا من الاحداث، وهي معارك يجب ان تنحني الرؤوس لذكراها، فقد كانت تدور بين شعب لا يكاد يتسلح الا بجهد قليل، وبين جيوش الامبراطورية البريطانية المدربة ، وعمدت بريطانيا فوق قواتها العادية المقيمة بفلسطين الى استعداد عسكري كبير وكان جيشها يقوم بمناورات عسكرية في(الدرشوت)قرب لندن سنويا ، ولم تلغ تلك المناورات الا عند قيام الحرب العالمية الاولى ولكن الثورة الفلسطنية ارغمت الانجليز على الغاء مناوراتهم التقليدية وارسلت قواتها البريطانية المنظمة الكبيرة مضافة الى القوات الاخرى التي كانت تعسكر قبلا في فلسطين والى قوات البوليس البريطاني وقوة حدود شرق الاردن ، كانت كلها معدة لمحاربة الثورة العربية الفلسطينية التي طال الصراع معها في قوة وفي عنف ، وقد كان العديد منها معارك كبيرة فعلا.

ومن المعارك التي حدثت في هذه المرحلة:

- معركة نور شمس في ١٩٣٦/٦/٢١م
- معركة الفندقومية في ١٩٣٦/٦/٣٠م
- معركة صانور الاولى في شهر تموز/١٩٣٦م
- معركة صفد في ١٩٣٦/٨/٩م
- معركة بلعا الاولى في ١٩٣٦/٨/١٠م
- معركة عصيرة الشمالية في ١٩٣٦/٨/١٧م
- معركة وادي عرعرة في ١٩٣٦/٨/٢٠م.

(١٤) أبو يصير، صالح مسعود : جهاد شعب فلسطين ، ص١٩٨-١٩٩

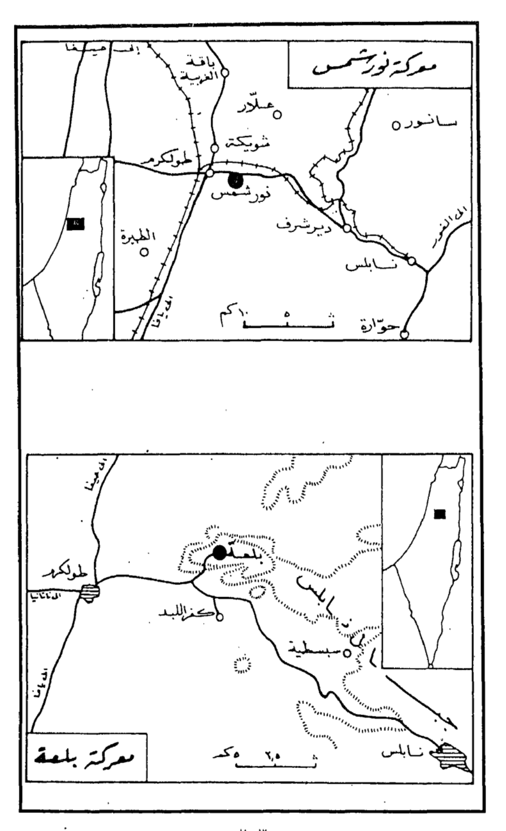
- معركة عين دور في ١٩٣٦/٨/٢٩م
- معركة بلعا الثانية في ١٩٣٦/٩/٣م
- معركة الجاعونة في ١٩٣٦/٩/٩م
- معركة ترشيحا في ١٩٣٦/٩/٩م
- معركة حلحول في ١٩٣٦/٩/٢٤م
- معركة جبع في ١٩٣٦/٩/٢٤م
- معركة بيت امرين في ١٩٣٦/٩/٢٩م
- معركة عين جارود في ١٩٣٦/٦/٩م
- معركة باب الواد في ١٩٣٦/٧/٢٦م
- معركة الخضر - حوسان في ١٩٣٦/١٠/٦م
- سلسلة معارك عين خير الدين وجورة بحلص وبيت خيران قرب الخليل
- سلسلة معارك قوافل البحر الميت على طريق القدس اريحا

اما اهم هذه المعارك فكانت:

معركة نور شمس:

احدى اهم المعارك في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ وتقع قرية نور شمس شرقي طولكرم على بعد ٣ كم منها، وتشرف على طريق حيفا، تل ابيب التي كانت القوافل اليهودية تسلكها محروسة بالقوات البريطانية.

حينما وقعت معركة نور شمس يوم ١٩٣٦/٦/٢١ كانت القوات



معركة نور شمس
إلى حيفا
باقة الغربية
علار
سانور
شويكة
طولكرم
نور شمس
دير شرف
الطيبة
نابلس
إلى الغور
إلى يافا
١٠ كم
٥
ث
حوارة
معركة بلعة
إلى حيفا
بلعة
طولكرم
إلى ناتانيا
كفر اللبد
نابلس
سبسطية
إلى يافا
نابلس
٥ كم
٢,٥
ث

البريطانية في فلسطين تتألف من ٦ كتائب من المشاة والمدرعات والمدفعية وسرب من الطائرات القاذفة ، وبعض قطع الاسطول في البحر المتوسط(١٥).

قاد المعركة عبد الرحيم الحاج محمد، وقبل ان تبدأ قام القائد عبد الرحيم الحاج محمد باستطلاع دقيق لساحة المعركة بعد ان وصلت اليه معلومات تفيد بقرب مرور قافلة صهيونية محروسة بقوة مسلحة بريطانية.

بدأت المعركة في الساعة العاشرة من صباح ١٩٣٦/٦/٢١ واشترك فيهاخمسون مجاهدا عدا الذين تطوعوا عند الاشتباك من القرى المجاورة وقد تراوح تسليح القوة بين البنادق الحربية القديمة وبعض القنابل اليدوية اما القوة المعادية فكانت تتألف من ست سيارات ركاب يحرسها فصيل مشاة بريطاني محمول ومعزز بمصفحتين، وقدر عدد اليهود والجنود البريطانيين بنحو ١٧٠ فردا عززوا عند الاشتباك بثلاث طائرات حربية استخدمت للمرة الاولى في مواجهة مباشرة ضد الثوار، وقدمت نجدة من القوات البريطانية المتمركزة في مدينة نابلس قدرت بفصيلين محمولين، وقد تمكن الثوار من اشغال هذه النجدة ومنعها من الوصول الى ارض المعركة بكمين نصب لها قرب دير شرف على بعد ٢٠ كم تقريبا من طولكرم.

تلخصت خطة القائد عبد الرحيم بتقسيم قواته الى ثلاث مفارز مهمة، المفرزة الاولى تغطيه مقدمة القافلة وحصرها بالنيران من الامام ومهمة المفرزة الثانية ضرب قلب القافلة بعد وقوعها في الفخ، أمام المفرزة الثالثة فقد كان واجبها مؤخرة القافلة واختار القائد مكانه في قلب المفرزة الثانية، وقد تمركز ثائران في نقطتين مخفيتين ومموهتين جيدا في مقدمة الكمين على يمين الطريق، وتمركز ثائر ثالث على يسار الطريق للمراقبة واعطاء الانذار بقدوم العدو واطلاق

---

(١٥) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٨

النار عند دخول اخر سيارة للقافلة ضمن منطقة الكمين، وفور اصطدام السيارة الاولى بمانع من الحجارة تمت تهيئته مسبقا على الطريق، استمرت المعركة نحو سبع ساعات لم يعترف البريطانيون بعدها بوقوع خسائر في قواتهم او في اليهود الذين كانوا يرافقونهم بل اعلنوا عن استشهاد مابين ٢١-٢٥ ثائرا، اما المصادر العربية فقد اعلنت عن استشهاد ثلاثة من الثوار ومقتل ما يقارب خمسين جنديا من القوات البريطانية وتدمير ثلاث سيارات وإسقاط طائرة حربية(١٦).

ويبدو واضحا من سير المعركة ان القائد عبد الرحيم الحاج محمد قادها ونفذها بجرأة فائقة فقد اختار وقت تنفيذها نهارا مع علمه بان خسائر قواته قد تكون اكثر وفرص النصر قد تكون اقل لان القوافل الصهيونية كانت تتوقف ليلا وتحيط نفسها بالحراسة البريطانية المشددة.

ان صمود الثوار باسلحتهم القديمة سبع ساعات متواصلة في وجه القوة البريطانية الكبيرة دليل قاطع على مدى الاستعداد للتضحية والتصميم على خوض الكفاح المسلح، ويبدو واضحا ان العملية قد اعد لها اعدادا جيدا من حيث التخطيط وحشد القوة وتوزيعها وتحديد مكان الكمين في منطقة وعرة تساعد على ابقاء زمام المبادرة في ايدي قوة الكمين وتكسبه مرونة اثناء خوض المعركة وتمكنه من ايقاع اكبر الخسائر في صفوف العدو.

معركة الفندقومية:

بتاريخ ١٩٣٦/٦/٣٠ وقعت معركة من اهم المعارك بقيادة البطلين المجاهدين الشيخ فرحان السعدي، والشيخ عطيه عوض، حيث كمنت مجموعة

(١٦) الشاعر ، محمد: الحرب الفدائية في فلسطين ، ص١٦٨- ١٧٠
وياسين ، صبحي : حرب العصابات ، ص٨٤

اكثر من مائة من المجاهدين على طريق جنين - نابلس قرب قرية الفندقومية وذلك بانتظار قافلة عسكرية بريطانية ستمر من هناك، وحين مرت القافلة انهال عليها المجاهدون برصاصهم الغزير واوقعوا بها خسائر فادحة، انهارت على اثرها معنويات الانجليز وكادوا يستسلمون لولا وصول نجدة من نابلس وحيفا تجاوزت الالفي جندي بدباباتها ومدافعها وحراسة الطائرات، فاستمر الثوار في القتال ببسالة رائعة واتسعت رقعة المعركة بعد ان وصلت نجدات عربية من القرى المجاورة، واستمر القتال اكثر من ست ساعات، خسر الانجليز خلالها ثلاثين قتيلا وتعطلت مدرعة عندما انفجر فيها لغم ارضي وضعه الثوار، واستشهد من الثوار ثلاثة ابطال منهم الحاج محمود والحاج حسين وانسحب الثوار الى معاقلهم بعد نجاح العملية(١٧) وعادت النجدات الى القرى ليخفي كل منهم سلاحه ويعود الى بيته وعمله، اما الشيخ فرحان فلم يتمكن من العودة الى بلدته لان جميع مدن وقرى المنطقة كانت مطوقة بجنود الانجليز، فركب جواده وانطلق يعبر نهر الاردن ليختبيء عند رئيس احدى القبائل الاردنية ريثما يهدأ الانجليز، وليجمع السلاح من الاردن وسوريا ويرسله سرا الى فلسطين، ثم يعود ثانية ليواصل جهاده(١٨).

معركة صانور الاولى:

تقع قرية صانور في منتصف الطريق تقريبا بين نابلس وجنين.. وهي قائمة على تلة مرتفعة تشرف على سهل واسع وتحيط بها الجبال من كل ناحية مما جعلها تتمتع بموقع حصين.

ولهذه القرية تاريخ عريق، فقد كانت قلعة جبل النار خلال القرنين

(١٧) ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ص١٣٠ - ١٣١

(١٨) مقابلة مع السيد عبد الله فرحان السعدي في عمان في الشهر الثامن من عام١٩٨٦

منظر سور قلعة صانور من جهة الغرب وقد ظهر البرج عن اليمين(١٩)



(١٩) النمر ، احسان: تاريخ جبل نابلس والبلقاء ج١ ص١٩٨

الماضيين.. وفي اوائل هذا القرن كان لها دور بارز في الوقوف في وجه الانتداب البريطاني منذ دخلت القوات البريطانية الى جبل نابلس عام ١٩١٨. فقد عمل الانجليز على تنفيذ خطة ماكرة حاولوا فيها الاتصال بوجوه العشائر الفلسطينية واغرائهم بمناصب كبيرة لكسب تأييدهم فكانوا يتعهدون للذين يؤيدون سياستهم بتلبية اية مطالب خاصة لهم، واعطائهم مناصب ادارية عالية في الحكومة.

ففي عام ١٩١٨ قام القائد الانجليزي لمنطقة جنين بزيارة لشيوخ صانور وعرض عليهم امورا كثيرة تحمل الاغراء، منها تعليم ابنائهم في المدارس على نفقة الحكومة وارسالهم الى بريطانيا لنيل اعلى الشهادات من الجامعات الانجليزية والتعاون معهم فرفضوا العرض والتعاون. وعاد القائد والغيظ يملأ عليه نفسه، واخذ يتوعدهم بالتضييق عليهم وبالفعل فقد حرم ابناؤهم من التعليم العالي، كما حرموا من المناصب الهامة في الحكومة طيلة مدة الانتداب على فلسطين.

وفي صيف ١٩١٩ عندما ارسلت عصبة الامم لجنة (كنج كراين) لاستفتاء سكان سوريا الكبرى في تقرير مصيرهم تنفيذا لنقاط الرئيس الامريكي ولسن الاربعة عشر، اعلنوا عن تمسكهم بالاستقلال ورفضهم لكل مظهر من مظاهر الاحتلال الانجليزي والفرنسي، ورفض زعماء البلاد وشيوخ القبائل في جنين والقضاء قبول الانتداب البريطاني غداة قابلوا هذه اللجنة في دار البلدية في جنين، وكان في طليعة الذين حضروا المقابلة شيوخ آل جرار، وكان من بينهم، محمد اليوسف، والحاج محمود القاسم، وفياض القدوره، من صانور، محمد الداود من جبع ومحمود اليوسف من برقين، وتوفيق الحاج اسعد من البارد.

وفي عام ١٩٢٢ اصدرت حكومة الانتداب في فلسطين قانون انتخاب مجلس تشريعي للبلاد، وحددت اعضاء المجلس باثنين وعشرين عضوا منهم عشرة موظفين (ستة بريطانيين واربعة يهود) واثنا عشر بالانتخاب (ثمانية

من المسلمين واثنان من المسيحيين واثنان من اليهود ويرأس المجلس المندوب السامي.

وقام (ماكلارن) بالاتصال بوجوه آل جرار وطلب الاجتماع بهم في صانور للبحث معهم وأخذ تأييدهم لتشكيل هذا المجلس، لعلمه انهم وانصارهم يشكلون الغالبية في البلاد، وبموافقتهم يمكن ان يتم تشكيل المجلس، وقبل ان يتم اللقاء عقدوا اجتماعا لوجهاء جبل نابلس في صانور حضره وفود من عائلات المنطقة وعدد كبير من وجهاء البلاد، وتدارسوا الوضع وتم الاتفاق على مقاطعة الاجتماع مع الحاكم البريطاني لان الموافقة على تمثيل اليهود في المجلس التشريعي تعتبر اعترافا من اهالي البلاد بشرعية قدوم اليهود الى فلسطين.

وفي اليوم المعين للاجتماع حضر الحاكم العسكري ماكلارن الى صانور ولم يجد احدا في استقباله وقابله بعض الشباب واعتذروا له عن عدم تمكن مشايخ العشيرة من الاجتماع به، فذهب غاضبا متوعدا بالضرب على ايدي مشايخ جبل نابلس وبذلك فوتوا على الحكومة اعترافا كانت قد عزمت على تحقيقه ظانة ان حيلها واساليبها ستنطلي عليهم بوعودها الزائفة واغراءاتها المتلاحقة بتسليمهم اعلى المناصب في الدولة(٢٠).

وفي اوائل الثلاثينات كان ابناء صانور والقرى المحيطة بها على صلة بشيخ القضية الفلسطينية الشيخ موسى كاظم الحسيني وبالمفتي الحاج امين الحسيني، وكان يمثلهم في اللجان التنفيذية التي كان الشيخ الحسيني يرأسها، المرحوم حسني الحافظ، وبعد استشهاد الشيخ موسى الحسيني تم تشكيل لجنة من العناصر الوطنية في اللجان تكونت من(٢١):

---

(٢٠) مقابلة مع المرحوم الشيخ فريز جرار في عمان في الشهر السابع من عام ١٩٨٥

(٢١) الغوري ، اميل: فلسطين عبر ستين عاما . ص١٩١

جمال الحسيني، محمد حسين درويش، فريد العنبتاوي، موسي الصوراني، كامل الدجاني، خالد الفرح، مشيل عازر، علي رضا النحوي، حسني الحافظ جرار، عبد الله الجودة، فؤاد عطا الله، صالح عون الله، شحادة حسونه، عبد الحي عرفه، حنا خلف، طلال عابدين، احمد حجه، موسي عيسى عابده، اميل الغوري، وفي عام ١٩٣٥ قامت هذه اللجنة بتشكيل(الحزب العربي الفلسطيني) برئاسة جمال الحسيني وكان اقوى الاحزاب الفلسطينية واكثرها انتشارا.

وفي القدس كان الشيخ فريز جرار في اللجان القومية لمنطقة القدس التي شكلها الحاج امين الحسيني وكانت هذه اللجان مسؤولة عن الامن والدفاع عن الاقصى وكانت تعقد اجتماعاتها بحذر وكتمان وتراقب مخططات الانجليز وتحركات اليهود ومؤامراتهم على المسجد الاقصى وتعمل على افسادها وتقوم بحراسة المسجد والتصدي لاي هجوم يقع عليه.

وفي اواخر عام ١٩٣٥ قام الشيخ عز الدين القسام بزيارة لصانور والتقى فيها بالمجاهد كامل الحاج حسين وبالشيخ الجليل موسى السيد وتباحث معهما في موضوع تدريب المجاهدين والثورة ضد الانجليز من جبالها، ولكن الشيخ لم يجد في المنطقة احراشا كثيفة تكفي لاختفاء المجاهدين وحمايتهم من طائرات العدو، وفضل الاتجاه الى مناطق اخرى، واختار في النهاية احراش يعبد(٢٢).

ولما قامت ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦-١٩٣٩ كان ابناء صانور في طليعة المجاهدين ضد القوات البريطانية وقد تشكل في صانور والقرى المحيطة بها فصيلان للجهاد، ارتبطا بقوات الجهاد المقدس التي اسسها مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني وقادها الشهيد عبد القادر الحسيني.

---

(٢٢) مقابلة مع الاستاذ طاهر احمد حسين في عمان، في الشهر السابع من عام ١٩٨٦

اما الفصيل الاول فكان بقيادة المرحوم كامل الحاج حسين، احد قادة الفصائل في بدء الثورة، وقد قام هذا الفصيل بمعركة صانور الاولى ضد القوات البريطانية في موقع بالقرب من صانور يسمى (بيت ياروب) كما قام هذا الفصيل بالمشاركة في عدد من المعارك وفي مقدمتها معركة بلعا الاولى في ١٩٣٦/٨/١٠ ومعركة بيت امرين في ١٩٣٦/٩/٢٩ ومعركة اليامون في ١٩٣٨/٣/٣ والتي ابلى فيها المجاهد كامل الحاج حسين بلاء حسنا(٢٣).

واما الفصيل الثاني فكان بقيادة المرحوم فوزي فياض جرار، احد قادة الفصائل ابان الثورة الفلسطينية الكبرى(٢٤)، وقد شارك هذا الفصيل في عدد من المعارك منها معركة بلعا الثانية في ١٩٣٦/٩/٣ ومعركة بيت امرين ومعركة السنديانة بجبل الكرمل(٢٥) ومن المعارك التي خاضها ايضا والتي ذكرها الاستاذ اكرم زعيتر بقوله (في رسالة من المجاهد فوزي جرار في منطقة جنين ان معركة نشبت في ٥ ذو القعدة الموافق ١٩٣٩/١/١١ بين فصيل البواسل والجند قرب تياسير قتل فيها جنديان وجرح ثلاثة وان فصيل عمرو بن العاص - هاجم في ٨ ذو القعدة قافلة سيارات متجهة لنابلس واستمرت المعركة نصف ساعة واصيب بها عدد من الجند)(٢٦).

كما ان الاستاذ احسان النمر ذكر في كتابه تاريخ جبل نابلس والبلقاء في صفحة ٢٥٠ من الجزء الثالث (ان السيد فوزي جرار خرج بفوج من المجاهدين عام ١٩٣٦ وصار يهاجم المستعمرات والقوافل اليهودية ودوريات الجيش في عين جارود وعين دور في مرج ابن عامر وغيرها من مواقع جنين).

---

(٢٣) عودة ، زياد : من رواد النضال في فلسطين ، ج٢ ص١٢٦

(٢٤) الدباغ ، مصطفى : بلادنا فلسطين ج٣ -ق٢ ، ص١٢٦

(٢٥) جرار ، عبد الهادي : تاريخ ما اهمله التاريخ ، ص١٠٢

(٢٦) زعيتر ، اكرم ، الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص٥٥١

ولما بدأ المجاهدون يفدون الى فلسطين، كانت صانور وجبل (احريش) الموقع الاستراتيجي الحصين الذي يطل عليها، من القواعد الهامة لتجمعهم، فقد وصل الى صانور عدد من القادة العرب كان من بينهم الشيخ المجاهد محمد الاشمر، والمجاهد سعيد العاص، وقد قدما من سوريا والقائد العراقي جاسم، ونزلوا في ديوان المرحوم كامل الحاج حسين واخيه احمد الحاج حسين ونزل مجاهدون اخرون في ديوان المرحوم محمد اليوسف وديوان فريد الحاج محمود وديوان فهد الفياض وفوزي الفياض، وتجمعوا في صانور قرابة الشهر، ثم توجهت مجموعة منهم بقيادة سعيد العاص الى منطقة القدس وانضموا الى قوات الجهاد المقدس وتوجه الشيخ محمد الاشمر والقائد جاسم ومن معهما الى منطقة طولكرم(٢٧).

ولما وصل القائد فوزي القاوقجي الى جبل نابلس تعاون معه ابناء صانور وابناء القرى المجاورة لها، واشترك فصيلا الجهاد معه في معركة احريش ومعركة بيت امرين عام ١٩٣٦ وكان نشيد الثوار في المعركتين(٢٨):

صهيوني دبر حالك نفدوا الثوار   معهم فوزي القاوقجي البطل المغوار

وعندما اصبح المجاهد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد قائدا عاما للثورة كان يعتبر صانور قاعدة هامة من القواعد الرئيسية للثورة فكثيرا ما كان يأوي اليها والى الجبال الحصينة المحيطة بها هو وجنده.

لقد كانت بيوت اهل صانور ودواوين قادتها معاقل للثوار طيلة سنوات الثورة يجتمعون فيها ثم ينطلقون الى عملياتهم، وهذا مما جعل قرية صانور هدفا للاعتداء المستمر من قبل القوات البريطانية وفي عام ١٩٣٩ اشتدت هذه الاعتداءات وتعرضت القرية للتطويق اكثر من ثلاثين مرة متتالية، وذلك قبل

---

(٢٧) مقابلة مع الاستاذ طاهر احمد حسين في عمان في الشهر السابع من عام ١٩٨٦
(٢٨) مقابلة مع الشيخ فريز جرار في عمان في الشهر السابع من عام ١٩٨٥

وبعد معركة صانور الثانية[29] التي وقعت صباح يوم ٢٧ اذار ١٩٣٩ والتي قادها واستشهد فيها المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد وقامت القوات البريطانية بعد المعركة بنسف عدد كبير من بيوت البلدة والتي مازالت اثار جرائمهم شاهدة عليهم حتى اليوم.

وقد اعتبر الاستاذ المؤرخ مصطفى الدباغ هذه المعارك التي وقعت في صانور وما حولها من اشهر المعارك الحربية فقال[30]: «*ومن اشهر المعارك الحربية التي حدثت في الديار النابلسية معركة (مجدو) في العصور القديمة ومعركتي ارسوف وعين جالوت في العصور الوسطى وصانور في العصور الحديثة وحروبها مع البريطانيين واليهود في السنين المعاصرة*».

احداث المعركة الاولى:

في اوائل شهر تموز ١٩٣٦ وقعت معركة صانور الاولى في منطقة بيت ياروب المشرفة على مركز شرطة (ترسلا) حيث تمر قوافل الجيش البريطاني على الشارع الرئيسي الواصل بين نابلس وجنين، ففي فجر ذلك اليوم تجمع عدد من شباب قرية صانور وقرية صير وبعض القرى المجاورة وتوجهوا الى منطقة (بيت ياروب) بقيادة المرحوم كامل الحاج حسين وكان معهم المناضل فوزي جرار، وكمنوا في التلال المشرفة على الشارع العام مقابل مركز (ترسلا) بانتظار قافلة عسكرية بريطانية ستمر في الطريق، ولما مرت القافلة انهال عليها المجاهدون برصاص بنادقهم ووقعت معركة استمرت عدة ساعات ووصلت ارض المعركة نجدات بريطانية للقافلة ونجدات للثوار من القرى المجاورة، ولكن المجاهدين اضطروا للانسحاب بعد وصول طائرات حربية، لمساندة القوات البريطانية.

---

(٢٩) راجع معركة صانور الثانية في الفصل الاخير من الكتاب

(٣٠) الدباغ ، مصطفى: بلادنا فلسطين ، ج٢ ق٢ ، ص٥٩

واستشهد في المعركة اثنان من الثوار هما:

عزيز ابراهيم جرار، محمد الحاج محمود، اما خسائر الانجليز فلم يعلنوا عنها كعادتهم(٣١).

معركة بلعا الاولى:

تقع قرية بلعا في الشمال الغربي من بلدة عنبتا وعلى مسيرة ٥ر٩كم من طولكرم، وقد اشتهرت بلعا بمعركتيها الداميتين في عام ١٩٣٦ بين فريق من المجاهدين وبين قوات الحكومة البريطانية الغادرة(٣٢).

اما معركة بلعا الاولى فقد حدثت في العاشر من شهر اب ١٩٣٦ وهي من المعارك الكبيرة التي خطط لها القائد عبد الرحيم الحاج محمد(ابوكمال) فقد توجه على رأس مجموعة من المجاهدين نحو جبال بلعا التي تعتبر من اعلى الجبال في منطقة طولكرم وهي تشرف على الطريق الرئيسة التي تمر منها القوافل البريطانية واليهودية القادمة من حيفا عبر طريق : طولكرم، عنبتا، دير شرف، نابلس، ففي صباح ١٩٣٦/٨/١٠ احتل الثوار جميع الخنادق والاستحكامات الواقعة بين قرية بلعا ونابلس وما ان مرت القوافل البريطانية من تلك المنطقة حتى انهال عليها رصاص الثوار المرابطين فتعطلت السيارات وتوقفت عن السير فنزل الجنود من سياراتهم واختبأوا بين الصخور على مقربة من الطريق ولكن رصاص الثوار كان اسرع من ان يمكنهم من الفرار فقتل الكثير منهم ولكنهم استطاعوا ارسال اشارة لاسلكية الى مركز الجيش في نابلس، فهرعت ١٨ سيارة لنجدتهم، تقل عددا كبيرا من الجند وتصحبها خمس مصفحات وسيارتان تحملان مدفعين جبليين وخمس طائرات(٣٣).

---

(٣١) مقابلة مع الاستاذ طاهر احمد حسين في عمان في الشهر السابع من عام ١٩٨٦

(٣٢) الدباغ ، مصطفى : بلادنا فلسطين ج٢ - ق٢ ، ص٣٠٤

(٣٣) السفري ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، ج٢ ، ص١٢٨

ولما تجمعت القوة هاجمت الثوار محاولة تطويقهم وشرعت الطائرات تقذفهم برصاص مدافعها الرشاشة كما كانت المصفحات تصب نيرانها على الجبال فتدكها، ودامت المعركة بين الفريقين ثماني ساعات (اي حتى غروب الشمس) حيث انسحب الانجليز الى الوراء بعد ان خلفوا ستين قتيلا منهم، وكان الثوار قد لغموا الطريق وراء القوات الانجليزية، فانفجر احد الالغام تحت سيارة انجليزية وقتل فيها ضابط واربعة جنود وتمكن الثوار من الانسحاب وكانت خسائرهم قليلة، وقد عرفت هذه المعركة باسم معركة المنطار نسبة الى جبل المنطار القريب من بلعا، حيث خلد الشاعر الشعبي هذه المعركة في قصيدة قال فيها (٣٤):

بين بلعا والمنطار صار شي عمره ما صار

والدبابة احرقناها والعسكر ذبحناها

معركة بلعا الثانية:

تعتبر معركة بلعا الثانية من اعظم المعارك التي دارت بين الثوار وبين الجيش البريطاني في هذه المرحلة، وقد شارك فيها عدد من قادة الثورة كان في مقدمتهم فوزي القاوقجي، والشيخ محمد الاشمر وعبد الرحيم الحاج محمد ومجموعة من المجاهدين من ابناء فلسطين والاردن وسوريا والعراق.

بلغ عدد الثوار الذين اشتركوا في المعركة خمسين رجلا مسلحين بالبنادق المتنوعة والرشاشات الخفيفة وبعض الالغام، وقد انتقوا موقع بلعا لارتفاعه واشرافه على طريق نابلس - طولكرم حيث تمر القوافل الصهيونية بحماية القوات البريطانية.

(٣٤) عودة، زياد: من رواد النضال في فلسطين، ج١، ص٧٥

وقد نظم القائد فوزي القاوقجي خط الدفاع الرئيس فوق المرتفعات المشرفة على الطريق العام على شكل اربع مفارز تتقاطع نيرانها فيما بينها فلا يستطيع العدو الدخول بين المفارز دون ان تناله نيرانها، واعد ايضا مفرزتين لتبثا الالغام على الطريق وتكمنا على مقربة منه وتناوشا العدو ثم لتنسحب كل منهما باتجاه محدد بغية شطر قوة العدو الى قسمين واستدراجه الى حيث يقع تحت النار المجدية لخط الدفاع الرئيس، وتم ايضا تركيز عدد من المفارز الصغيرة من الرماة المهرة في أماكن ملائمة للدفاع الجوي لصد الطائرات اذا ما اشتركت في القتال.

وصلت قوة المجاهدين بصورة سرية الى نقطة التجمع في قرية بلعا ليلة ١٩٣٦/٩/٢ تمركز المجاهدون في مواقعهم المحددة، وركز القاوقجي قواته على جانبي الطريق وليس على جانب واحد كما كانت العادة وكانت مجموعة الشيخ محمد الاشمر اقرب مجموعة الى الطريق العام على الناحية الشمالية (يسار الطريق)وتمركز القائد عبد الرحيم الحاج محمد ورجاله على يمين الطريق، وتمركزت مجموعة ثالثة في الجبال الغربية من بلعا نفسها، وكان الجميع بانتظار قافلة عسكرية بريطانية ترافق سيارات ركاب يهودية تتحرك يوميا من تل ابيب الى طبريا وحيفا، مارة بطولكرم(٣٥).

سير المعركة:

ظهرت القافلة المعادية قادمة من اتجاه طولكرم في الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم ١٩٣٦/٩/٣ وعند وصول اول سيارة من القافلة المكونة من عشرين سيارة الى النقطة المعينة، اطلقت عليها النيران من قبل الكمينين وانفجرت الالغام وردت القوة البريطانية بنيران الدبابات والرشاشات والمدافع

(٣٥) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٤ عام ١٩٨٨ ،ص٤٦

الخفيفة، ولما ترك الكمينان موقعيهما حسب الخطة المرسومة تبعهما الجنود البريطانيون منشطرين الى قسمين وسرعان ما وقعا تحت رحمة نيران خط الدفاع الرئيس فوجدت القوة البريطانية نفسها محاصرة لا تستطيع التقدم ولا الانسحاب فاستنجدت بالقيادة ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت الطائرات واخذت تنقض على مواقع المجاهدين الذين استطاعوا ان يسقطوا ثلاثا منها باسلحتهم العادية، وتبع ظهور الطائرات تدفق نجدات المدافع والدبابات والرشاشات على ساحة المعركة.

والتي قدرت بكتيبة عسكرية وتسع طائرات وقد قامت الطائرات باربع عشرة طلعة لمساعدة كتيبة النجدة وتغطية تقدمها الى مسرح العملية بعد ان اوقفها الثوار بالقرب من قرية رامين لبعض الوقت.

وحاولت القوة البريطانية الالتفاف على مواقع المجاهدين ولكنها ردت على اعقابها، وحوالي الساعة الثانية بعد الظهر بلغت المعركة اقصى حدتها اذ كثف الانجليز القصف بالمدرعات والمدافع الثقيلة والطائرات، واضطرت القيادة العربية الى الامر بالإنحساب الى خط الدفاع الثاني على مرتفعات تساعد اكثر على الدفاع والمقاومة (٣٦)، ولما قام الانجليز بتطويق الثوار في الجبل ،قام ابناء القرى المجاورة بتطويق الجيش الانجليزي من الخلف وقطعوا عنه الطرق، واشتركت الطائرات في قصف الثوار في الجبل، فقامت مجموعة الثوار بهجوم انتحاري واشتبكوا مع الجيش فتوقفت الطائرات والمدفعية ودارت معركة استعملوا فيها السلاح الابيض والحجارة(٣٧):

---

(٣٦) الموسوعة الفلسطينية – المجلد الاول ، ص٦٣٩

(٣٧) مقابلة مع السيد يوسف العطار في الدوحة عام ١٩٨٥ ، وهو احد المجاهدين الذين اشتركوا في معركة بلعا.

وفي هذه الاثناء اخذ العدو ينسحب من المعركة تحت حماية نيران كثيفة وغزيرة القتها طائراته واسلحته المختلفة، وظلت قواته مرابطة حول ساحة المعركة حتى تم لها اخلاء الجرحى والقتلى، ثم انسحبت بعد غروب الشمس.وهكذا دارت معركة على جبهة طولها ١٢ كم واستمرت حتى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر قاتل فيها الثوار قتالا عنيفا وعنيدا قبل ان تتمكن القوات البريطانية من دخول قرية بلعا بعد نفاذ عتاد الثوار وانسحابهم(٣٨).

وصدر بلاغ عن المندوب السامي البريطاني عن نتائج المعركة اعترف فيه بان ضابط الطيران هنتر والطيار لنكولن قد قتلا في الجهة الجنوبية الغربية من بلعا في الادوار الاولى من العمليات واعترف بجرح ثلاثة احدهم اصابة خطيرة وبمقتل عريف وجرح اثنين اخرين، واعترف ايضا بسقوط طائرة واصابة ثلاث طائرات اخرى بنيران البنادق، وادعى البلاغ البريطاني باستشهاد ١٤ من رجال العصابات، وعند نهاية العمليات العسكرية هدمت ستة بيوت في قرية بلعا اطلقت منها العيارات النارية على الجنود (٣٩).

اما الثوار فقد اعلنوا عن مقتل ٨٠ جنديا بريطانيا بينهم عدد من الضباط، عدا الجرحى واصابة ثلاث طائرات وتعطيل رابعة والاستيلاء على رشاش طائرة من طراز (برن).

وكان من بين الشهداء : محمود ابو يحي من جبل العرب بسورية واليه يعود الفضل في صمود خط الدفاع الرئيس، وكان الشيخ سليمان السعد الصانوري، من فصيل صانور من اكثر المقاتلين شجاعة وحكمة وقد استشهد فيما بعد في معركة كفر عبوش(٤٠).

(٣٨) ياسين ، صبحي : حرب العصابات ، ص٨٨

(٣٩) زعيتر ، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص١٦٢ - ١٦٣

(٤٠) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٤٠

وقد تلقى الشعب العربي الفلسطيني اخبار هذه المعركة الظافرة بارتياح كبير وقويت الروح المعنوية لديه، في حين قررت الحكومة البريطانية بعد هذه المعركة اتخاذ اجراءات اكثر صرامة وشدة في التعامل مع رجال العصابات من اجل اعادة النظام، ومنها اعلان حالة الطوارىء هذا وقد تم تعيين الجنرال جون ديل بدلا من بيرز قائدا عاما للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الاردن يوم ١٩٣٦/٩/١٥ وارسلت الى فلسطين تعزيزات كثيرة من الجنود والمعدات.

معركة الجاعونة:

تقع بلدة الجاعونة على الطريق بين صفد وطبرية الى الشرق من مدينة صفد، وكانت تسكنها أكثرية يهودية. ولما بدأت فصائل ثورة عام ١٩٣٦ تعمل في منطقة صفد تعرضت طريق «صفد - طبرية» لعدة هجمات من المجاهدين ابتداء من شهر حزيران ١٩٣٦، فكانوا ينصبون الكمائن لسيارات الركاب الصهيونية التي تسير بين صفد وطبرية بحراسة المصفحات البريطانية، فوقعت معركة جب يوسف ليلة ٢٢/٢١ حزيران وكان يقود المجاهدين فيها عبد الله الأصبح من الجاعونة، وعبد الله الشاعر من صفد.

قاد عبد الله الشاعر مجموعة من المجاهدين في كمين نصبه لباص صهيوني قادم من طبرية إلى صفد يوم ١٩٣٦/٨/١٢، وكان موقع الكمين قبل الجاعونة بكيلومترين. وقد سد المجاهدون الطريق وكمنوا بين الصخور، ولما وصلت السيارة اليهودية تحت الحراسة البريطانية انهال المجاهدون عليها بالرصاص. واستمر الإشتباك نحو ساعتين، وأخذت قوة الحراسة تطلب النجدات. أسفرت هذه المعركة عن مقتل ثمانية من الركاب الصهيونيين، وقتل وجرح عدد من الحرس البريطاني. وتمكن المجاهدون من الإنسحاب قبيل وصول النجدات البريطانية دون خسائر في صفوفهم، وقد اتسمت هذه العملية بالمفاجأة والجرأة(٤١).

(٤١) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٩

معركة جبع:

قامت هذه المعركة في سهل قرية جبع في قضاء جنين بتاريخ ١٩٣٦/٩/٢٤، حيث قامت قوة من الجيش البريطاني بتطويق مجموعة من الثوار المرابطين قرب قرية جبع، وكانت قوات الجيش كبيرة وتساندها سبع طائرات وعدد من مدافع الميدان. ولما قاربت ذخيرة الثوار على النفاذ هاجموا الجنود البريطانيين بالسلاح الأبيض، وكاد الثوار يهزمون، ولكن إخوانهم في الجبال أسرعوا لنجدتهم، وطوقوا الجند وأنقذوا الثوار المحاصرين بعد أن استمر القتال من الظهر إلى ما بعد غروب الشمس، وكان الثوار بقيادة المجاهد محمد صالح الحمد (أبو خالد) . وبعد الغروب انسحبت الطائرات من المعركة فقام المجاهدون بمهاجمة فلول الجيش البريطاني المنسحب تحت جنح الظلام وأوقعوا فيه إصابات كثيرة.

وبعد المعركة تبين أن إحدى وأربعين إصابة بالثوار نتجت عن قنابل الطائرات وأن ثلاث عشرة إصابة نتجت عن المعركة مع الجند. وقد أسقطت طائرة وجرح قائدها «ستيوارت» وفجرت مصفحة مرت فوق لغم إثر عودتها إلى نابلس وقتل البريطانيون الأربعة الذين كانوا فيها(٤٢).

ولكن هذه المعركة لم تكن الوحيدة في سهل قرية جبع بل عمد الثوار إلى ربك قوات بريطانيا ربكا أفزعها وأخل بنظامها، فلم تكد تمض نصف ساعة على انتهاء المعركة حتى هاجم الثوار جميع مراكز الشرطة في نابلس، وقسموا أنفسهم سبع فرق، وفي وقت واحد هاجم كل فريق المكان المحدد له، فهوجم الجنود البريطانيون المرابطون في الجهة الشرقية من نابلس، وهوجمت القوات المرابطة في ساحة سكة الحديد، وهوجم الجند المرابط في النادي الرياضي، وهوجمت القوات

(٤٢) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص.٢٠٠

المرابطة في المحكمة الشرعية، والجند المرابط في المدرسة الغزالية، وهاجم الفريق السادس سراي الحاكم، وبقيت الفرقة السابعة في سفوح الجبال تراقب المعركة وتحمي ظهور المقاتلين.

وتحولت مدينة نابلس إلى ساحة قتال، وعم الخوف والفزع جميع أرجائها، وخرجت المصفحات تجوب الشوارع وتقاتل الثوار، ولم تذكر البلاغات الخسائر البريطانية، ولكنها كانت دون ريب كبيرة في هجوم شامل منظم ومفاجىء .

إن قائد القوات البريطانية كان خائفا مفزوعا، ولم يجد إجراء يتخذه أمام قوم يهاجمونه في عقر المدينة، ويضربون جنوده في كل مكان، إلا أن يبعث بقواته إلى رئيس بلدية نابلس سليمان عبد الرازق قائلا:«إن رجالكم أطلقوا النار على قواتي، وأحضرتك لتكون ضيفي وستنام على ظهر السطح مع حرس الرشاشات الذين كانوا يتبادلون اطلاق النار مع الثوار». وأخذه لينفذ فيه هذه الضيافة، واستقال أعضاء المجلس البلدي احتجاجا (٤٣).

معركة بيت امرين:

حدثت هذه المعركة في ٢٩ أيلول ١٩٣٦م، وكان الجيش البريطاني بقيادة الجنرال «ديل» هو المبادر إلى هذه المعركة التي لم تشهد جبال نابلس وضواحيها منذ نشوب الثورة معركة مثلها، حيث كان الثوار يرابطون في قرية بيت أمرين وراء استحكامات فنية، وكان البريطانيون الذين يزيد عددهم على (١٥٠٠) جندي يتجمعون في سبسطية لتطويق الثوار في الجبال والسهول. وفي الساعة العاشرة بدأت عملية الزحف والتطويق، بمساندة المصفحات والدبابات والمدفعية والطيران. وشمل الطوق جبال برقة وبيت أمرين وسبسطية

.(٤٣) السفري ، عيسى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ،ص٢٠١

وسيلة الظهر، وتمكن الجيش من إحكام الطوق على الثوار، لكن قوة كبيرة من الثوار كانت مختفية في الكهوف والمغاور وبين أشجار الزيتون ببنادقها ورشاشاتها وقنابلها، ففاجأت الجند من خلفهم ونشبت المعركة. ويبدو أن ذخيرة الجند نفدت أو كادت، فأقبلت سيارات ونجدات حتى وصلت إلى مقربة من سبسطية، فتعرض لها الثوار الكامنون في رؤوس الجبال. فاحتدمت المعركة بين جبال السيلة وسهل بيت أمرين، واستمرت ثماني ساعات، وكان نشيد الثوار في المعركة(٤٤):

دبرها يا مستر ديل بلكي على يدك بتحل

وانسحبت قوى الجند في إثرها إلى سهول برقا حيث كان عدد من الثوار في مكامنهم فتجددت المعركة. وخيم الظلام وأدرك الجند عقم الإشتباك مع الثوار فانسحبوا إلى الطريق العام قرب سبسطية حيث استقلوا سياراتهم عائدين إلى معسكراتهم. ولكن كمينا من الثوار كان يترصد لهم، فتبادل معهم إطلاق النار. وفي أثناء عودة الجند إلى طولكرم هاجمهم الثوار وأسقطوا طائرة قرب قرية دير شرف(٤٥).

وقد اعترف الجيش بخسارة طائرتين ومقتل ضابط وجنديين، وغنم الثوار بعض الأسلحة والذخائر(٤٦).

وصدر البلاغ الرسمي رقم ٣٦/٢٧٣ عن الحكومة، يقول:

(٤٤) مقابلة مع الشيخ فريز جرار في عمان ، في الشهر السابع من عام ١٩٨٥

(٤٥) زعيتر ، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص١٩٥

(٤٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٤ عام ١٩٨٨ ،ص٤٧

«اهتدت جنود الإستكشاف بمعونة الطائرات بعد ظهر أمس، إلى موقع عصابة كبيرة مسلحة من العرب بالقرب من بيت أمرين شمالي غربي نابلس، وقد استمرت العمليات حتى دخول الليل، وقد جرح ضابط بريطاني وجنديان ويعتقد أن الإصابات التي لحقت بأفراد العصابة بلغت ٢٢ إصابة».

قصيدة جبل النار:

عندما انطلقت شرارة الثورة من جبل النار عام ١٩٣٦، وخاض أبناء الجبل معارك الجهاد ضد القوات البريطانية .. تلك المعارك التي أقلقت الحكومة البريطانية في لندن فطلبت من حكامها في فلسطين أن يوالوها بأخبار المعارك ساعة بساعة وفي حين وقوعها. وأطلقت على جبل النار أسماء جديدة مثل: مثلث الرعب، والمثلث الخطر. إشارة إلى مدنه الثلاث نابلس وجنين وطولكرم.

ومن قلب المعارك نظم الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) قصيدة بعنوان «جبل النار» وجهها إلى المجاهدين الثائرين فقال:

جبل النار(٤٧)

جبل النار يا أعز الجبال أنت لازلت، معقد الآمال

تنبت المجد فوق سفحك فينان وتسقيه من دم الأبطال

يفصح الصخر عن شمائل أبنائك فوق اللظى وعند النزال

ماذكرنا حماك إلا انتسبنا وانتشت نخوة رؤوس الجبال

* * *

(٤٧) مجلة الرسالة القاهرية-العدد١٦١ في ١٩٣٦/٨/٣ وديوان ابي سلمى ،ص١٥-١٦

أيها الثائرون في جبل النار   سلاما يا زينة الأبطال

لكم الله يا حمـاة فلسطين   زحمتم مصارع الآجال

تحملون الأرواح فوق أكف   وتبيعونها ولكن غوالي

ورصاصاتكم تمر على الأيام   حُمراً مضيئة في الليالي

تصرع الطائرات مثل طيور الجو تهوي ما فوق تلك التلال

يسمع الجند في صداها لغى الموت فلا يثبتون يوم القتال

* * *

أيها الثائرون قولوا ، فإن الكون يصغي إلى لهيب المقال

والمعوا في غياهب الظلم تجلوها فإن الجهاد رحب المجال

إنما الحق من بنادقكم يسطع والعـدل من وراء العوالي

أنظروا اليوم كيف يلتفت التاريخ حتى يرى بريق النصال

* * *

جبل النـار زأرة تجعـل الدهر يحيـي محطم الأغلال

جبل النار لم تخـلدك إلا ثورة في سبيـل الإستقلال

جبل النار! إقذف النار حتى نبصر النور يا أعز الجبال

معركة الخضر - حوسان:

لقد راع الإنجليز ما رأوه من شكيمة المجاهدين، واشتداد لهيب الثورة المقدسة عام ١٩٣٦، فقرروا القضاء عليها مهما كلفهم الأمر، واختاروا المناطق التي كانت مسرحا لعمليات المجاهدين الحربية، علهم يظفرون بالقادة وخاصة سعيد العاص وعبد القادر الحسيني. وعمدت القيادة البريطانية إلى التخطيط من أجل توجيه ضربة قوية ضد الثوار، فأطلقت عيونها وجواسيسها من أجل مراقبة تحركات القائد سعيد العاص والقائد عبد القادر الحسيني وجماعتهما. وبتاريخ ٣ أيلول سنة ١٩٣٦ أصدرت الحكومة بلاغا تفرض فيه نظام منع التجول من الساعة السادسة والنصف مساء حتى الرابعة والنصف صباحا على طريق الخليل الواقعة بين حدود بلدية القدس وحدود لواء القدس إلى ما وراء قرية الظاهرية وذلك تمهيدا للهجوم الكبير الذي كانت تعده سلطات الإنتداب البريطاني من أجل القضاء على الثوار في هذه المنطقة(٤٨).

وفي الرابع من تشرين أول ١٩٣٦ قام الجيش البريطاني بإعداد قوة كبيرة، مجهزة بكافة المعدات الحربية والطائرات وتطويق المنطقة الواقعة جنوب القدس (منطقة حوسان وجبال قرية الخضر)، حيث كانت ترابط قوات القائد سعيد العاص والقائد عبد القادر الحسيني، والتي بلغ عددها (١٢٠) ثائرا. بينما كان عدد القوات البريطانية المهاجمة يزيد على ثلاثة آلاف جندي(٤٩).

ورأى القائد سعيد العاص عظم الخطر، فضن بصحبه أن تأكلهم أسلحة الجيش البريطاني الضخمة، وهم عدد قليل من الفتيان، فطلب إليهم أن

---

(٤٨) عودة، زياد: من رواد النضال في فلسطين ج١، ص٤١

(٤٩) عودة، زياد: من رواد النضال في فلسطين ج١، ص٤١ .. عن السفري، عيسى فلسطين بين الانتداب والصهيونية

ينسحبوا ويتولى هو ونفر قليل من إخوانه فتح طريق الإنسحاب أمامهم، فأبى الجميع إلا مقابلة الموت مع قائدهم الباسل سعيد وقائدهم الحبيب عبد القادر.(٥٠) وهنا نترك المجال لأحد المجاهدين الذين شاركوا في المعركة ليروي لنا تفاصيل أحداثها، فيقول(٥١):

«وبعد أن وزعت الذخيرة، أمر عبد القادر كل فريق منا باحتلال مرتفع من المرتفعات التي تشرف على الطريق العام، وهنا أرسل قائدنا فريقا آخر لينسف قسما من سكة الحديد التي تربط يافا-القدس، ومن المكان الذي يجاور قرية حوسان فقط، فذهب الفريق وأدى مهمته على أحسن وجه ثم قفل راجعاً لاحتلال مرتفع عين له».

وبعد مدة مرت قاطرة تحمل جنودا بريطانيين، فتدهورت العربات من جراء إزالة الخط الحديدي، فتأكدوا أن بالقرب من هذا المكان، يكمن المجاهدون فأرسلوا في طلب قوة كبيرة لتحارب المجاهدين الموجودين في تلك القرية، وبعد برهة وجيزة حلقت طائرة فوق سماء القرية وراحت ترشد الجيش البريطاني الذي حضر لمقاومتنا، ولكن.. كيف الوصول إلينا وجميع المرتفعات تحت سيطرتنا، ولم يجد الجيش بدا من عبور الشارع العام الذي يقرب من المرتفعات وانتشروا صاعدين الهضاب سيرا على الأقدام محاولين الوصول إلى تلك المواقع حيث كنا معتصمين وكامنين، وقد حصل كل هذا ونحن نراهم بعيوننا، ولكن قائدنا أمر بعدم إطلاق النار حتى يقتربوا منا كثيرا، وعندما اقتربوا فعلا، فتح عليهم نيران سلاحه، وكان ذلك إيذانا ببدء المعركة فأصليناهم نارا حامية من جميع المرتفعات، مما دب في قلوبهم الرعب والفزع ونشر الفوضى بينهم فأرسلوا في

---

(٥٠) محسن ، عيسى خليل : فلسطين الام وابنها البار عبد القادر الحسيني ، ص١٧٣

(٥١) محسن ، عيسى خليل ، فلسطين الام ،ص١٧٣ .. عن رسالة مجاهد كريم الى الدكتور موسى الحسيني

طلب النجدات التي ساعدتها خمس طائرات حلقت في سماء المعركة، وراحت توجه إلينا نيرانها وقنابلها، وراحت دبابات تداهمنا وتوجه إلينا قنابل المدافع الجبلية الفتاكة. فقاومهم المجاهدون ولما نفدت ذخيرتهم، تقدمو بخناجرهم، واشتبكوا مع الجند بالسلاح الأبيض. ولكن الإنجليز في النهاية أحدقوا بالمجاهدين، ووجد عبد القادر وسعيد العاص نفسيهما وجها لوجه أمام عدد من الجنود البريطانيين لا يفصل بينهم إلا واد ضيق لا يكاد يبلغ طوله أربعة أمتار، ففي الحال ألقى كل من القائدين نفسه وراء صخرة قريبة وأخذا يتبادلان النيران مع الجنود (وعددهم خمسة جنود) فسقط الجندي الأول وتبعه الثاني والثالث والرابع وكان كل منهم يصوب بندقيته من فوق الصخرة التي تواجه صخرة سعيد وعبد القادر، ولكن مهارة سعيد في تسديد الرمي، أودت بحياتهم جميعا، إلا أن الجندي الخامس كان قد صوب بندقينه وهو منبطح على الأرض من أسفل الصخرة -وكان مختفيا تماما- وكان سعيد قد نفدت ذخيرته من مسدسه أو كادت فما أن تحرك لتعبئة المسدس حتى أطلق عليه الجندي النار، كما قفز عدد من الجنود من الخلف وطعنوا عبد القادر بحربة في ظهره فخر القائدان الكبيران مجندلين بدمائهما بعد أن قضيا على الجنود، أما القائد سعيد العاص فقد أسلم الروح مبتسما لأن هذه هي الميتة التي كان ينشدها . أما عبد القادر فقد وقع بأيدي جنود لا رحمة عندهم ولا شفقة ، ولا ضمير فأخذوا يضربونه بمؤخرة البنادق، ثم انقض عليه أحد الجنود ليجهز عليه بحربته، فصاح بهم عبد القادر الحسيني منذرا متوعدا، فانتهر الجندي أحد رفاقه قائلا: ويحك. كيف تريد قتله وقد رأيت شجاعته وبطولته؟ وفي هذه اللحظة وصل القائد الإنجليزي، وحملوا عبد القادر ودماؤه تنزف إلى الطريق العام، وهناك حضرت قوة من رجال البوليس الفلسطيني وعلى رأسهم الضابط سعيد العزايزة الذي تعرف على عبد القادر، فأسعفوه ونقلوه إلى مستشفى الحكومة بالقدس . أما بقية الثوار فقد استشهد بعضهم، وتمكن البعض الآخر من النجاة، بعد أن قاوموا

مقاومة عنيفة وأوقعوا عدة إصابات بين جنود العدو البريطاني.

وما أن تناقلت الأنباء خبر استشهاد القائد سعيد العاص، وإصابة عبد القادر بجراح حتى اكتظت شوارع المدينة وساحة المستشفى الحكومي بالقدس بجميع الأهالي الذين جاءوا لاستطلاع الخبر، والتهبت البلاد عن بكرة أبيها لهذه الأنباء، فحمل القادرون منهم السلاح استعدادا ، كما قامت المظاهرات في مختلف أنحاء فلسطين.

كتب الدكتور قاسم الريماوي عن تلك الأحداث فقال(٥٢):

«أذكر أنني تمكنت من زيارة غرفة السجين (أي عبد القادر) ، بمستشفى الحكومة في نفس الليلة التي أحضر فيها، فوجدته ملقى على السرير، وبجواره عبد الله العمري، وكان معتقلا آنذاك، فأخذ يستفسر عن جنوده وأصدقائه فطمأنته عليهم، وما أن أرخى الليل سدوله حتى كانت جميع أطراف مدينة القدس ودار المندوب السامي خاصة تعاني الأهوال من رصاص المسلحين الذين هرعوا إليها من مختلف انحاء البلاد. لقد كانت ليلة ليلاء لم ير الإنجليز نظيرا لها قبل ذلك اليوم، وكان الهجوم مركزا على بيت المندوب السامي، فارتفعت إشارات النجدة، وكانت سيارات الإسعاف تغدو وتروح، وصرخات الجنود تسمع من مسافات بعيدة».

كانت هذه المعركة عبارة عن تواجه سافر بين المجاهدين العرب والإستعمار البريطاني، ولولا عدد القوات الإنجليزية وعدتها لما استطاعت قهر فصائل الثورة، ورغم هذا فقد سرت أخبار هذه المعركة الشهيرة، واستشهاد القائد البطل سعيد العاص، وبطولة عبد القادر في البلاد سريان النار في الهشيم فاشتدت

(٥٢) محسن، عيسى خليل ، فلسطين الام، ص١٧٥ .. عن مخطوط الدكتور قاسم الريماوي (حياة عبد القادر).

نقمة العرب، وازداد شعورهم تهيجا، وصمموا على الإستمرار في الإضراب والثورة، فأيقنت بريطانيا أن أهل فلسطين مستميتون في الدفاع عن بلادهم وأنه لا يمكن القضاء على الثورة إلا بالقضاء على الشعب الفلسطيني برمته، خاصة بعد أن دوت أخبار المعارك في بلاد العرب، وكان لها رد فعل قوي، حمل الألوف من أهلها على نجدة فلسطين، والموت في سبيل الله من أجل نصرتها.

توقف الاضراب والثورة:

بعد اشتداد الإضراب والثورة وفشل الوسائل العسكرية في إخمادها، خشيت بريطانيا أن تتطور ثورة فلسطين إلى قيام ثورات أخرى في مناطق الشرق الأوسط يكون من شأنها إصابة الإمبراطورية بجراح قاتلة، فلجأت إلى المناورات واستعمال الوسائل السياسية التي هي أحيانا أخطر من الوسائل العسكرية في إجهاض الثورات وإخمادها. فدعت العرب إلى وضع السلاح والدخول في مفاوضات لحل القضية، ولم تنطل حيلها على شعب فلسطين، فاتصلت بملوك العرب وأمرائهم وطلبت إليهم التدخل لإقناع أهل فلسطين بوقف الثورة وفك الإضراب، وتعهدت لهم بإنصاف عرب فلسطين وضمان حقوقهم.

اللجنة الملكية (لجنة بيل).. والوساطة:

ألقى وزير المستعمرات البريطاني (أورمسبي غور) بيانا في مجلس العموم البريطاني بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٣٦، أعلن فيه عن «عزم الحكومة البريطانية على إيفاد لجنة ملكية خاصة، رفيعة المستوى برئاسة اللورد [١]ايرل بيل) إلى فلسطين للتحقيق في أسباب الإضراب وفي ظلامات العرب واليهود المزعومة، بدون التعرض لنصوص الإنتداب الأساسية، على أن تكون الخطوة الأولى في هذه السبيل، إعادة توطيد القانون والنظام».وكان هذا الشرط يعني بوضوح وقف الإضراب والثورة.

وقد رفض الشعب وقف الإضراب والثورة رفضا باتا، لتأكده من سوء نوايا بريطانيا نحو العرب، بناء على تجربتهم وخبرتهم الطويلة بلجان التحقيق البريطانية المتعددة السابقة، التي كانت وسيلة معروفة للتخدير وتفريق الكلمة، أضف إلى ذلك أن إعلان الوزير البريطاني تضمن بوضوح أن اللجنة «لن تتعرض لنصوص الإنتداب الأساسية».

وعلى اثر ذلك قام الامير عبد الله أمير شرقي الأردن بعدة اتصالات مع اللجنة العربية العليا لفلسطين وقال في احد الإتصالات:«مهمتي تنحصر في التمهيد بينكم وبين الحكومة البريطانية لتتقابلوا وإياها عند نقطة يسهل عليكما فيها البدء في المفاوضات، والحكومة على استعداد لتتقدم خطوة إلى الأمام إذا قبل العرب التقدم خطوة من جهتهم. وطلب من المدعوين العمل على عدم اللجوء إلى العنف بعد الآن ليتسنى للحكومة البريطانية، بعد أن ترى الحالة هادئة، أن تعلن وقف الهجرة. وكان جواب الحاضرين أنه إذا استطاع سمو الأمير الحصول من المندوب السامي على وعد كتابي، بنيل المطالب الثلاثة التي أعلنتها الأمة فلا بأس من التفاوض معها.

وبذل الملك عبد العزيز بن سعود مجهودا آخر في هذا السبيل وأرسل هو والملك غازي ملك العراق والإمام يحيى ملك اليمن مذكرة مشتركة إلى ملك الإنجليز، أبدوا فيها رأيهم في القضية الفلسطينية وأعربوا عن رغبتهم في :«أن تجد الحكومة البريطانية حلا سريعا لهذه القضية»، وعقد اجتماع في بغداد ترأسه الملك غازي وحضره ياسين باشا الهاشمي رئيس الوزارة العراقية والسير (أرشيبلد كلارك) سفير بريطانيا في العراق، وتناول البحث القضية الفلسطينية، وعلى أثر هذا الإجتماع قدم الى القدس نوري السعيد وزير خارجية العراق، وقابل المندوب السامي البريطاني، واجتمع برئيس وأعضاء اللجنة العربية العليا بضعة أيام.

وفي اجتماع عقدته اللجنة العربية العليا بتاريخ ٢٦ آب ١٩٣٦ وبحضور عدد من زعماء فلسطين وافق المجتمعون على قبول وساطة نوري السعيد بصفته يمثل ملوك العرب وأمراءهم، وأصدرت اللجنة العربية العليا بيانا بذلك في ٣٠ آب جاء فيه: «إن اللجنة العربية العليا ستعرض الأمر على الأمة بواسطة لجانها القومية في مؤتمر عام لأخذ رأيها والحصول على موافقتها، وستستمر الأمة في إضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بهما، رافعة الرأس، راسخة الإيمان، رزينة، إلى أن تصل هذه المفاوضات إلى النتيجة المرغوبة التي تحفظ لهذه الأمة الباسلة كيانها وتنيلها حقوقها، وتوصلها إلى أمانيها إن شاء الله».

وتبلورت أسس الوساطة على الشكل التالي(٥٥):

أولا: تصدر اللجنة العربية العليا بيانا للشعب بوقف الإضراب وأعمال العنف.

ثانيا: توقف الحكومة الهجرة اليهودية مؤقتا حتى تأتي اللجنة الملكية وتضع تقريرها.

ثالثا: تقوم حكومة العراق بالسعي لدى بريطانيا لإنجاز مطالب شعب فلسطين المشروعة، سواء ما كان منها يتعلق بأساس القضية أو ما كان منها ناشئا عن الإضرابات.

رابعا: تصفية الثورة على أساس:

أ . إلغاء الغرامات .

ب. وقف عمليات التفتيش.

(٥٥) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٥ عام ١٩٨٨ ،ص٣٣

جـ. إطلاق سراح المعتقلين.

د. العفو العام عن المتهمين بحوادث الثورة.

وعلى أثر إعلان هذه الأسس، أعلن وزير المستعمرات في كتاب أرسله للدكتور «وايزمن» تضمن مايلي: «إن المندوب السامي لم يوافق على أية شروط مثل هذه، كما أن الحكومة لا تعرف شيئا، وفوق ذلك فانه لا توجد اية معلومات، بأن المندوب السامي فوض نوري السعيد لأن يعد بالخطوات التي ستلي وقف الإضطرابات وعلى الأخص فيما يتعلق بوقف الهجرة، إن الحكومة والمندوب السامي لم يفوضا نوري السعيد لأن يتوسط في حل مشكلة فلسطين...».

وكان لهذا الكتاب آثار هامة جدا، فهو من الناحية الأولى، أنهى هذه المرحلة في الوساطة. ومن الناحية الثانية، رجح كفة الرافضين لوقف الثورة وأكد صحة موقفهم. كما أخمد إلى حين بوادر الإنشقاق في الموقف الوطني الفلسطيني.

ومع ذلك استمرت نشاطات الحكومة والجيش البريطاني لإقناع العرب بوقف الثورة، ووزعت لهذا الغرض سلسلة من النشرات المسمومة لتفريق الصفوف، وشق الشعب إلى فلاح ومدني، ومجلسي ومعارض.

نداء الملوك والأمراء العرب:

على الرغم من إصرار بريطانيا على سياستها وعدم تقديم أية تنازلات للملوك والأمراء العرب، وعدم تلبية أي اقتراح لهم مهما كان بسيطا مثل (وقف الهجرة اليهودية مؤقتا أثناء وجود اللجنة الملكية في فلسطين)، فقد استأنف الملوك والأمراء العرب اتصالاتهم باللجنة العربية العليا لفلسطين لإقناعها بوقف

الثورة والإضراب. وعلى الرغم من المعارضة الشعبية الواسعة لوقف الإضراب والثورة فقد رضخت اللجنة العربية العليا إلى الضغوط العربية ومهدت لذلك باتصالات وبيانات ونشاطات لإقناع الشعب والثوار بضرورة إيقاف الثورة والإضراب، وكان أكثر هذه النشاطات والحجج تأثيرا في أوساط الشعب القول: «إننا سنوقف الثورة مؤقتا، لأخذ فترة من الراحة والإستعداد، وإذا جاءت قرارات اللجنة الملكية على غير ما نريد نعود إلى استئناف الثورة(٥٦).

وعلى أثر هذه الوساطة صدر نداء موحد الصيغة بتوقيع (عبد العزيز) أذيع في ٨ تشرين الأول (أكتوبر)١٩٣٦ من السعودية، وآخر بتوقيع (غازي) صدر في بغداد في ٩ تشرين الأول. وبتوقيع (عبد الله) في عمان بتاريخ ٩ تشرين الاول ايضا.

اما نص النداء فهو: «القدس بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا..»

الى ابنائنا عرب فلسطين:

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم الى الاخلاد الى السكينة حقنا للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم(٥٧).

بيان اللجنة العربية العليا:

على اثر صدور النداء اذاعت اللجنة العربية العليا البيان التالي(٥٨):

---

(٥٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٥ عام ١٩٨٨ ،ص٣٤

(٥٧) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص٢٠٨

(٥٨) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٥ عام ١٩٨٨ ،ص٣٥

قررت اللجنة العربية بالاجماع وبعد استشارة مندوبي اللجان القومية والحصول على موافقتهم باتفاق الاراء ان تلبي نداء اصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الامير بالبيان المنشور اعلاه، وان ندعو الامة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطراب ابتداء من صباح يوم الاثنين الواقع في ٢٦ رجب ١٣٥٥هـ وفق ١٢ تشرين الاول اكتوبر سنة ١٩٣٦ وان يبكر افراد الامة الكريمة في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء، ورفع الشكر لله تعالي على ما الهمهم من صبر وجلد، ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم المعتادة، والله ولي التوفيق.

وكانت ابرز ظاهرة في ذلك اليوم الاستجابة الفورية الكاملة فقد انهيت جميع مظاهر الاضراب وتوقفت الاعمال العسكرية فورا بشكل لفت انظار الجميع وكان قد مضى على هذا الاضراب ١٧٦ يوما وعلى الثورة المسلحة ١٦٤ يوما، ونزل الجيش البريطاني الى الشوارع بدون سلاح يغني ويرقص ويسكر وكأنه في ايام عيد رأس السنة وينادي على الناس ويسلم على من يراهم في الشوارع.

كان هذا هو الموقف العام والمظهر العام الا انه كانت هناك تساؤلات كثيرة وشكوك كثيرة في صحة الموقف وما قد يسفر عنه هذا التصرف، ولم يلبث البعض ان استأنف الاعمال العسكرية.

وبعد وقف الاضراب والثورة سارع القاوقجي والقادة والمتطوعون الذين جاءوا من البلدان العربية، الى مغادرة فلسطين عن طريق شرقي الاردن عائدين الى بلدانهم في ١٩٣٦/١٠/١٣ ورؤي تجنبا لغدر الانجليز وملاحقتهم ان يلجأ الى سوريا ولبنان والعراق كبار قادة الثورة وكان من بينهم عبد القادر الحسيني وعبد الرحيم الحاج محمد وحسن سلامه وعبد الحليم الجولاني وعشرات غيرهم.

الفصل الثامن

المرحلة الثانية من ثورة ٣٦-١٩٣٩

مرحلة الصراع السياسي والجهاد المنظم

- تقديم
- وصول اللجنة الملكية (لجنة بيل) الى فلسطين
- قرار اللجنة الملكية وتوصياتها
- رفض التقسيم
- نشاط اللجنة العربية العليا
- العمليات العسكرية في المرحلة الثانية
- اغتيال اندروز حاكم لواء الجليل
- نشاطات مضادة للثورة
- القوات البريطانية في مواجهة الثورة
- محاولة اعتقال المفتي

الفصل الثامن

المرحلة الثانية من ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩

مرحلة الصراع السياسي والجهاد المنظم

تقديـــم:

بدأت المرحلة الثانية من الثورة في شهر تشرين الاول ١٩٣٦ وانتهت في شهر ايلول ١٩٣٧، فبعد صدور بيان الملوك والامراء العرب، والدعوة الى وقف الاعمال القتالية، تم وقف الثورة وفك الاضراب وانصرف الفلسطينيون الى الحياة العادية وانطلقوا يحاولون ترميم اوضاعهم الاقتصادية التجارية والصناعية والزراعية في حين لجأت القيادة السياسية الى بذل اقصى الجهود للبقاء على وحدة الصف وتوعية الشعب وتحذيره من تقلبات سياسية ومؤامرات اجنبية جديدة، وفي الوقت نفسه طغى على هذه المرحلة في اشهرها الاولى طابع الصراع السياسي بين العرب واعدائهم وانطلقت اللجنة العربية العليا لفلسطين تعد العدة للدفاع عن قضية فلسطين ومطالب اهلها امام اللجنة الملكية البريطانية للتحقيق(لجنة بيل).

اما الاعمال القتالية فمع انه تم الاعلان عن وقفها، الا انها لم تتوقف توقفا كليا، وقد اعترفت المصادر البريطانية بذلك ولاحظت حالة من الهدنة المسلحة، عمت البلاد، فالمناطق التي انتشر فيها الثوار بقيت تحت سيطرتهم، واستمرت العمليات ذات الطابع الفردي كعمليات النسف والقنص والاغتيالات السياسية وقطع وسائل المواصلات بمختلف انواعها.

وعاش قادة الثورة حالة من الترقب والقلق بانتظار نتائج تحقيقات اللجنة

الملكية (لجنة بيل) ولم يسقطوا من حسابهم الخيار العسكري ولذلك فقد حافظوا على درجة معينة من التوتر في جميع انحاء فلسطين حتى يسهل الانتقال منها الى الثورة وخوض القتال الفعلي عند الضرورة(١).

ومن المظاهر التي برزت في هذه المرحلة التركيز على العمل العسكري في الريف ووقوع عدد من الحوادث وتطور الاوضاع في شهر تموز عام ١٩٣٧ ووصول الثورة الى ذروتها بالعمل الثوري المنظم، مما ادى الى استئناف الثورة في تشرين الاول ١٩٣٧.

وصول اللجنة الملكية (لجنة بيل) الى فلسطين:

أذاع المندوب السامي البريطاني في مساء ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ رسالة جاء فيها(٢):

١. الاعراب عن سروره بوقف الاضراب والثورة.

٢. ان اللجنة الملكية ستصل يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٦.

وفي ٥ تشرين الثاني ١٩٣٦ القى وزير المستعمرات البريطاني (اورمسبي غور) بيانا في مجلس العموم البريطاني حول اللجنة الملكية جاء فيه:

١. ان حكومة جلالته لا يمكن ان تفكر في تغيير سياستها المتعلقة بفلسطين بأي وجه من الوجوه الا بعد استلامها تقرير اللجنة الملكية والنظر فيه.

٢. نظرت حكومة جلالته بامعان فيما اذا كان من المقتضى توقيف الهجرة مؤقتا او عدم توقيفها اثناء قيام اللجنة الملكية بالتحقيق فقررت انه ليس هناك ثمة اسباب اقتصادية، او اسباب اخرى تبرر هذا التوقف المؤقت.

---

(١) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول، ص٦٣٤

(٢) مذكرات بهجت ابو غربية: مجلة القدس الشريف- العدد ٤٥ عام ١٩٨٨، ص٣٥-٣٦

وعلى اثر صدور هذا البيان قررت اللجنة العربية العليا مقاطعة اللجنة الملكية واذاعت في ٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ بيانا استنكرت فيه بيان وزير المستعمرات واعتبرته تحديا شديدا لعواطف العرب وعدوانا علي حقوقهم ودليلا على فقدان حسن النية في حل القضية العربية في فلسطين حلا صحيحا .

ووصلت اللجنة الملكية في يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٣٦ واقتصر استقبالها على الانجليز واليهود ، واقيمت لها حفلة في قصر المندوب السامي قاطعها العرب ايضا .

وفي ١٢ تشرين الثاني ارسلت اللجنة العربية كتابا الى رئيس اللجنة الملكية رحبت فيه بقدومه، وانها لا تشك في نزاهته واخلاصه هو واعضاء اللجنة الا ان بيان وزير المستعمرات كان حجر عثرة في سبيل تعاون العرب مع اللجنة.

وفي ١٦ تشرين الثاني بدأت اللجنة اعمالها بالاستماع الى شهادات اليهود ورؤساء الدوائر الحكومية الانجليز.

وكان رأي الملوك والامراء العرب - اياهم - مخالفا لرأي اللجنة العربية العليا بشأن مقاطعة اللجنة الملكية واصروا على وجوب الاتصال بها ولذلك ارسلت اللجنة العربيا العليا وفدا ليسشرح وجهة نظرها الى ملكي السعودية والعراق وعاد الوفد يحمل كتابا من كل منهما جاء فيه:

(... بالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب، فقد رأينا ان المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية) .

وعند عودة الوفد عقدت اللجنة العربية العليا اجتماعا في ٦ كانون الثاني(يناير)١٩٣٧ وبعد الاستماع الى كتابي الملكين قررت قبول مبدأ الاتصال باللجنة الملكية، وفي يوم ١٢ كانون الثاني ١٩٣٧ حضرت اللجنة

العربية العليا بكامل هيئتها امام اللجنة الملكية والقى الحاج امين الحسيني رئيس اللجنة بيانا عاما حول القضية الفلسطينية تضمن مايلي:

١. عرضا للقضية الفلسطينية وسياسة بريطانيا تجاهها.

٢. حدد اسباب الاضطراب بمايلي:

أ. حرمان العرب في فلسطين من التمتع بحقوقهم الطبيعية والسياسية.

ب. اصرار الحكومة البريطانية على اتباع سياسة في فلسطين ترمي الى انشاء وطن قومي يهودي في هذه البلاد العربية.

٣. حدد المطالب العربية بمايلي:

أ. العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة، التي نشأت عن وعد بلفور واعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها، والتي الحقت الاضرار والاخطار بكيان العرب وحقوقهم.

ب. ايقاف الهجرة اليهودية ايقافا تاما وفوريا.

ج. منع انتقال الاراضي العربية الى اليهود منعا باتا وحالا.

د. حل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان بانهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري تتمثل فيه جميع العناصر الوطنية ويضمن للجميع فيه العدل والتقدم والرفاه.

اما شهادات اليهود فاهمها شهادات وايزمن وبن غوريون وجابوتنسكي (٣).

وقد جاء في شهادة وايزمن «*المقصود من وعد بلفور اعادة ارض يهوذا لليهود واعادة اليهود الى ارض يهوذا*» وقال «*عندما سئلت في مؤتمر الصلح من قبل المستر لانسنغ ما هي الغاية من الوطن القومي اليهودي قلت:هي بناء وطن في فلسطين يكون يهوديا كما ان انجلترا انجليزية*».

وجاء في شهادة بن غوريون «*ان اليهود في فلسطين ليس بفضل الوطن القومي انما هم هنا بفضل حقهم الطبيعي وان حق اليهود في فلسطين ليس مشتقا من صك الانتداب ولا من وعد بلفور انه يسبقهما، ان التوراة هي صك الانتداب وحقنا قديم قدم الشعب اليهودي وما تصريح بلفور وصك الانتداب الا اعتراف بهذا الحق*».

وجاء في شهادة جابوتنسكي «*انما اعني بفلسطين حين اذكرها جميع المساحة التي تقوم على ضفتي نهر الاردن الشرقية والغربية، ان فلسطين تتسع الى ١٢ مليونا او ١٨ مليونا، اجل اننا نريد ان نقيم دولة، اما شرق الاردن فليس في قرار عصبة الامم حولها ما يمنع من ادخالها في منطقة الاستعمار اليهودي، بصرف النظر عما يجب ان تتخذ تدابير مؤقتة لادارة غير مباشرة لوقت ما*».

وطالب بفتح ابواب شرق الاردن للتغلغل اليهودي وتشكيل فرقة عسكرية يهودية.

وقد استمعت اللجنة الملكية الى (٧١) شاهدا منهم ١٤ عربيا و٢٠

---

(٣) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٥ عام ١٩٨٨ ،ص٣٧

انجليزيا و٣٧ يهوديا وجمعت من الاوراق والمستندات ما ملأ(١١) صندوقا وطرح اعضاؤها في مناسبات شتى فكرة تقسيم فلسطين. ويقول وايزمن « *ان عضوا من اعضاء اللجنة الملكية طلب لقاءه، واختار وايزمن ان يكون اجتماعهما في مستعمرة (نحلال) بين الناصرة وحيفا، وان هذا العضو بسط له انه وزملاءه يقدرون الجهود التي يبذلها اليهود في فلسطين، وانهم يرون التوصية التي سيضعونها في تقريرهم لا تستوي بوجه من الوجوه مع المطالب الحقة والعادلة التي يطلبها الشعب اليهودي ولا مع الالتزامات التي في عنق بريطانيا لليهود، وان خطة التقسيم هي بمثابة نقطة تحول او انتقال من دور الى دور وهي تتضمن من الوسائل ما يتمكن به اليهود من ان يتوسعوا توسعا عظيما في المستقبل في فلسطين* »(٤).

استمرت تحقيقات اللجنة الملكية ستة اشهر وانهت أعمالها في اواخر كانون الثاني ١٩٣٧ وعادت الى لندن حيث عكفت على اعداد تقريرها.. وفي اواخر حزيران ١٩٣٧ اشارت الانباء الخارجية الى ان اللجنة الملكية ستوصي بتقسيم فلسطين الى دولتين دولة عربية ودولة يهودية على ان تضم الدولة العربية الى شرق الاردن، فاذاعت اللجنة العربية العليا لفلسطين بيانا على الشعب اكدت فيها رفضها للتقسيم، ودعته الى مقاومته، وفي مطلع شهر تموز ١٩٣٧ عمت فلسطين مظاهرات صاخبة ضد التقسيم ووقعت اصطدامات دامية بين العرب والاعداء في نابلس ويافا والقدس وعكا(٥)، وازدادت معارضة رئيس اللجنة العربية الحاج امين الحسيني للسياسة البريطانية واخذ يستعد لاستئناف الثورة.

---

(٤) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين، ص٢٢١

(٥) الموسوعة الفلسطينية – المجلد الاول، ص٦٢٨

اما حزب الدفاع فقد اعلن في ٣ تموز ١٩٣٧ قرارا بالانسحاب من اللجنة العربية العليا واستقال رئيسه راغب النشاشيبي والسيد يعقوب فراج من اللجنة العربية العليا وبذلك تكرس الانقسام في الصف الفلسطيني ونجحت السياسة البريطانية في اجهاض ثورة فلسطين(٦).

قرار اللجنة الملكية وتوصياتها

صدر تقرير اللجنة الملكية الرسمي في القدس في ٧ تموز ١٩٣٧ وهو تقرير تاريخي وسياسي واقتصادي موسع وشامل وكان اهم ما احتواه هو طرحه مشروع التقسيم كفكرة وكإطار عام دليلا على امكانية تنفيذه ..

يقترح التقرير ان تكون الخطوة الاولى انهاء الانتداب القائم تمهيدا لتقسيم البلاد الى ثلاث مناطق، منطقة عربية تضم الى شرق الاردن، ومنطقة يهودية في الشمال والغرب، ومنطقة منتدبة (تبقى تحت الانتداب البريطاني) وتشمل هذه المنطقة الاماكن المقدسة (ما بين القدس وبيت لحم والناصرة)، ومن اجل ان يكون للدولة المنتدبة المقبلة منفذ على البحر فلا بد من ممر ينتهي في يافا ويشمل في طريقه اللد والرملة. اضافة الى ضرورة بقاء مدن حيفا وطبريا وصفد وعكا تحت ادارتها مدة من الزمن، وهكذا يتضح ان لبريطانيا في هذا المشروع حصة الاسد، واما الدولة اليهودية فتشمل اجود الاراضي الساحلية وتمتد من حدود لبنان الى المجدل عبر سهل مرج ابن عامر وبيسان والجليل، واما ما يتبقى من فلسطين فيعطى للدولة العربية وهو يشمل يافا وغزة وبئر السبع، والنقب والخليل ونابلس واجزاء من مناطق طولكرم وجنين وبيسان(٧).

---

(٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٥ عام ١٩٨٨ ،ص٣٨

(٧) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٣٦٣ .. عن تقرير اللجنة الملكية ، والبلاغ الرسمي رقم ٣٧/٩ في ٧ تموز ١٩٣٧

ومن اجل تحقيق التقسيم اوصى التقرير بوجوب تبادل السكان بين المنطقتين العربية واليهودية وترحيل عرب الجليل وعددهم(٢٢٥) الفا الى شرق الاردن.

وفي حالة تطبيق هذا التبادل يتضح انه لن يكون سوى عملية اجلاء للعرب فقط عن اراضيهم وبيوتهم وذلك لان عدد اليهود في القسم العربي لم يزد عن ١٢٥٠ كما ان اراضيهم لم تزيد على مائة الف دونم واما العرب في القسم اليهودي فيبلغ عددهم نصف السكان اي ثلاثمائة الف مواطن وهؤلاء يملكون ثلاثة اضعاف الاملاك اليهودية ومقدارها ثلاثة ملايين وربع مليون دونم(٨).

وقد اعلنت الحكومة البريطانية رسميا موافقتها على تقرير اللجنة الملكية وتبنيها لمشروع التقسيم واعلنت امام مجلس العموم البريطاني انها تتعهد بتنفيذ المشروع.

اما اليهود فقد احتجوا على الحدود التي رسمها المشروع واعتبروها غير مرضية ولكن وايزمان وافق عليها ، ووعد اورمسبي غور بان يبذل كل ما في وسعه لحمل المؤتمر الصهيوني على الموافقة على التقسيم ومساعدة البريطانيين على اجلاء العرب عن منطقة الجليل ونقلهم الى شرقي الاردن.

رفض التقسيم:

ذكرنا ان تقرير اللجنة الملكية وتوصياتها بتقسيم فلسطين اعلن يوم ٧ تموز١٩٣٧ وان الحكومة البريطانية واليهود وافقوا على ذلك. اما العرب فقد رفضوا بشدة اقامة دولة يهودية فوق ارض فلسطين العربية وعقدت اللجنة

(٨) دروزة ، عزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ج٣ ، ص١٥٥

العربية العليا لفلسطين في ١٩٣٧/٧/٩ اجتماعا طارئا اشترك فيه ممثلون عن اللجان القومية تقرر فيه رفض العرب للتقسيم وللسياسة البريطانية الجديدة ، واذاع رئيس اللجنة بيانا على الشعب يدعوه فيه الى التمسك بالمطالب الوطنية ومقاومة التقسيم بعناد وتصميم حتى يقضى عليه، وعمت فلسطين المظاهرات والاصطدامات وتبين للحكومة ان الشعب الفلسطيني سيعود الى السلاح والجهاد (٩).

وقامت اللجنة العربية العليا بمناشدة الحكام العرب والعالمين العربي والاسلامي وطلبت منهم التضامن مع الفلسطينيين وابلغت رفضها لعصبة الامم رسميا واشارت الى ان اللجنة الملكية نفسها قد اكدت في تقريرها ما سبق للجنة العربية العليا ان اكدته مرارا من ان استمرار الانتداب غير قابل للتنفيذ وطلبت من عصبة الامم الغاء الانتداب البريطاني لتحل محله دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن مصالحها المعقولة كما تضمن مصالح الاقلية اليهودية(١٠).

نشاط اللجنة العربية العليا:

قامت اللجنة العربية العليا في هذه الفترة بنشاط متعدد، فمن هذا النشاط:

١. بعثت اللجنة العربية العليا عدة وفود سياسية ودينية الى اوروبا وامريكا والبلاد العربية والاسلامية للدعاية لقضية فلسطين وشرح موقف اهلها من التقسيم واسباب رفضهم له.

(٩) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص١٢٩

(١٠) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٨٩ ،ص٣٩

٢. ونشطت اللجان القومية والمنظمات الرياضية والكشفية والثقافية في حقل التوعية الوطنية وإعداد الشعب للاقبال على استئناف الجهاد في الوقت الذي يعلن فيه.

٣. وكانت قيادة الثورة الفلسطينية واثقة بان الاعداء لن يتخلوا عن سياستهم ولن يرجعوا عن مؤامراتهم كما كانت مقتنعة بان لامناص من استئناف الثورة لاكراه بريطانيا على تلبية مطالب العرب، وانطلقت تعمل لذلك بسرية وكتمان.

٤. وعمل المسؤولون خلال هذه المرحلة على إعادة تنظيم المجاهدين وتدريبهم ومدهم بالعتاد والسلاح، وتنظيم جباية مستقرة لدعم الجهاد، وعملوا على إعادة تشكيل اللجان الوطنية في البلاد العربية لجمع المال والسلاح والعتاد.

٥. وأوفدوا عددا من أبطال الجهاد وكبار قادته إلى العراق والمانيا حيث التحقوا بدورات عسكرية في المعاهد العسكرية وتلقوا تدريبا خاصا على إعداد المتفجرات والألغام وحرب العصابات.

العمليات العسكرية في المرحلة الثانية:

على الرغم من إعلان إنهاء الإضراب والثورة رسميا في١٢ تشرين الثاني عام ١٩٣٦ من أجل إفساح المجال لحضور اللجنة الملكية، إلا أن أعمال المقاومة المسلحة لم تتوقف تماما أثناء وجود اللجنة في فلسطين، فقد جرت عشرات الإصطدامات المسلحة بين العرب وبين الجيش واليهود، وجرى اغتيال عدد من عملاء الإستعمار وكبار المسؤولين البريطانيين. وبحسب ما جاء في بيان للحكومة البريطانية للبرلمان عن عدد الإصابات في الأشهر الثلاثة الأولى من سنة ١٩٣٧ كان عدد القتلى من جميع الأطراف (٣٧) قتيلا بينهم ٢٩ عسكريا بريطانيا وواحد من موظفي الإدارة العامة البريطانية. أما الجرحى فبلغوا (١٤٩) جريحا بينهم ١٣ جريحا من الجيش والبوليس.

ومن الحوادث الهامة أثناء وجود اللجنة الملكية في فلسطين[١١]:

* إطلاق النار على المستر (فرادي) مساعد مدير بوليس الناصرة في ٦ نيسان ١٩٣٧.

* اغتيال الضابط حليم بسطة نائب مدير بوليس اللواء الشمالي يوم ١٥ نيسان ١٩٣٧.

* ومحاولة اغتيال المستر (سبايسر) مدير الأمن العام لجميع فلسطين يوم ١٣ حزيران ١٩٣٧ بإطلاق النار علي سيارته في وسط مدينة القدس، مما أدى إلى عزله عن منصبه.

وقد أحصى التقرير السنوي للإدارة البريطانية عمليات المقاومة في عام ١٩٣٧ على الشكل الآتي[١٢]:

نوع العمليات	عددها
هجمات ضد معسكرات ومراكز الجيش والشرطة	١٠٩
هجمات ضد المستعمرات الصهيونية	١٤٣

(١١) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٨٩ ،ص٣٩

(١٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٥

هجمات ضد منازل يملكها البريطانيون	٢
عمليات نسف سكك حديدية	٥
عمليات قطع خطوط البرق والهاتف	٨٢
عمليات نسف طرق	١
هجمات على مصالح حكومية	٣
هجمات على املاك صهيونية	١٨
عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال ضد الجيش والبوليس	٦٦
عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال ضد اليهود	٨٢

وقد بلغ مجموع العمليات العسكرية التي قام بها الثوار في فلسطين سنة ١٩٣٧(٥١١) عملية سقط فيها ٢٧٦ قتيلا عدا عن خسائر الثوار[١٣].

وقد وصلت تلك العمليات الى ذروتها عندما نجحت احدى خلايا القساميين العاملين في المنطقة الشمالية، بعد محاولتين سابقتين في اغتيال حاكم منطقة الجليل لويس اندروز يوم ١٩٣٧/٩/٢٦ وقتل مفتش الشرطة حليم بسطه في وقت سابق، ويعني ذلك ان قادة الثورة عاشوا حالة من الترقب بانتظار نتائج تحقيقات اللجنة الملكية، ولم يسقطوا من حسابهم الخيار العسكري.

(١٣) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٨٩ ،ص٤٥

اغتيال اندروز حاكم لواء الجليل

بعد اعلان قرار التقسيم تطورت الاوضاع في فلسطين بشكل سريع، واخذت الحكومة البريطانية تتمادى في اتخاذ التدابير والاجراءات الضرورية لتنفيذ قرار التقسيم مهما كلفها الامر، ونظرا لاهمية لواء الجليل(شمال فلسطين) بالنسبة الى مشروع التقسيم الذي قرر ان يكون القسم الاكبر منه ضمن الدولة اليهودية فان الحكومة عينت احد غلاة الاستعماريين البريطانيين وهو لويس اندروز حاكما للواء الجليل، واطلقت يده للعمل على ما يراه لازما لتنفيذ التقسيم، وكان اندروز من اقدم موظفي حكومة الانتداب واعرفهم بشؤون البلاد واهلها وهو معروف بالنشاط واتقان اللغة العربية.

سعى اندروز بكل الوسائل ومختلف الأساليب لحمل العرب على القبول بالتقسيم، وبذل جهودا ضخمة لاقناعهم بفوائده ومزاياه .. لكنه لم ينجح في مهمته، فحنق عليهم وراح يتخذ اقسى الاجراءات واعنف التدابير ضدهم، ثم رأى ايجاد (جو) في المنطقة يكره العرب على الاستسلام لسياسة الحكومة، فاتفق مع القادة اليهود ومنظماتهم السرية الاجرامية على ارهاب العرب وتخويفهم فانقض الارهابيون اليهود على العرب بسلسلة من الاعتداءات المسلحة الاجرامية، وانطلقوا ينسفون الممتلكات ويحرقون المزارع العربية.

وتركت اعمال اليهود الاجرامية اسوأ الاثر في الاوساط العربية وضاعفت من حدة المقاومة الفلسطينية للتقسيم ، ونقم العرب على اندروز واعتبروه المسؤول الاول عن تعرضهم للاعتداءات اليهودية الارهابية(١٤).

واندروز هذا كان من الحكام الانجليز الذين اشتهروا بتجبرهم وطغيانهم وشدة حرصهم على محاباة اليهود ، وله دور ضليع في تمليك الاراضي لليهود وسلبها من اصحابها العرب ، ابتدأ عمله مساعدا لحاكم لواء القدس فشدد

---

(١٤) الغوري ، اميل: فلسطين عبر ستين عاما . الجزء الثاني ،ص١٥٢

قبضته على الصحف العربية ومنعها من التحريض ضد اليهود ، وحينما قررت الحكومة القيام بمشروع انشائي برأسمال مليون جنيه جعل اندروز هذا المشروع وكرا لليهود واقنع الحكومة بالغاء الجزء المخصص لمساعدة العرب المطرودين من اراضيهم.

وعين اندروز فيما بعد ضابط اتصال امام اللجنة الملكية البريطانية فقدم للصهيونية خدمات كبيرة مما حدا باليهود للسعي لدي الحكومة لترقيته فعين حاكم لواء . وحين تم التعيين امضى في السكان العرب نفيا وسجنا وطبق على كثير منهم قانون الطوارىء وقانون منع الجرائم ، واصدر امرا اداريا بتجديد سجن عدد من جماعة الشهيد عز الدين القسام عاما اخر بعد انتهاء مدة الحكم الاصلي ، اما في مجال الاراضي فقد كان اندروز صاحب اليد الطولى في انتزاع اراضي وادي الحوارث من يد العرب واجلائهم عنها وتسليمها لليهود بالقوة.

وفيما كان اندروز يضاعف جهوده ومساعيه لتنفيذ قرار التقسيم ويمعن في اضطهاده للعرب ، وبسبب هذا السجل الحافل في الاجرام حكم القساميون عليه بالاعدام ، وقام المجاهدان الشيخ محمد نجي ابو جعب من(قباطيه) والشيخ محمود الديراوي من(ديرابوضعيف) باغتيال "اندروز" ومرافقه البريطاني "جوردون" احد مساعدي حكام الالوية في يوم ١٩٣٧/٩/٢٦ في مدينة الناصرة امام الكنيسة الانجليكانية وجاء اغتياله على الرغم من وجود حراس مسلحين معه(١٥).

والاهم من عملية الاغتيال هو ان المجاهدين استعدوا للنتائج، فسرعان ما انتشروا في الجبال يتصدون للدوريات وللبوليس باشتباكات مسلحة ولم يمض بضعة اسابيع حتى توزع المسلحون في عصابات منظمة وابتدأوا عملياتهم الثورية في المنطقة الشمالية، ومنطقة المثلث الذي دعته السلطة بمثلث الرعب لشدة ما جابهت فيه من صمود وبطولات.

(١٥) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص٢٣٢

نشاطات مضادة للثورة:

كانت الاندفاعة الثورية عام ١٩٣٧ لدى جماهير الشعب الفلسطيني اشد عنفا من تجربة العام المنصرم وذلك بسبب الخبرات المكتسبة وبسب ازدياد وضوح التناقض القائم بين اطراف الصراع، وقد صعدت بريطانيا اعمالها العدوانية القمعية وضاعفت بطشها بالعرب اثر اغتيال اندروز وما تبعه من احداث محاولة القضاء على مقاومتهم للتقسيم فاعلنت حالة الطواريء في البلاد وانطلق المسؤولون عن الحكم يعتقلون الالوف من العرب ويطبقون انظمة الطواريء وقوانين الدفاع على القرى العربية بقسوة متناهية.

كما اتخذت الحكومة اجراءات قمعية قاسية ضد المواطنين فطوقت القوات البريطانية قراهم ودمرت الكثير من بيوتهم واعتقلت ابناءهم وفرضت عليهم غرامات باهظة ولم تكن هذه الاجراءات القمعية جديدة او مفاجئة للشعب الفلسطيني فقد اعتادها منذ ايام الاضراب، ولذلك لم تحقق تلك الاجراءات رغم قسوتها وشراستها سوى المزيد من الاصرار على الاستمرار في الثورة حتى تحقيق المطالب العربية المشروعة .

وكان اليهود قد قاموا خلال شهري اذار ونيسان ١٩٣٧ بسلسلة من الاعمال الارهابية الاجرامية ضد بعض القرى العربية فرد عليهم العرب فورا واجبروهم على الاقلاع عن اعتداءاتهم، وفسر العرب هذه الاعمال الصهيونية الارهابية بانها جرت بتوجيه من بريطانيا لتخويف العرب وارهابهم ودفعهم الى القبول بقرار التقسيم عند صدوره.

ومن اخطر النشاطات المضادة التي قامت بها حكومة الانتداب ضد الثورة هو تمكنها من شق الصف العربي الداخلي قبل استئناف الثورة في اواخر عام ١٩٣٧ ففي الوقت الذي رفض فيه العرب تقسيم فلسطين، اتضح ان جميع الاحزاب والجماهير الفلسطينية كانت ترى ضرورة استئناف الثورة، باستثناء

حزب الدفاع الذي كان فخري النشاشيبي انشط قادته فقد كان على خلاف مع الحزب العربي الفلسطيني، بل ومع باقي الاحزاب قبل اعلان قرار التقسيم، فقد كان يرى ضرورة الاستجابة الى دعوة بريطانيا لايقاف الاضراب والثورة من اجل حضور اللجنة الملكية الى فلسطين، وعندما حضرت اللجنة عارض في قرار مقاطعتها الذي اعلنته اللجنة العربية العليا، واعلن قادة هذا الحزب انهم سيمثلون امام اللجنة الملكية خلافا لقرار اللجنة العربية العليا، مما اثر على موقفها وجعلها تقرر المثول امام اللجنة الملكية استجابة لطلب الملوك والامراء العرب وتفاديا للانقسام.

الا ان الانقسام وقع اخيرا فقبل اعلان القرار باربعة ايام اي في ٣ تموز ١٩٣٧ اعلن حزب الدفاع قراره بالانسحاب من اللجنة العربية العليا واستقال رئيسه راغب بك النشاشيبي، والسيد يعقوب فراج من اللجنة العربية العليا، وبذلك تكرس الانقسام في الصف الفلسطيني ونجحت النشاطات السياسية البريطانية الرامية الى اجهاض الثورة وضربها من داخلها وعندما اعلن قرار اللجنة الملكية بالتقسيم يوم ٧ تموز ١٩٣٧ عرف ان حزب الدفاع وافق على التقسيم ولكنه لم يجرؤ على اصدار بيان صريح يعلن موافقته على المشروع بسبب رد الفعل الشعبي الشديد ضد المشروع(١٦).

وقد اتسع الانقسام فيما بعد بشكل خطير وكان من الأسباب الرئيسية لإجهاض الثورة بعد استئنافها، وهكذا كانت النشاطات السياسية البريطانية اخطر واضر من فعاليات الجيش البريطاني والقوات الصهيونية.

بالإضافة الى ما ذكر فقد قام الانجليز بعدة نشاطات اخرى مضادة للثورة اذكر منها(١٧):

---

(١٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٨٩ ،ص٤٠

(١٧) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤١ عام ١٩٨٨ ،ص٣٥ والعدد ٤٦ ، عام ١٩٨٩ ، ص٤٤

١ . عمليات نسف وغرامات وعقوبات جماعية ، ومثل هذه العمليات لا تعد ولا تحصى وكأمثلة عليها نذكر مايلي: نسف عدد من دور مدينة اللد وغرامة ٥٠٠٠ جنيه وفي الخليل سبع دور وغرامة ٣٠٠٠ جنيه وفي نابلس ١١ دارا وغرامة ٥٠٠٠ جنيه، ومثل ذلك في غزة والمجدل وبيت لحم وخان يونس وقلقيلية وصفد ، اما القرى التي جرت فيها اعمال النسف فلا يمكن حصرها نذكر منها : اندور ، سنجل ، ترمسعيا ، بلعا ، عنبتا ، صانور ، كفد اللبد ، عين كارم ، بلد الشيخ ، السافرية ، بيت فجار ، بيت حنينا ، جبع ، ذنابه ، عاقر ، ابو شوشه ، دير استيا ، العيزرية ، حمامة ، الحميدية ، مرار ، سمخ ، المغار ، مجدل كروم ، عتيل ، الجاعونه وعين الزيتون. .الخ.

وفرضت غرامات مالية على اكثر من ٢٥٠ قرية فرض عليها ان تدفع نقدا وعينا مثل الخراف والبقر والخيل والدجاج والبيض والحبوب الخ.

٢ . العمل على عزل الثورة عن محيطها العربي ، فقد عملت السلطات البريطانية في شرقي الاردن بقيادة بيك باشا قائد الشرطة وقوات البادية بالتعاون مع قوة حدود شرقي الاردن التي كان قادتها ضباط انجليز ، عملوا علي جعل شرقي الاردن منطقة عازلة لحصر الثورة في فلسطين ، فكانت هذه القوات تقوم بمنع او عرقلة تحرك الثوار من والى فلسطين وخصوصا ، على الطرق المؤدية الى دمشق حيث كانت الدوريات العسكرية تشتبك بالسلاح مع كل مسلح فلسطيني او عربي ومع كل من يحاول ادخال السلاح الى فلسطين ، كما كانت تعمل على منع شباب شرقي الاردن خاصة من الالتحاق بالثورة وكان ذلك يجري باساليب ووسائل متعددة منها عرقلة التنقل بين فلسطين وشرقي الاردن وترحيل كل اردني يقبض عليه في فلسطين ، ومنها اعتقال اقارب من يعلمون انهم التحقوا بالثورة واجبار شيوخ عشائرهم على اعادتهم كي تفرج السلطة عن اقاربهم المعتقلين ، ومع ذلك فقد انضم عدد من شباب السلط واربد وقراها الى الثورة بالاضافة الى غيرهم من المتطوعين.

٣ . العمل على تخريب الثورة من الداخل ، فقد نشطت السلطات البريطانية بوسائل متعددة على نشر اخبار ملفقة واشاعات كاذبة وشن حرب نفسية للتشكيك في القيادة الفلسطينية ومن ذلك انها قيادة (افندية) ولا يشترك فيها الفلاحون وذلك من اجل ايجاد انقسام (فلاح، مدني) وكانت تطلق الاشاعات عن فلان أو فلان كذبا بانه جاسوس للانجليز، وتشكيك الاخ في وطنية أخيه، كما قامت السلطة بالفعل بدس بعض الجواسيس على الثورة، هذا بالاضافة إلى النشرات المتعددة التي كانت توزعها السلطات للتشكيك في الثورة وانه لا فائدة منها .

وكان من جراء هذه الاساليب الخبيثة أن اتسع الانقسام في صفوف الشعب بشكل خطير وقام رجال من حزب الدفاع بتشكيل قوات مسلحة في القرى سميت (فصائل السلام) وسلحت باسلحة الانجليز لمقاومة الثوار ومنعهم من الدخول الى بعض القرى .

٤ . كان رجال البوليس العرب متعاطفين جدا مع الثورة و احيانا مشاركين ، ولذلك لم تعد السلطات الاستعمارية تعتمد عليهم ، فجلبت من بريطانيا اعدادا كبيرة من الانجليز وجندتهم في سلك البوليس ، كما انها انشأت ما سمي بالبوليس الاضافي العربي، فجندت في هذه القوات الحثالات من اصحاب السوابق والسكارى والحشاشين والساقطين من سكان المدن وجعلت منهم عيونا لها ، واطلقت لهم العنان للتعدي على افراد الشعب واذلالهم سواء في ذلك في المدن او القرى، واصبح الشعب يعتبرهم خونة اخطر واقذر من الانجليز .

القوات البريطانية في مواجهة الثورة،

كانت القوات البريطانية التي تتمركز في فلسطين عند اشتعال الثورة في ١٦/٤/١٩٣٦ كالتالي[١٨]:

اولا - سلاح الجو الملكي: مركز قيادته العامة في القدس بقيادة مارشال الجو بيرز القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الاردن، وقد قسمت مناطق عملياته الى اربع مناطق، الشمالية والوسطى والجنوبية والاردنية، وقد تألف سلاح الجو من سرب الطائرات القاذفة غير الكامل رقم (٦) بقيادة قائد الجناح ر.ب مانسيل ومركزه قاعدة الرملة الجوية، كما وضع بامرته سرية مدرعة ينقصها فصيل بالاضافة الى السرب غير الكامل رقم ٤ وفصيل بقيادة الكابتن (د. هارس) ومركزه عمان.

ثانيا- القوات البرية : كان الكولونيل ايفيتش يقود القوات البرية البريطانية في فلسطين ومركزه القدس، وقد لوحظ عدم وجود اي ضابط برتبة جنرال طوال فترة الاضراب تقريبا وحتى تسلم الليفتانت جنرال (جون ديل) في شهر ايلول ١٩٣٦، اما توزيع القوات البريطانية في البلاد فكان على الشكل التالي:

حيفا كتيبة ينقصها فصيل بقيادة الليفتانت كولونيل رالستد

نابلس - فصيل واحد

القدس : كتيبة ينقصها سرية ، بقيادة اليفتانت (سيمنز)

صرفند سرية واحدة

القدس وحيفا ، سرية الصيانة الملكية رقم ١٤

---

(١٨) الرضيعي ، يوسف رجب ، ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٨٤

وقد بلغ عدد عناصر المشاة ٥٦ ضابطا و١٦٨٧ جنديا ، اما سرية الصيانة الملكية فقد تألفت من ٤ ضباط و١١٦ جنديا.

قوات الحدود الاردنية:

كان مركز قيادتها مدينة الزرقاء في الاردن، وتألفت من سرية خيالة مركزها الزرقاء، وسريتين اخريين توزعتا بين جسر المجامع وروشبينا (الجاعونة شرق الجليل الاعلى) وسمخ وبيسان كما اشتلمت القوات على سرية ميكانيكية في الزرقاء واخرى في معان، وبذلك يكون عدد عناصرها ٢٤ ضابطا بريطانيا و٢٨ ضابطا محليا و٩ ضباط صف بريطانيين و٨٣٥ جنديا محليا.

وبالاضافة الى هذا العدد كان هناك ١٨٠ جنديا عربيا اخرين يعملون كقوة احتياط ويدربون لمدة اسبوعين سنويا، وبذلك يصبح عدد القوات البريطانية العاملة في فلسطين وشرق الاردن بالاضافة الى سربين من الطائرات وسرية مدرعة وثلاثة الاف شرطي هو١١٢ ضابطا و٢٢٢٧ ضابط صف وجنديا بمن فيهم قوة الاحتياط وسرية الصيانة الملكية.

وفي يوم ١٩٣٦/٧/٢٧ الذي صادف مرور مائة يوم على بدء الاضراب كتب الفايس مارشال (بيرز) لقيادته:

«ان القوات التي تعمل تحت قيادتي لم تعد قادرة على سحق التمرد بالسرعة المطلوبة ولذلك اطلب ارسال كتيبتي مشاه محمولتين على الاقل ليصبح كل لواء مشكلا من اربع كتائب، بالاضافة الى كتيبتي احتياط وفوج خيالة مفرزين للمهمات المحدودة، وخاصة في مناطق الاردن وبئر السبع».

ويضيف الفايس مارشال (بيرز) قائلا« *لقد بات من الضروري حتى يعود الهدوء بسرعة الى البلاد وضع فرقة كاملة مؤلفة من ثلاثة الوية بما فيها القوات*

الموجودة اصلا في البلاد والتي يبلغ عددها ١٠٣٨٩ ضابطا وجنديا بما فيها القوات الجوية، تحت تصرف القائد العام اضافة الى السرب ٣٣ القاذف المتمركز اصلا في قاعدة الاسماعيلية بهدف تكثيف عمليات القصف»(١٩).

وبعد وصول تلك التعزيزات اصبح عدد افراد الجيش البريطاني في نهاية فترة قيادة الفايس مارشال بيرز فرقتين كاملتين، الفرقة الاولى والخامسة ويبلغ تعداد افرادهما حوالي ١٥ الف جندي منتشرين من رفح في اقصى الجنوب حتى صفد في الشمال، يضاف اليهم رجال الشرطة الفلسطينية وهم خليط من العرب والانجليز واليهود، وقد قدر عددهم بستة الاف رجل وقوة الحدود الاردنية وقدر عددها باربعة الاف بين ضابط وجندي ورجل شرطة(٢٠).

وعلى اثر فشل استراتيجية (بيرز) التي اعتمدت اساسا على سلاح الطيران وعلى الاعداد الضخمة من جنود المشاة، قررت الحكومة البريطانية استبداله بالجنرال جون ديل الذي ينتمي الى سلاح المشاة كما قررت اتخاذ اجراءات اكثر صرامة في التعامل مع الثوار، وتقرر ارسال فرقة مشاة اضافية كاملة للعمل الى جانب القوات الاخرى في تنفيذ تلك الاجراءات.

وصل الجنرال جون ديل يوم ١٩٣٦/٩/١٣ الى حيفا ثم غادرها بالطائرة الى القدس ومن ثم تسلم القيادة يوم ١٩٣٦/٩/١٥، وقد جعل همه الاول اعادة تنظيم القوات المسلحة التي اصبحت بعد وصول التعزيزات من كل من بريطانيا ومالطا ومصر والهند كالاتي(٢١):

---

(١٩) الرضيعي ، يوسف رجب ، ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٩١

(٢٠) السفري ، عيسى : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص١٧

(٢١) الرضيعي ، يوسف رجب ، ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، ص٩٢

الفرقة الاولى:

بقيادة الميجر جنرال (ارميتاج) ، منطقتها الانحاء الجنوبية من فلسطين ومركزها القدس وتتكون من الالوية التالية:

١. لواء المشاة الاول بقيادة البريجادير (ثورن) وميدان عملياته منطقة القدس

٢. لواء المشاة الثاني بقيادة البريجادير (كار) وميدان عملياته منطقة يافا

٣. لواء المشاة الثالث بقيادة البريجادير (ماركسي) وميدان عملياته منطقة القدس.

الفرقة الخامسة:

بقيادة الميجر جنرال (هوارد) وميدان عملياتها الانحاء الشمالية ومركزها حيفا ، وتتكون من الالوية التالية:

١. لواء المشاة الثالث عشر مع قوة حدود شرق الاردن بقيادة البريجادير (بريستمان) وميدان عملياته منطقة الناصرة.

٢. لواء المشاة الخامس عشر بقيادة البريجادير بومان ، وميدان عملياته منطقة حيفا

٣. لواء المشاة السادس عشر بقيادة البريجادير ايفنس وميدان عملياته منطقة نابلس

كما تمركزت في حيفا كتيبة الهوسار الحادية عشرة وجنود السكك الحديدية بقيادة اللفتيننت كولونيل (اترسوف) وثلاث كتائب اخرى.

وفي القدس مركز لقوات الطيران الملكية في فلسطين وشرق الاردن بقيادة كومودور الطيران (هيل).

وكانت هذه القوات البريطانية المنتظمة الكبيرة مضافة الى القوات الاخرى التي كانت تعسكر قبلا في فلسطين والى قوات البوليس البريطاني وقوة حدود شرق الاردن، كانت كلها معدة لمحاربة الثورة العربية الفلسطينية التي طال الصراع معها في قوة وفي عنف(٢٢).

والى جانب القوات البريطانية قرر اليهود ان يقفوا الى جانب حكومة الانتداب وان يقاتلوا معها بفعالية ضد العرب، وبالتعاون بين الوكالة اليهودية والهاجناه من جهة والسلطات البريطانية من جهة اخرى انشئت قوة عسكرية يهودية سميت (حرس المستعمرات) بلغ تعدادها من١٤-٢٠ الف جندي وضابط، سلحها الانجليز ودربوها، كما انشئت قوة عسكرية خاصة(بريطانية-يهودية) سميت (الفرقة الليلية الخاصة)دربت للقيام بعمليات خاصة ضد القرى العربية والاسواق التجارية العربية المزدحمة في المدن(٢٣).

وهذه القوات الضخمة التي استقدمتها القيادة البريطانية سببت خللا واضحا وخطيرا في ميزان القوى، بالنظر الى ضآلة عدد قوات الثورة المتفرغة للقتال الذي لم يزد في يوم من الايام على ثلاثة الاف ثائر. واصبح من المتوقع ان يكون القتال شديدا وقاسيا نظرا لرغبة كل من الطرفين في فرض شروطه على الطرف الاخر، فالطرفان اكتسبا خبرة اوسع في ممارسة القتال في الجبال وحرب العصابات، واصبح الطيارون البريطانيون اكثر خبرة في طلعاتهم القتالية في الاماكن الجبلية المأهولة، بالاضافة الى البدء في شق الكثير من الطرق العسكرية.

---

(٢٢) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص١٩٩

(٢٣) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٩٨ ،ص٤٣

محاولة اعتقال المفتي:

كان المفتي قد ارسل وفودا الى الدول العربية عام ١٩٣٧ لتبحث معها تقرير اللجنة الملكية (لجنة بيل) الذي يوصي بتقسيم فلسطين وذهب بنفسه على رأس وفد منها الى الحج ليلتقي بوفود العالم الاسلامي ويشرح لهم القضية الفلسطينية، وفي اثناء غياب المفتي كتب الحاكم العسكري العام الى حكومته يطلب منها تأييده من اجل ابعاده عن البلاد، لان الامن العام لا يمكن ان يستتب مع وجود المحرض الاكبر الحاج امين، خاصة انه لا بد ان يعود من الحج وقد ارتفعت مكانته وهيبته، الا ان الحكومة لم توافق على هذا الطلب خشية ان يقال بان الحكومة لجأت الى الحيلة لابعاد المفتي حالما ترك البلاد لمهمة دينية ومن ناحية اخرى خشيتِ من ان يؤدي ابعاده في تلك الظروف الى ارتفاع مكانته في الدول العربية.

ومع ذلك لم يستبعد وزير الخارجية على الاطلاق ابعاد المفتي مبدئيا وقد اقترح بانه حينما يتم التنفيذ فيجب ابعاده الى مكان بعيد كجزيرة سيشل مثلا، وذلك لان وجوده في المنطقة العربية يبقى عاملا دائما في اثار الدعاية ضد بريطانيا وقد وافق مجلس الوزراء على رأي وزير الخارجية(٢٤).

ان فكرة ابعاد المفتي قد نشأت قبل ذلك في اثناء الاضراب في تشرين الاول ١٩٣٦ وقد جرت مراسلات بين المندوب السامي ووزير المستعمرات بشأنها الا ان تفكير الرجلين آنذاك لم يتعد الاساليب القانونية في امكانية عزله عن رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى كخطوة اولى، الا انه بعد صدور تقرير اللجنة الملكية وتصميم الحكومة على تنفيذ التقسيم اتجهت سياستها نحو القوة والبطش بالمفتي وبكل من يتعاون معه.

---

(٢٤) الحوت ، بيان نويهض: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ، ص٣٧٠

وقد نشرت جريدة التايمس الانجليزية في ١٦ تموز ١٩٣٧ مقالا جاء فيه:

(ان المفتي هو العقبة الوحيدة امام حل القضية الفلسطينية والتفاهم مع اليهود ولولا الخوف من محمد امين الحسيني لظهر كثير من المعتدلين الذين يمكن التفاهم معهم، فيجب على الحكومة البريطانية الا تترك الساحة خالية لنشاطه بل عليها ان تقيله من مناصبه وخاصة من رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى، وان تبطش به وبالفريق المتصلب العنيد من المتطرفين)(٢٥).

ولما قتل اندروز اتخذ الانجليز من مقتله مبررا لتدمير القيادة الفلسطينية، واعتبروا الحاج امين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا مسؤولا عن الحادث واذاعت الحكومة البريطانية بيانا رسميا اعلنت فيه انها تعتبر الحاج امين الحسيني مسؤولا عن اشعال نار الثورات وتوجيه اعمال التمرد والعصيان والارهاب وان اللجنة العربية العليا لفلسطين مشاركة في اعمال العنف والارهاب، وعقبت الحكومة بحل اللجنة العربية العليا لفلسطين واللجان القومية في البلاد وباعتبارها منظمات غير مشروعة، كما قررت عزل المفتي من رئاسة المجلس الاسلامي الشرعي الاعلى، وعينت لادارة المجلس لجنة ثلاثية برئاسة (كركبرايد) البريطاني.

وحاولت الحكومة اعتقال رئيس واعضاء اللجنة العربية العليا فلم تستطع الوصول الى الحرم الشريف، ولكنها القت القبض على اربعة من اعضاء اللجنة هم:

حسين فخري الخالدي، احمد حلمي عبد الباقي، فؤاد سابا، يعقوب الغصين، ونفتهم مع بعض الزعماء الوطنيين الاخرين، ومنهم رشيد الحاج ابراهيم الزعيم المعروف في حيفا الي جزر سيشل اما بقية اعضاء اللجنة العليا فقد استطاعوا الاختفاء داخل فلسطين ثم الانتقال سرا الى لبنان.

---

(٢٥) صفحات من مذكرات السيد محمد امين الحسيني ، نشرة فلسطين ، العدد٧٤ ، ايار ١٩٦٧،ص٩

كذلك اعتقلت الحكومة معظم اعضاء اللجان القومية و٨١٩ شخصا من العلماء وقضاة الشرع والوعاظ والاطباء والتجار والمحامين والصحفيين وغيرهم، فضلا عن مئات اخرين قبضت عليهم اثر اغتيال اندروز(٢٦).

وتوترت الحال في فلسطين، واشتدت المقاومة رغم تدابير السلطة واجراءاتها وشددت الحكومة الحصار على الحرم الشريف وضاعفت مراقبتها للمفتي وتحركاته وشددت مساعيها لاعتقاله، لكن الحاج امين استطاع الخروج سرا من المسجد الاقصى وتمكن من مغادرة فلسطين في اليوم الرابع عشر من تشرين الاول ١٩٣٧ بالرغم من جميع الاحتياطات البريطانية ووصل الى بيروت في ١٧ تشرين الاول١٩٣٧(٣٧).

وبعد مدة من وصول المفتي الى لبنان استأنف نشاطه السياسي وغدت بيروت مقرا للجنة العربية العليا لفلسطين.

استطاع الحاج امين رغم المراقبة الشديدة التي فرضها عليه الفرنسيون في لبنان، ان ينشر بيانا في الصحف العربية اكد فيه رفضه لمشروع التقسيم وتمسكه المطلق بمطالب الشعب المعروفة ودعا فيه الشعب الفلسطيني الى مقاومة السياسة البريطانية ومحاربة مشروع التقسيم حتى القضاء عليه، ووزع هذا البيان في داخل فلسطين يوم ١٩٣٧/١٠/٢٩ فاعتبره الفلسطينيون دعوة الى استئناف الثورة المسلحة، واستؤنفت الثورة فكانت مرحلتها الثالثة.

---

(٢٦) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٠

(٢٧) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٨٩ ،ص٤٢

الفصل التاسع

المرحلة الثالثة من ثورة ٣٦-١٩٣٩

مرحلة تصعيد الثورة .. وتراجعها وتوقفها

- **تقديم.**
- **اللجنة المركزية للجهاد.**
- **قيادة الثورة.**
- **استئناف الثورة.**
- **أوج الثورة سنة ١٩٣٨.**
  * اغتيال «موفات» الحاكم العسكري لمدينة جنين.
  * أسعار للمجاهدين.
- **احتلال المدن.**
  * الهجوم على مدينة بئر السبع.
  * تحرير مدينة القدس القديمة.
  * الإغارة على طبريا.
- **نماذج من بيانات الجهاد.**
- **العمليات العسكرية.**
- **المعارك الهامة في المرحلة الثالثة من الثورة.**
  * معركة عرتوف.
  * معركة عرابة البطوف.
  * معركة أم الفحم الأولي.
  * معركة اليامون الكبرى.
  * معركة بني نعيم الكبرى.
  * معركة صانور الثانية.
- **انحسار الثورة ونهايتها سنة ١٩٣٩.**
- **نتائج الثورة وتقييمها.**

الفصل التاسع

المرحلة الثالثة من ثورة ٣٦-١٩٣٩

مرحلة تصعيد الثورة .. وتراجعها وتوقفها

تقديم:

بدأت المرحلة الثالثة من الثورة في شهر تشرين الأول ١٩٣٧ وانتهت في شهر أيلول من عام ١٩٣٩ . وقد تميزت هذه المرحلة بالحقائق التالية:

- لم تعد القدس المركز الرئيس للقيادة الوطنية، إذ انتقل نشاط اللجنة العربية العليا والكثيرين من أعضاء اللجان القومية إلي بيروت فغدت هي المركز الرئيس للقيادة الوطنية الفلسطينية.

ولاعتبارات كثيرة، وظروف سياسية مختلفة، اختيرت دمشق لتكون مركزا ومصدرا لتموين الثورة ومد المجاهدين بالسلاح والعتاد والمال. وتألفت للقيام بهذه المهمة لجنة ذات طابع سري من عدد من السوريين والعراقيين والفلسطينيين. وكانت هذه اللجنة تصرف أعمالها وتقوم بواجباتها بتنسيق وتعاون وثيقين مع اللجنة العربية العليا لفلسطين في بيروت.

- اقتصرت أعمال الجهاد في داخل فلسطين في هذه المرحلة على الفلسطينيين أنفسهم. فقد تولى جيش الجهاد المقدس الفلسطيني والمجاهدورن القساميون وغيرهم من الفلسطينيين مهمة الجهاد والقتال وحدهم. فلم تدخل فلسطين قوات شعبية منظمة من الخارج - مثل قوات فوزي القاوقجي وسعيد العاص والشيخ محمد الأشمر- ولكن بعض أبناء شرق الأردن والعراق وسوريا ولبنان ومصر دخلوا فلسطين والتحقوا بقوات المجاهدين بقيادة عبد القادر

الحسيني.

أما اللجان التي تشكلت في مصر والعراق والأردن وسورية ولبنان والمغتربين. فإنها واصلت أعمالها في دعم الثورة المستأنفة.

- كانت معارك الثورة في مرحلتها الثالثة أشد عنفا وتركيزا من معارك المرحلة الأولى. وكانت أكثر اتساعا حتى شملت كل بقاع فلسطين. وقد ظهر قادة جدد للمجاهدين، ولا سيما في المناطق الشمالية لفلسطين. أبلوا بلاء حسنا في التنظيم والقتال وحرب العصابات. وكانت الكفاءة في القتال والتنظيم في هذه المرحلة أقوى وأبرز من المرحلة الأولى. كما كانت المقاومة في داخل المدن أكثر حدة وشدة من المقاومة التي ظهرت في المدن خلال المرحلة الأولى للثورة، فقد توالت عمليات اغتيال موظفي الحكومة الإنجليز والمتعاونين مع السلطة وباعة الأراضي والسماسرة والجواسيس، واشتدت هجمات المقاومة على دوائر الحكومة وتدميرها وإحراقها (١).

وقد وقعت في البلاد معارك عسكرية كبيرة كان بعضها يستمر بضعة أيام بين المجاهدين والجيش البريطاني، واتخذت هذه المعارك طابع المعارك الحربية. كما قام المجاهدون بهجمات عسكرية على المدن، وتمكنوا من احتلال بعضها ورفع العلم العربي مكان العلم البريطاني. ومن المدن التي احتلها المجاهدون: القدس القديمة، وعكا، وبير السبع، والخليل، وبيت ساحور، والمجدل، والفالوجة، وجنين، ولم يخرجو منها إلا بعد معارك ضارية مع القوات البريطانية. وتمكّن المجاهدون من السيطرة التامة على أكثر من نصف مساحة فلسطين (الريف والبادية) ومن التحكم الكامل بطرق المواصلات الرئيسية طوال مدة الثورة.

(١) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٠

- اتسعت في هذه المرحلة الهجمات الفلسطينية المركزة على المستعمرات الصهيونية. ولاسيما في لواءي القدس وغزة ومرج ابن عامر، وتكبدت هذه المستعمرات خسائر مادية فادحة، في حين هلك الكثيرون من حراسها اليهود ومن أفراد المنظمات العسكرية الصهيونية الإرهابية.

ولوحظ خلال هذه المرحلة من الثورة قيام المجاهدين بأعمال النسف والتدمير وتفجير المتفجرات في الأوساط الصهيونية والدوائر الرسمية بشكل دل على أنهم قضوا المرحلة الثانية وهم يتدربون على هذه الأعمال.

- لم يضرب الشعب الفلسطيني في المرحلة الثالثة كما أضرب في المرحلة الأولى للثورة، وهذا سهل للشعب بذل الجهود والقيام بالأعمال لدعم المجاهدين ومساعدتهم، ومكّن قيادة الثورة من الحصول على المعلومات والأنباء عن مساعي الحكومة وتحركات قواتها المسلحة، وتحركات المنظمات الصهيونية الإرهابية.

- حدثت خلال هذه الفترة أحداث وتطورات سياسية ودبلوماسية هامة سواء على المستوى الدولي أو في المجال العربي والإسلامي.

فعلى المستوى الدولي، انكشف الستار عن تأييد الولايات المتحدة الأمريكية، رئيسا وحكومة، وشعبا للصهيونيين والإنتداب البريطاني وحرصها على أن تتوفر أسباب الدفاع الحقيقي عن الكيان اليهودي في فلسطين كما كان قائما يومئذ، ومساهمتها الفعالة في دعم العصابات الصهيونية المسلحة، والإضطلاع بدعاية عالمية لصالح الصهيونيين ومخططاتهم.

وفي المجال العربي والإسلامي، فقد ثار الرأي العام العربي بخاصة والرأي العام الإسلامي بعامة، وتوثب شعور العرب والمسلمين لتأييد ثورة فلسطين والعمل لصالح القضية الفلسطينية. وقد أدت ثورة الرأي العام العربي إلى

توحيد الصف في الدول والأوساط العربية، ووقوفها كلها إلى جانب الميثاق الوطني الفلسطيني وما اشتمل عليه من مطالب. وكذلك قضت الثورة على ما كان قائما بين الدول العربية من اختلاف وتباين رأي بشأن قضية فلسطين وكيفية حلها..

كما دخلت الدول العربية فريقا اساسيا ومباشرا في قضية فلسطين والدفاع عنها، وقد برزت هذه الحقيقة في دعوة الحكومة البريطانية الدول العربية للمساهمة في الجهود المبذولة لتسوية قضية فلسطين، وللاشتراك الى جانب الوفد الفلسطيني في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن عام ١٩٣٩(٢).

ومن الأحداث والتطورات السياسية والدبلوماسية الهامة خلال المرحلة الثالثة للثورة اضطرار بريطانيا تحت ضغط الثورة والجبهة الفلسطينية الداخلية الموحدة وتأثير الرأي العام العربي والإسلامي، إلى العودة للإعتراف باللجنة العربية العليا لفلسطين، ودعوتها للإشتراك في مؤتمر المائدة المستديرة السابق ذكره بوصفها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني.

كما اضطرت بريطانيا، بعد عجزها عن القضاء على الثورة، وتعاظم الخسائر التي تكبدتها القوات البريطانية على أيدي المجاهدين، إلى العدول عن قرار التقسيم (تقرير لجنة بيل) وعقد مؤتمر المائدة المستديرة للبحث في الوصول إلى حل للقضية الفلسطينية.

اللجنة المركزية للجهاد:

عندما بدأت المرحلة الثالثة للثورة، كان المفتي وبعض أعوانه في لبنان

---

(٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣١

يهيئون لمساندة الثورة. وفي تلك الفترة تم تكوين اللجنة المركزية للجهاد من: المفتي، والشيخ حسن أبو السعود، ومنيف الحسيني، وإسحاق درويش في لبنان. وعزة دروزة ومعين الماضي في دمشق[٣].

وقامت اللجنة المركزية بتوجيه الثورة وإمدادها بالمال والسلاح والمتطوعين، وأخذت تجهز بعض البارزين من المجاهدين وتسيرهم إلى فلسطين ليتولوا قيادة الحركة الجهادية في مرحلتها الجديدة، وتنشىء الصلات بين من بقي منهم في فلسطين وتمدهم بما تستطيعه من مال وسلاح، وتبذل جهودها في سبيل الحصول على التبرعات من مختلف البلاد العربية من أجل ذلك.

وقد تعاونت «لجنة الدفاع عن فلسطين» والمجاهدون السوريون كل التعاون مع اللجنة المركزية، وخاصة في المساعدات المادية وحماية رجال الثورة من عيون الفرنسيين، وعلي الرغم من أنه كان شبه واضح أن السلطة الفرنسية تغض الطرف إلى حد ما عن نشاط الثوار وتنقلاتهم انتقاما من السلطة البريطانية التي سبق لها وغضت الطرف عن النشاط الفلسطيني المؤيد للثورة السورية سنة ١٩٢٥، فإن اللجنة المركزية وأصدقاءها آثروا السرية التامة في العمل.

واستمر الإشراف والتنسيق بين اللجنة المركزية في دمشق بإشراف السيد محمد عزة دروزة - والقيادات المحلية في فلسطين طوال فترة الجهاد التي دامت تسعة أشهر، وذلك من ربيع ١٩٣٨ وحتى نهاية السنة.

قيادة الثورة:

تولى القيادة في هذه المرحلة عدد من القادة البارزين الذين ارتبطوا

---

(٣) دروزه، عزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، الجزء الاول ص٢٠٩

بأوثق الصلات بالفلاحين والقرى التي كانت تقع ضمن مناطق عملياتهم.. وكان من الصعب توحيد القيادة داخل فلسطين وبناء التنظيمات المسلحة على شكل هرمي في بداية تلك الفترة، وذلك بسبب التكافؤ والتعادل بين القادة الكبار، وقد أدى هذا الواقع إلى تعدد القيادات في المناطق، إلا أنه بفضل تعاون زمرة من القادة القساميين الذين اعتادوا على العمل المنظم وعلى فوائد الوحدة القيادية أمكن تشكيل قيادة عليا شملت المناطق الشمالية في طبريا وصفد وعكا والناصرة وقسما من منطقة نابلس، وكان زعيم هذه القيادة أبو إبراهيم الكبير (خليل العيسى)، وأبرز أعوانه أبو إبراهيم الصغير (توفيق الإبراهيم)، وأبو علي (سليمان العبد القادر)[٤]. والشيخ عطية أحمد (قائد في منطقة جنين)، والشيخ يوسف أبو درة (في منطقة جنين)، والشيخ فرحان السعدي الذي قبض عليه يوم ١٩٣٧/١١/٢٣ وأعدم يوم ١٩٣٧/١٢/٢٣ بعد محاكمة قصيرة في شهر رمضان.

وبالإضافة إلى قيادة المناطق الشمالية كانت في فلسطين أربع مناطق رئيسية أخرى ، وهي:

- المنطقة المتوسطة، وتشمل لواء نابلس، وقد ضمت أربع قيادات.
- منطقة القدس.
- منطقة الخليل.
- منطقة اللد.

وكان أبرز قادة هذه المناطق: عبد الرحيم الحاج محمد، وعارف عبد الرازق في منطقة المثلث. وعبد القادر الحسيني قائد قوات الجهاد المقدس في منطقة

(٤) ياسين صبحي ، الثورة العربية الكبرى في فلسطين ٣٦-١٩٣٩

القدس، وعبد الحليم الجولاني فيّ منطقة الخليل. والشيخ حسن سلامة في منطقة اللد(٥).

وأما في مناطق بئر السبع وغزة والمجدل فلم توجد قيادات مسؤولة لعدم وجود قادة تمكنوا من فرض أنفسهم، وكان الثوار في مثل هذه الحالات يستمدون التموين والتوجيهات من أقرب القيادات إليهم.

وعلى الرغم من تعدد القيادات في بداية هذه المرحلة فإن ارتباط كل منها باللجنة المركزية استمر قائما. وهذا الإرتباط كان من أبرز عوامل استمرار الثورة في قوة رائعة من البسالة والشمول. كما كان من الأسباب الرئيسية التي دفعت اللجنة المركزية على إسناد القيادة العامة لجميع قوات الثورة في فلسطين عام ١٩٣٨ للقائد عبد الرحيم الحاج محمد، وبهذا ارتبط جميع القادة بقيادة عامة واحدة.

استئناف الثورة:

نشطت الإتصالات والإستعدادات لاستئناف الثورة المسلحة ، وعلى أساس أن لا يصاحب ذلك إضراب في المدن لشدة ما سببه الإضراب من إرهاق شعبي سنة ١٩٣٦. وتشكلت اللجان الشعبية من جديد وشعر الإنجليز بهذا الغليان والإستعداد للثورة. وقامت اللجنة العربية العليا بنشاط سياسي على مستوى الوطن العربي لتأييد الموقف الفلسطيني وإشعار بريطانيا بخطورة ما هي مقدمة عليه، وعقد مؤتمر شعبي في بلودان ضم (٤١١) مندوبا عربيا من مصر والعراق وسوريا ولبنان وطالب المؤتمر بإلغاء وعد بلفور وإلغاء الإنتداب وإيقاف الهجرة اليهودية وإعلان استقلال فلسطين.

---

(٥) دروزة ، عزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ج٣ ،ص٢٠٦-٢٠٩ ومذكرات بهجت ابو غربية ، مجلة القدس الشريف العدد٤٦ ، ص٤٤

أما السلطات البريطانية التي كانت متأكدة من أن الثورة ستنفجر قريبا فقد بدأت باتخاذ اجراءات عسكرية جديدة لسحق الثورة، وفي ١٢ أيلول ١٩٣٧ عين اللفتننت (ويفل) قائدا عاما للجيش البريطاني في فلسطين خلفا للجنرال (ديل).. وأعلنت الأحكام العرفية وشكلت محاكم عسكرية وضعت لها قوانين وتعليمات شديدة الصرامة وشديدة العقوبات تصل إلى حد الإعدام، وقد صدرت فعلا أحكام كثيرة جدا بالإعدام على الثوار العرب صادق الجنرال ويفل عليها جميعا وجرى تنفيذها ورافق ذلك حملة واسعة من أعمال التعذيب الفظيع للمعتقلين أو المتهمين كانت تتولاها دائرة التحقيق الجنائية (C.I.D) بقيادة سيء الذكر «ركس»، وبهذا كان عهد الجنرال ويفل أشرس عهد للجيش البريطاني في فلسطين.

وخلال شهري تموز و آب١٩٣٧م، بدأت العمليات العسكرية الثورية تتسع وتنتشر في جميع أنحاء فلسطين على الرغم من أن رجال المفتي كانوا يطلبون من الثوار التريث من أجل «القيام بهجوم عام في يوم محدد قادم»(٦).

وفي خريف ١٩٣٧ عاد إلى فلسطين القائد عبد القادر الحسيني - بعد أن قضى فترة في لبنان وسوريا للعلاج من جراحه في معركة الخضر - ومعه مجموعة من الثوار قادمين من سوريا، واتخذ من جبال القدس ميدانا لنشاطه العسكري، متنقلا من قرية إلى قرية لإعادة تنظيم فصائل الجهاد المقدس في الجبال، كما نظم علاقته مع الثوار السريين في مدينة القدس، ثم قام بعدة هجمات على قوافل الجيش والمستعمرات اليهودية، وخاض معارك عديدة ضد قوافل الجيش البريطاني التي كانت تستخدم خط سكة الحديد الممتد بين القدس واللد، إلى أن اضطرت حكومة الإنتداب إلى إيقاف سير القطارات على هذا الخط، ومن أكبر المعارك التي خاضها في هذه الفترة معركة عرتوف.

---

(٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٨٩ ،ص٤٢

وفي أواخر شهر تشرين الأول ١٩٣٧ اتفقت جميع فصائل الثورة على القيام بهجوم عام، فتحركت مجموعات ثورة مسلحة في جميع أنحاء فلسطين، لشن هجمات عسكرية واسعة النطاق في يوم واحد، فجرت في منطقة القدس عدة هجمات على دوريات البوليس والجيش وأطلقت عليها النيران بغزارة بالقرب من الخليل، وهوجم قطار ينقل قوات بريطانية بنيران كثيفة جنوب غربي القدس، وأخرج أحد قطارات الركاب عن الخط ودمرت خطوط السكك الحديدية في عدة أماكن وقطعت خطوط الهاتف على نطاق واسع، ونسف خط أنابيب بترول العراق قرب نهر الأردن واشتعلت النيران في النفط المتدفق، وجرت في ضواحي القدس عدة هجمات على سيارات الركاب اليهودية وتعرضت مستعمرات كثيرة وخاصة في شمال فلسطين لإطلاق النار. وفي اليوم التالي هاجم فريق كبير من الثوار مطار اللد-أكبر مطارات فلسطين- فاحتلوه وأحرقوا مكاتبه ومكاتب جوازات السفر ومنشآت اللاسلكي إحراقا تاما. واصبحت قوات الحكومة التي تدخل القرى تتعرض لإطلاق النار، وهكذا انطلقت الثورة وانتشرت في كل مكان(٧).

وكان تجدد الثورة لطمة قوية للتقسيم وللمعتدلين من الفلسطينيين الذين أصبح نفوذهم في فلسطين ضعيفا جدا خصوصا عندما قررت الوزارة البريطانية في ٨ كانون الأول ١٩٣٧ مبدئيا أن تنفيذ قرار التقسيم غير عملي.

ومن الملاحظ ان المعارك التي استؤنفت في أواخر ١٩٣٧ اختلفت في أمور كثيرة عن تلك التي حدثت في فترات سابقة. إذ دارت علي مسرح عمليات مختلف عن الذي حدث في فترة الإضراب الكبير، والذي كان في جبال نابلس. فمنطقة الجليل بمسالكها وجبالها وغاباتها الكثيفة التي تغطي معظم

(٧) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٦ عام ١٩٨٩ ،ص٤٣

التلال أصبحت الميدان الرئيس للعمليات. لذلك أصبحت المعارك أقرب إلي الحدود منها إلى المناطق الداخلية في فلسطين بسبب الحاجة الماسة لاستمرار تدفق الأسلحة والذخائر عبر الحدود الأردنية والسورية واللبنانية، الحاجة الى أماكن مجاورة وأمينة يسهل الإلتجاء إليها وقت الضرورة وعند التطويق.

وهناك ملاحظة هامة اخرى هي أن القوات البريطانية بدأت تعمل من أجل استرداد زمام المبادرة ومحاولة التمسك بها، وبدت مصممة على استعادة السيطرة علي المناطق الخارجة عن سلطتها. لذلك خصص الجنرال ويفل القائد العام البريطاني الجديد قوات ضخمة مدربة على مقاومة حرب العصابات للعمل في هذا المجال. وقسمت تلك القوات إلى فصائل متحركة تقوم بأعمال الدوريات المستمرة والمنتظمة طوال أشهر السنة. ففي فصل الشتاء حيث يصعب التنقل والإتصال كانت الطائرات تمد تلك الفصائل بالأسلحة والذخائر والمؤن بالمظلات.

وبالمقابل كان المجاهدون أكثر وعيا وتدريبا من السابق، فلم يعد من السهل اصطيادهم. وبدا واضحا أنهم يملكون الحس الأمني، ولذلك عاشوا في يقظة دائمة وهم يحرسون أمكنة استراحتهم المؤقتة مهما بدت منيعة أو أمينة، كما أن المفارز المختلفة كانت أكثر وعيا لواجباتها ومهامها. وقد بدت سيطرة القادة تامة على قواتهم طوال مراحل القتال. كل ذلك ساعد على التغلب إلى حد كبير على النقص في الأسلحة ذات المستوى المتطور(٨).

أوج الثورة سنة١٩٣٨،

بلغت ثورة فلسطين الكبرى ذروتها سنة ١٩٣٨، حيث أخذت الثورة -مستفيدة من انشغال بريطانيا في أزمة ميونخ الأوروبية عام ١٩٣٨- تزداد عنفا نتيجة للتنظيم الجيد والخبرة الممتازة اللذين اكتسبتهما في المرحلة

(٨) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٥

السابقة، فامتدت سيطرة الثوار على معظم الطرق وعلى الكثير من المدن. وأظهروا نشاطا بارزا في مناطق الجليل وجنين ونابلس والمنطقتين الوسطى والجنوبية. ونجحوا في تدمير محطات السكك الحديدية الواقعة بين القدس واللد، وبين اللد والحدود الأردنية، وهاجموا أيضا معظم مراكز الشرطة، وقتلوا في أحدها الضابط (موفات) مدير شرطة جنين في مكتبه. وبحلول الصيف كان الثوار قد سيطروا تماما على معظم المناطق الجبلية في البلاد إلى درجة أنهم كانوا يسيرون في مدينة نابلس بحرية تامة في وضح النهار وبأسلحتهم الكاملة. ومما يدل على عنف الثورة ونجاحها النسبي انخفاض معدل الهجرة اليهودية الى عشرة الاف مهاجر في ذلك العام مقابل ٦٢ الف مهاجر يهودي دخلوا البلاد عام ١٩٣٠. وما اورده التقرير البريطاني لعام ١٩٣٨ عن الزيادة في نفقات الامن العام ، والعمليات التي قام بها الثوار والتي ركزت على اهداف اقتصادية ذات اهمية كبيرة بالنسبة الى بريطانيا وخاصة خط انابيب شركة النفط العراقي ، وقد بلغت تلك النفقات ٨٢٥ر٣٤٠ر١ جنيها استرلينيا عام١٩٣٨ في حين كانت نحو ٢٩٥ر٨٦٧ جنيها عام ١٩٣٧ و٢٧٦ر٦٤١ جنيها استرلينيا عام ١٩٣٦(٩).

يقول الاستاذ بهجت ابو غربية في مذكراته عن قوة هذه الثورة:

«بلغت ثورة فلسطين الكبرى اوجها صيف سنة ١٩٣٨ فقد ازدادت اتساعا وعنفا وتنظيما وسيطرت على مناطق واسعة من القرى والجبال وحتى بعض المدن اصبحت تحت سيطرة الثورة واصبح للثورة اجهزة تمارس الكثير من السلطات كالمحاكم واجهزة الامن وصارت تصدر اوامرها وتوجيهاتها للشعب وعلى سبيل المثال فقد اصدرت قيادة الثورة اوامر بوقف سداد الديون ، وانذار جباة الحكومة بعدم الذهاب الى القرى ومنع المتعهدين من التعهد للحكومة بشق

---

(٩) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٥

او تعبيد الطرق العامة او بناء مراكز البوليس كما ان قيادة الثورة امرت بعدم الاستجابة لاوامر السلطة التي قضت بضرورة حصول كل شخص على بطاقة هوية شخصية وانذرت كل شخص يحصل على هوية بالعقاب ، ولما كان سكان المدن يرتدون الطرابيش وسكان القرى يرتدون الكوفية والعقال وكان ذلك يكشف تنقل الثوار بين المدينة والقرية فقد امرت بان يرتدي جميع افراد الشعب الكوفية والعقال ، ونفذ هذا الامر وكانت له فوائد جمة».

وقد عبر الجنرال هاينيغ القائد العام للجيش الذي حل محل الجنرال (ويفل) بتاريخ ٩ نيسان١٩٣٨ عن الحالة الثورية في تلك السنة بقوله ان ما يجري هو. نتيجة لما اصبح الان روحا ثورية عميقة الجذور اجتاحت السكان العرب قاطبة وحفزتهم اليها الدعوة الي حرب مقدسة، ولقد بلغت سيطرة عصابات الثوار على جماهير الشعب حدا لم يعد معه ما يجانب الصواب ان يقال ان كل عربي في البلاد هو عدو كامن للحكومة مهما بلغت عواطفه الشخصية من الاعتدال(١٠).

ويروي المعاصرون لتلك الثورة احداثا لا تكاد تتكرر في غيرها من الثورات فقد بلغ من قوة الثورة انها كانت تصدر احكام الاعدام وتحدد ساعات تنفيذها ويتم كل ذلك برغم الاحتياطات والحراسات بل بلغ من قوة الثورة حدا مكنها من احتلال المدن والقرى ففي مايو ايار ١٩٣٨ احتل الثوار مدينة الخليل وقبلها كان الثوار قد احتلوا مدينة القدس القديمة ، وفي ٩ سبتمبر ايلول احتلوا مدينة بئر السبع واطلقوا سراح المساجين واستولوا على مراكز الشرطة وسلاح رجالها وفي ٥ اكتوبر احتلوا مدينة طبريا ومعظم سكانها من اليهود وقتلوا فيها اكثر من مائة وعشرين يهوديا(١١).

---

(١٠) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٩ عام ١٩٨٩ ،ص٣٧

(١١) زعيتر ، اكرم: القضية الفلسطينية ، ص١٢٥

اغتيال (موفات) الحاكم العسكري لمدينة جنين.

في عام ١٩٣٨ كان المجاهدون يكثرون من مهاجمة المعسكرات والثكنات والمطارات والقوافل العسكرية، ولجأ الانجليز الى اساليب القمع المتوحشة وجلبوا اربع فرق من اشد الجنود وزادوا عدد الشرطة حتى وصل عشرة الاف رجل ووصل عدد الشهداء الى الالاف، ومنهم ١٥٠ اعدمتهم المحاكم العسكرية.

وفي اواخر سنة ١٩٣٨ وصلت الثورة الى القمة وسيطرت على البلاد ما عدا المدن الكبرى، وبدأ المجاهدون يظهرون بين حين وآخر في المدن.

وكان يوسف ابو درّه القائد القسامي المعروف مسؤولا عن منطقة جنين فارسل مجاهدا من قرية قباطية اسمه علي احمد مصطفى(ابو عين) من آل ابو الرب لاغتيال «موفات» الحاكم العسكري لمدينة جنين، وفي صباح يوم ١٩٣٨/٨/٢٣ دخل المجاهد ابو عين الى مكتب «موفات» وكان في الدور الثاني من بناية الحكومة، وحاول الحرس منعه فاخبرهم ان معه خطابا يريد ان يسلمه لموفات بيده، فمنعوه من الدخول وفي اثناء ذلك سمع (موفات) الجدال الدائر بينهم، فامر الحرس ان يدخلوه، ولما دخل المكتب عليه اعطاه ورقة ليقرأها وفيها قرار من قيادة الثورة بالحكم عليه بالاعدام، ولما بدأ موفات بقراءة الورقة اخرج ابو عين مسدسه واطلق عليه الرصاص حتى اجهز عليه وخرج من مكتبه الى المكاتب الاخرى فوجد الجميع قد قفلوا ابواب المكاتب عليهم، ولم تجرؤ الشرطة التي كانت تقوم بالحراسة من الاقتراب منه وعندما خرج الى الشارع لم يستطع اي شرطي الاقتراب منه. وقامت القوات البريطانية بهدم بيوت كثيرة في مدينة جنين انتقاما لمقتل موفات وطوقت المنطقة باعداد كبيرة من الجنود وقوات الشرطة وتمكنت من القبض على المجاهد ابو عين بين اشجار الزيتون، وجرت له محاكمة سريعة وتم اعدامه.

وقد وردت هذه الحادثة في مذكرات الضابط البريطاني (جفري مورتون) والتي نشرتها جريدة الدفاع مسلسلة ابتداء من تاريخ ١٩٥٨/٨/٥ وكان مورتون وقتها يقيم في مدينة جنين حيث اسند اليه «سوندرسون» المفتش العام، مهمة خطيرة في مدينة جنين يقول مورتون:

"كانت الاضطرابات في فلسطين قد اتخذت اتجاها مغلوطا وتسلم شؤون الاضطرابات في جنين والشمال رجل اسمه يوسف ابو درّه بائع شراب العرق سوس في حيفا، وكان تاريخه اجراما في اجرام وكان لابي درّه مساعد اسمه يوسف حمدان، وكان موفات يقول انه هو العقل المفكر والمدبر من وراء ابي درّه".

أحدب وجريمة:

كانت مكاتب «موفات» مساعد الحاكم والقائمقام تقع في الدور الثاني من عمارة كبيرة مقابل الجامع في جنين، وكان مركز البوليس وسجن التوقيف يشغلان الدور الاول من تلك العمارة وكان يحرس مدخل العمارة شرطيان انجليزيان مسلحان لا يسمحان بالدخول لاي انسان قبل تفتيشه، اما في الليل فكان المدخل يغلق احكم اغلاق وخصصت للمستر موفات مساعد الحاكم بوليسا بريطانيا مدربا هو مورجان لا يفارقه نهارا ولا ليلا الي ان تتسلمه قوة الجيش التي كانت تعسكر في المحطة حيث كان موفات يأكل وينام.

وفي صباح١٩٣٨/٨/٢٣ جلست مع موفات في مكتبه نتباحث في شؤون الحالة وغادرت مكتبه الساعة الحادية عشرة والنصف تماما، ولما خرجت شاهدت مورجان واقفا بسلاحه على الباب، كما شاهدت بوليسيين مسلحين واقفين على باب العمارة، وكان مكتبي يقع على بعد ثلاثمائة ياردة من العمارة ولم اكد استقر في مكتبي حتى دخل مورجان ليقول لي ان المستر موفات قد نسي ان يقول كذا وكذا فشكرت مورجان وقلت له مع السلامة، وسمعت طلقات

نارية من مسدس تدوي داخل العمارة التي فيها مكتب موفات وموظفيه فاسرعت انا وعدد من رجال البوليس البريطاني ومعنا مورجان الى العمارة فوجدناها خالية خاوية، لان كل موظف هناك دخل غرفته واغلق عليه الباب وهرولت الى مكتب موفات فوجدته مغلقا فصرخت من ثقب باب المكتب وقلت موفات، موفات هل انت بخير؟ فسمعت صوتا كأنه خارج من القبر يقول لي: هل جئت يا مورتون؟ الحمد لله، ثم تحامل موفات على نفسه وفتح الباب ثم سقط على الارض في بركة من الدماء، واستدعيت الطبيب والقائد العسكري، وارسل موفات الى حيفا حيث توفي هناك.

اما ماحدث لموفات فهذه خلاصته، لم يكد مورجان يخرج حتى دخل فلاح احدب ابيض واطلق رصاصة على صدر موفات وخرج ثم عاد واطلق على موفات ست رصاصات اخرى وخرج وهنا تنبه موفات فتحامل على نفسه واغلق الباب واستطعنا ان نحصل على اوصاف القاتل بسرعة وجاء الجيش وطوق المكان، وشاهد احد افراد الجيش فلاحا احدبا يمر بين اشجار الزيتون في تلصص فامسك به واحضره الى البوليس وانحصرت كل الشبهات في ذلك الاحدب واسمه علي احمد مصطفى من قرية قباطية ودلت تحرياتنا فيما بعد على ان يوسف ابو درة اراد ان ينتقم من موفات فارسل علي مصطفى لاغتياله واعطاه مسدسا (١٢).

اسعار المجاهدين:

ومع الاجراءات العنيفة التي اتخذتها سلطات الانتداب البريطاني خلال عام ١٩٣٩ كانت مشغولة وقلقة باولئك النفر الذين لم تستطع اعتقالهم، وهم يربكون مخططها التهويدي كل يوم، ونثبت هنا واحدا من المناشير العديدة التي كانت تتلاحق من دار المندوب السامي دون جدوى في سبيل اعتقال ابناء فلسطين الذين يقودون الحركة الجهادية في مختلف ارجائها.

---

(١٢) مذكرات المستر جيفري مورتون : جريدة الدفاع في ١٩٥٨/٨/٥ والعابدي ، محمود : اوابد من التاريخ ، ص٢١٧-٢١٨.

(تعطي حكومة فلسطين مكافأة لكل من يقدم اخبارية تؤول مباشرة الى القبض على الاشخاص المذكورة اسماؤهم ادناه:

١- خليل محمد العيسى المكنى بابي ابراهيم - من حيفا	٥٠٠ جنيه
٢- عطيه احمد ،من بلد الشيخ	٥٠٠ جنيه
٣- عبد الرحيم الحاج محمد، من ذنابة	٥٠٠ جنيه
٤- يوسف سعيد ابو درّه، من سيلة الحارثية	٢٥٠ جنيه
٥- عارف عبد الرزاق، من الطيبة	٢٥٠ جنيه
٦- فوزي رشيد، من ترشيحا	٢٥٠ جنيه
٧- محمود سالم، من قباطيه	٢٥٠ جنيه
٨- فريد سعيد عبد الرحيم، من المزرعة القبلية	٢٥٠ جنيه
٩- محمد الاحمد الجلقموس، من جلقموس	٢٠٠ جنيه
١٠- محمد احمد القاسم ، من دير ابو ضعيف	٢٠٠ جنيه
١١- اسعد خليل السعدي، من المزار	٢٠٠ جنيه
١٢- ابراهيم عموري، من طولكرم	٢٠٠ جنيه
١٣- احمد محمد عبد القادر الطوبي ، من صفورية	٢٠٠ جنيه
١٤- صالح الحجيري، من حيفا	٢٠٠ جنيه

١٥- عيسى بطاط من الخليل ٢٠٠ جنيه

١٦- يوسف الحاج اسعد من عربونه ١٠٠ جنيه

١٧- توفيق الابراهيم من عين دور ١٠٠ جنيه

١٨- مسعود محمد العبد النصار من ام الزينات ١٠٠ جنيه

١٩- كامل الحسن اللبادي من اليامون ١٠٠ جنيه

٢٠- رئيس جماعة ابو حميد من ترشيحا ١٠٠ جنيه

٢١- عبد الله الشاعر من صفد ١٠٠ جنيه

وبهذه المناسبة تعلن الحكومة البريطانية بفلسطين عن مكافأة قدرها عشرة الاف جنيه لمن يرشد الى قاتل او قتلة المستر اندروز حاكم لواء الجليل(١٣).

احتلال المدن:

بعد ان سيطرت عصابات الثوار على المناطق القروية راحت تشن الهجمات على دوائر وقوات الحكومة في معظم مدن فلسطين، واحتلت عددا من المدن لفترات متفاوتة مما اضطر الحكومة الى اخلاء بعض المدن والاكتفاء ببسط سلطتها على اجزاء محدودة من كل مدينة والاعتصام بعمارات البوليس المسماة عمارات (تيجارت).

(١٣) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص٢٤٧... عن جريدة الشباب في ٢٣ فبراير ١٩٣٨.

ومن المدن التي احتلها الثوار:

- مدينة الخليل احتلوها في شهر شباط فبراير١٩٣٨ واحتلواها مرة ثانية في شهر ايار مايو١٩٣٨م.

- مدينة جنين، احتلوها في شهر اذار مارس١٩٣٨م

- مدينة بيسان احتلوها في شهر نيسان ابريل١٩٣٨م

- مدينة بئر السبع احتلوها في ٩ ايلول سبتمر ١٩٣٨م

- القدس القديمة احتلوها في ١٣ - ٢٠ ايلول سبتمبر ١٩٣٨م

- مدينة طبريا احتلوها في تشرين الاول اكتوبر ١٩٣٨م

- مدينة نابلس كان الثوار يتجولون فيها باسلحتهم دون ان يعترضهم احد.

جرت فيهما حرب شوارع وهجمات على دوائر الحكومة وقد قام رجال البوليس الفلسطيني العرب بالمساهمة وتسهيل عملية الاحتلال(١٤).

الهجوم على مدينة بير السبع:

كان المجاهد عبد الحليم الجولاني قائد الثورة في منطقة الخليل في هذه الفترة هو الذي نظم وقاد الحملة العسكرية على بئر السبع.

وكانت سلطة الانجليز قد انحسرت عن مدينة بئر السبع وعن جنوب فلسطين عموما، ولم يبق للسلطة الا وجود محدود يتمركز في دار الحكومة

(١٤) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٩ عام ١٩٨٩ ،ص٣٨

حيث توجد الادارة والبوليس الذي كان يحتفظ بمستودع اسلحة اعتبر هو الهدف الرئيس للعملية وكان من السهل على عبد الحليم الحصول على ما يلزمه من معلومات وتسهيلات لاحتلال بئر السبع والاستيلاء على مستودع الاسلحة ولكن الخطورة كانت تكمن في عملية نقل الاسلحة من بئر السبع السهلية الي جبال الخليل ومع ان المنطقة كانت تكاد تخلو من قوات الجيش البريطاني الا ان احتمال مهاجمة الثوار بالطائرات وهم عائدون اوباستحضار قوات عسكرية بشكل عاجل امور متوقعة ويجب الاحتياط لها، والاهم من ذلك ان لا تتسرب المعلومات عن الخطة الى اجهزة السلطة قبل تنفيْذها ولحسن الحظ فقد سارت الامور على ما يرام، ففي صباح يوم ٩ ايلول سبتمبر ١٩٣٨ توجهت عدة شاحنات تحمل الثوار من جبال الخليل الى بئر السبع قاطعة مسافة ٤٠ كيلومترا ودخلتها بعد إن مهدت قوات اخرى لهذا الهجوم بقطع اسلاك البرق والهاتف واغلاق مداخل المدينة ومنع الدخول اليها او الخروج منها، وتوجهت قوة الثوار الرئيسية الى دار الحكومة، واستولت عليها بعد معركة قصيرة قتل فيها بعض رجال البوليس الانجليزي واطلق الثوار سراح السجناء واحرقوا وثائق البوليس واستولوا على نحو ٦٠٠ قطعة سلاح وكميات كبيرة من الذخيرة(١٥)، وكانت عبارة عن بنادق ورشاشات ومسدسات وقنابل يدوية وذخائر ثم تمكن الثوار من الانسحاب الى معاقلهم بعد انجاز مهمتهم وكانت هذه المعركة اول معركة كبيرة وناجحة تقع في الجنوب وذلك نظرا للمفاجأة والسرية اللذين احيطت بهما العملية بالاضافة الى تفوق قوة الثوار الساحق بالمقارنة مع قوات الاعداء.

وكانت لهذه العملية نتائج هامة منها:

١. زيادة قوة الثوار في منطقة الخليل زيادة كبيرة بعد ان حصلوا على السلاح والذخيرة وكان بين الاسلحة عدد من الرشاشات المتوسطة الحديثة

(١٥) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٩ عام ١٩٨٩ ،ص٣٩

طراز (لويس جن)التي كان لها اثر ملحوظ في المعارك العسكرية التي دارت فيما بعد ، وساعدت الثوار على اسقاط عدد من الطائرات البريطانية وقد اسقط القائد عبد الحليم الجولاني طائرتين بريطانيتين بنفسه في معركة جورة بحلص باستخدام احد هذه الرشاشات.

٢ . بعد المعركة اصبحت بئر السبع وجنوب فلسطين بشكل عام خاضعا لسيطرة الثوار يدخلونه في اي وقت يشاؤون واستمر ذلك عدة اشهر.

تحرير مدينة القدس القديمة:

في سنة١٩٣٨ استمات الثوار في قتال العدو وواجهوا الانجليز واليهود معا ، غير عابئين باحكام الاعدام العديدة التي كانت تنفذ في سجن عكا وسجن القدس وسجن نابلس، وقد تقلصت سلطة الحكومة في هذه السنة الى حد كبير مما حملها على اخلاء عدد من المدن اخلاء كاملا لفترات قصيرة واحيانا طويلة. واقتصر تواجد قوات الجيش والبوليس على دوريات مصفحة تجوب الشوارع الرئيسية وبموجب اقتراح من خبير حرب العصابات البريطاني (تيجارت) بنيت حوالي ٥٠ عمارة كبيرة في جميع انحاء فلسطين وزعت على مختلف المدن والاماكن الحساسة عرفت باسم عمارات تيجارت فكانت تبنى العمارة في اطراف المدينة وتنقل اليها جميع دوائر الحكومة وجميع اماكن سكن البوليس البريطاني ومعظم عائلات الشرطة والموظفين العرب وذلك ليسهل الدفاع عن دوائر الحكومة ولتكون قوات الحكومة متجمعة وجاهزة للعمل، وقد جهزت كل عمارة بسجن خاص بالاضافة الي السجون المركزية ولا تزال هذه العمارات وسجونها قائمة في فلسطين يستعملها العدو المحتل، كما اقام الانجليز سورا عريضا من الاسلاك الشائكة على طول حدود فلسطين مع لبنان وسوريا سمي ايضا سور تيجارت.

وفي هذه السنة ١٩٣٨ازداد عدد الثوار المتواجدين في مدينة القدس

وخاصة في البلدة القديمة، مما جعل دوريات البوليس والجيش تجتنب دخول البلدة القديمة واصبحت السلطة تعتمد فقط على عدد من رجال المباحث والبوليس الاضافي العرب، وبعض المغامرين الانجليز، ولكن الثوار العرب قاموا بهجمات عديدة على رجال المباحث وقتلوا عددا منهم وبذلك خلت البلدة القديمة تماما من مظاهر السلطة الحكومية وتواجد عدد من الثوار باستمرار بالقرب من ابواب سور القدس وجعلوا يطلقون النار على اية دورية تحاول دخول البلدة، وبذلك اصبحت البلدة القديمة منطقة محررة، وخصوصا من ١٣-٢٠ ايلول سنة ١٩٣٨ وكان يقود عملية التحرير المجاهد عارف عبد الرازق ومجموعة من القادة.

الا أن السلطات البريطانية شعرت ان قيام هذه الحالة في مدينة القدس بالذات تنقص من هيبة بريطانيا ولذلك وضع الجيش البريطاني خطة لاسترداد المدينة واعادة احتلالها وابتدأت العمليات العسكرية باقامة مواقع عسكرية خارج السور في اماكن مرتفعة تشرف على احياء البلدة القديمة، وابتداء من يوم ١٣ ايلول صار الجيش يطلق من هذه المواقع المرتفعة نيران الرشاشات الثقيلة ليلا نهارا على اي شيء يتحرك واصبحت المدينة بذلك محاصرة تماما واخلي الكثير من بيوتها وشوارعها المكشوفة ولكن طبيعة المدينة كانت تساعد الثوار على التنقل واحباط اية محاولة لاقتحام ابواب المدينة معتمدين على نيران المسدسات والقنابل اليدوية وبعد يومين امكن ادخال بعض البنادق الى المدينة القديمة ليلا من مكان منخفض من سور المدينة بالقرب من باب الاسباط.

وفي المرحلة الثانية من معركة اعادة احتلال القدس استخدمت الطائرات الحربية التي اصبحت تحلق فوق المدينة طوال النهار مستخدمة القنابل ونيران الرشاشات مما ساعد الجيش البريطاني من السيطرة على بعض شوارع المدينة واوقع عددا من القتلى والجرحى، وخاصة بين الذين كانوا يغادرون بيوتهم بحثا عن الطعام، كما قتل وجرح عدد من المدنيين في ساحات الحرم.

وفي المرحلة الثالثة وابتداء من١٨ ايلول القت الطائرات الحربية على المدينة وضواحيها منشورات بتوقيع القائد العسكري لمنطقة القدس يدعو جميع السكان الى القاء السلاح والتزام منازلهم داخل البلدة وخارجها ويعلن ان الجيش سيقتحم المدينة بالقوة العسكرية وسيقتل كل من يعترض طريقه ثم بدأت قوات عسكرية كثيفة مدججة بالسلاح تتقدم على محورين: محور باب الخليل ومحور باب العامود، وكان الجيش يستعين بالطائرات وبالمواقع المرتفعة خارج السور لتغطية تقدمه وكلما تقدم بضعة امتار يقيم حاجزا من اكياس الرمل ثم يقوم بهجوم اخر وهكذا، واستغرقت عملية التقدم حتى سوق العطارين حوالي ثلاثة ايام وبقيت اجزاء من المدينة غير محتلة وهنا اعلنت القيادة العسكرية كذبا ان الجيش قد أكمل احتلال المدينة وان ابوابها ستفتح للجمهور من السكان لدخول المدينة صباح يوم ٢٠ ايلول وفي الوقت المحدد تدفق عدد من سكان البلدة القديمة واقاربهم من باب العامود وباب الخليل الى داخل المدينة لتفقد بيوتهم واقاربهم وفي وسط الزحام تقدم الجيش ليدخل باقي احياء المدينة مستخدما الناس وازدحامهم في الشوارع كدروع بشرية.

اما الثوار فقد تفرقوا واخفوا سلاحهم وقام الناس بنقل الجرحى والشهداء الى المستشفيات وقام الجيش باعتقالات واسعة في ذلك اليوم وساق الناس مربوطين بالحبال الى قلعة باب الخليل(١٦).

وخلال فترة الاحتلال حدثت عدة اشتباكات متفرقة قتل فيها عدد من الانجليز واستشهد اكثر من اربعين من العرب معظمهم من افراد الشعب العزل وقد اعترف الجنرال هايننغ في تقريره المؤرخ في ١٩٣٨/١٠/١٩ بهذه العملية قائلا: «*اصبحت المدينة المقدسة بحلول السابع عشر من تشرين الاول اكتوبر*

---

(١٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٧ عام ١٩٨٩، ص٣٩-٤١

١٩٣٨ *تحت السيطرة الفعلية للثوار»*. كما اعترف مدير عام الشرطة شارلز تيجرت بان الثوار قد اسسوا محكمة خاصة بهم في منطقة الحرم خلال تلك الفترة ولم تستطع الحكومة استعادة السيطرة عليها الا بعد انتقال السلطة فيها للعسكريين الذين قرروا تطويقها واحتلالها بواسطة الفرقة السابعة مشاة(١٧).

الاغارة على طبريا:

وضع قائد المنطقة الشمالية ابو ابراهيم الكبير ومعاونوه خطة عسكرية بارعة للهجوم على مدينة طبريا وحشد لهذه المهمة التي قادها بنفسه ٣٠٠ ثائر(١٨) وقد قسم قوة الهجوم الى خمس مجموعات تقوم الاولى بالهجوم على سرايا الحكومة وحدد واجب الثانية بالهجوم على معسكر الجيش البريطاني المقابل للسرايا والمجموعة الثالثة باحتلال الحي اليهودي الذي يقع في وسط المدينة بهدف الاستيلاء على اسلحتهم كما تمركزت مجموعتان، واحدة على طريق طبريا - سمخ لمنع وصول النجدات واخرى على طريق صفد- طبريا لهذا الغرض ايضا وقد استمرت العملية خمس ساعات كاملة من الساعة العاشرة من ليلة ٢-١٩٣٨/١٠/٣ وحتى مطلع الفجر وانسحب الثوار بعدها من دون ان يصابوا بادنى خسارة بعد ان قتلوا ١٩ مستوطنا يهوديا(١٩).

نماذج من بيانات الجهاد:

لقد كان الجهاد في هذه الثورة جهادا اسلاميا خالصا، وكان للعلماء وعلى رأسهم سماحة الحاج امين الحسيني اثر واضح في سيرة هذا الجهاد. نلمس

(١٧) الرضيعي ، يوسف رجب : ثورة١٩٣٦م، في فلسطين ، ص٧٧
(١٨) زعيتر ، اكرم : يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص٣٧٤
(١٩) ياسين ، صبحي ، حرب العصابات ، ص١٢٤- ١٢٥

هذا الاثر في النماذج المختارة لقيادة الثورة من امثال الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد، والشهيد عبد القادر الحسيني والشيخ عطية والشيخ حسن سلامة وغيرهم.

ونلمس هذا الاثر ايضا في اسماء فصائل الجهاد التي كانت تسمى بفصائل صلاح الدين الايوبي، وابي عبيده، والقادسية، واليرموك، وسعد، والتقوى، والجهاد الى اخر هذه الاسماء الاسلامية، ونلمس هذا في الروح الاسلامية التي كانت تسيطر على قادة الثورة وفصائلها، ولعل القاريء يدرك من قراءة النموذجين التاليين الذين اخترتهما من بين نماذج كثيرة مدى التمسك بالروح الاسلامية والحرص عليها قولا وعملا في كل بيان من بيانات المجاهدين.

١. بيان المجاهدين الى الامة العربية الكريمة(٢٠):

(قد بلغ المجاهدين في فلسطين ان بعض الاشرار قاموا باقتحام بعض المنازل في القرى العربية وتصدوا لفريق من المارة العرب او بعثوا بكتب التهديد بقصد النهب وسلب الاموال وانهم فعلوا ذلك باسم المجاهدين وتحت ستار الجهاد المقدس...

ان المجاهدين قد باعوا انفسهم لله وخرجوا في طاعته ولم يخرجوا الا ابتغاء وجهه والجهاد في سبيله والفوز بمثوبته واكتساب مرضاته لا يرضون بذلك بديلا ولا يبغون عنها حولا، صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وهم يتسابقون الى ميدان الجهاد والشهادة انتصارا للحق واقامة للعدل ودفاعا عن امتهم الكريمة وبلادهم المقدسة، قد فارقوا في سبيل ذلك اهلهم وتركوا اموالهم وعطلوا مصالحهم، ومن كان هذا حالهم، وكان كل مبتغاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة من الله لا من سواه حاشا لله

(٢٠) دروزة ، عزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ج١ ،ص٢١٠ -٢١١

ان يفسدوا في الارض ويسلبوا اموال اخوانهم فيبطلون بذلك اعمالهم ويخرجون من زمرة المجاهدين الابرار الى زمرة السفلة الاشرار.

ولذلك فان المجاهدين يعلنون بان هؤلاء السلابين ليسوا منهم وانهم بريئون من تلك الاعمال الدنيئة ويلفتون نظر الاهالي جميعا الى ما ثبت حقيقته من ان بعض هؤلاء الاشرار ينتهزون الفرص ليصطادوا في الماء العكر، كما ان بعضهم مدفوع من قبل دائرة الاستخبارات السرية الانجليزية وانها تستأجرهم لذلك بقصد توهين صفوف الامة وايقاع الفساد بينها وتشويه حركة الجهاد المقدسة ، وقد حدث ان شخصا داهم في المدة الاخيرة منزل رجل عربي ليلا وطلب منه مالا وهدده بالقتل ان لم يدفع ، فاستعان الرجل ببعض الناس وقبضوا عليه وفتشوه فوجدوا معه مسدس بوليس رسمي واوراق تدل على انه ذو صلة بدائرة الاستخبارات الانجليزية وان هذه الدائرة قد استخدمت بعض الافراد والجماعات للقيام بهذه الاعمال السافلة.

والمجاهدون الذين اخذوا على عاتقهم متابعة هؤلاء الاشرار الاجراء ومطاردتهم يرجون كل من يقع له حادث مثل هذا ويتمكن من معرفة فاعليه او الاشتباه بهم ان يتوسل لابلاغ ذلك الى قيادة اي فريق من المجاهدين لينالوا شر الجزاء على ما تقترفه ايديهم الاثيمة ، واننا نهيب بكل مسلم وعربي ان ينهض للجهاد في سبيل الله ويساعد المجاهدين على الدفاع عن البلاد المقدسة التي هي امانة في عنق كل منهم يسأل عنها امام الله والناس والتاريخ . ونحن ماضون في هذا السبيل ان شاء الله الى ان يكتب النصر لهذه الامة او يأتي الله بامر من عنده (ولينصرن الله من ينصره) ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والله ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير.

قيادة الثورة العامة في فلسطين

٢. بلاغ رقم(٢)(٢١).

(نصر من الله وفتح قريب)

احتلال مدينة جنين ومعارك دامية

قررت القيادة العامة القرارات التالية:

اولا - مهاجمة مركز بوليس بيسان

ثانيا - احتلال جنين

ثالثا - مهاجمة مراكز الجيش بنابلس

رابعا - مهاهجمة الدوريات العسكرية التي تتجول بين نابلس وجنين.

وتنفيذا لهذه القرارات خرج فصيل عمر بن الخطاب وقام بمهاجمة مركز الخنيزر التابع لبيسان فاستولى على جميع اسلحته وامتعته ثم قامت الفصائل الاربعة فصيل القسام وحمزة وعمرو بن العاص وابو بكر وطوقوا جنين من جميع جهاتها ثم هاجموها بالتكبير والتهليل تتقدمهم المدافع الرشاشة التي كانت تصب نيرانها الحامية على مراكز البوليس والجند مما جعلهم ان يولوا هاربين، الى البيوت ملتجئين، ودخل المجاهدون المدينة واستولوا على ما فيها من ذخيرة وبنادق.

اما فصيل علي بن ابي طالب فقد اتجه شطر نابلس وهاجم قوات الجيش في مراكزها في الشرق والغرب واصلاها نارا حامية

وهاجم فصيل خالد بن الوليد وابي عبيده الدوريات العسكرية التي تتجول بين نابلس وجنين فاصطدمت معها في وادي (دعوق) وقد قتل سائق

(٢١) دروزة، عزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج١، ص٢٣٢

السيارة المصفحة وهو يهودي، وسائق سيارة ثانية وهو جندي طوقه الثوار وحاول ان يغريهم بالدراهم التي معه ليتركوه ولكنهم رفضوا وطلبوا اليه تسليم نفسه فابى واشهر مسدسه عازما على غدرهم وعندما اطلق الثوار عليه النار قتلوه.

قائد منطقة نابلس وجنين

الشيخ عطية

العمليات العسكرية:

جرت على ارض فلسطين خلال المرحلة الثالثة للثورة الكثير من العمليات العسكرية والمعارك الكبيرة التي كان مسرحها الجبال وبعض المدن، وكان ميدان معظم العمليات في بداية هذه المرحلة محصورا في المنطقة الشمالية وفي جبال الخليل ثم امتد حتى شمل اراضي فلسطين كلها، وقد اعترف قادة القوات البريطانية في تقاريرهم المنتظمة بانه لم يكن يمر اسبوع دون وقوع معركة كبرى، وقد ازداد عدد الثوار بشكل ملحوظ في المنطقة الواقعة شرق طريق جنين، نابلس خلال الفترة الممتدة من الاسبوع الاول من شهر شباط الى الثالث من اذار وهي الفترة التي وقعت فيها معركة اليامون.

ويعترف الاستاذ هيامسون ان الثوار سيطروا على معظم البلاد عام ١٩٣٨ حين يقول: «خضعت مدينة القدس القديمة ومدن اخرى خلال اوقات معينة لسيطرة الثوار ويعترف ايضا بان الجماعات العربية اصبحت منذ تموز ١٩٣٨ منظمة تنظيما جيدا وغدت تقاد من قبل قيادة واحدة»(٢٢).

وقد اورد التقرير البريطاني لعام ١٩٣٨ عدد الاصابات على الشكل التالي:

(٢٢) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٦

مقتل ٦٣ جنديا بريطانيا وجرح ٢٠٠ اضافة الى مقتل ١٢ شرطيا وجرح ١٥ آخرين كما قتل ٢٥٥ صهيونيا وجرح ٣٩٠ مقابل ٥٠٣ شهداء من العرب و٥٩٨ جريحا اما العمليات التي جرت عام ١٩٣٨ فهي كما احصاها التقرير(٢٣):

نوع العمليات	عددها
هجوم وعمليات قنص ضد افراد صهيونيين	١٧٦
هجوم وعمليات قنص ضد قوات الجيش والشرطة البريطانية	٩٨٦
هجوم على وسائل المواصلات	٣٣٥
اطلاق نار على المستعمرات والاحياء اليهودية	٦٥١
القاء قنابل	٣٣١
عمليات خطف	٢١٥
اتلاف املاك يهودية	٤١٠
تخريب هواتف	٧٢٠
تخريب سكك حديدية وطرق	٣٤١
تخريب املاك حكومية اخرى	٢١٠
تخريب خط انابيب شركة النفط العراقية	١٠٤
عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال	٤٩٠

ويجدر بنا هنا ان نشير ان مجموعات من الشباب والفتيان وخاصة في

(٢٣) الموسوعة الفلسطينية – المجلد الاول ، ص٦٣٦

مدينة القدس، كانت تسند الثورة وتشارك في كثير من العمليات، وفي مقدمة هذه المجموعات الاستاذ المجاهد بهجت ابو غربية، والشهيد صبحي ابو غربية والشهيد سامي الانصاري، وفوزي القطب، وداود العلمي، وحافظ بركات، والشهيد عيسى فراح، والفتياني، والنمري والبكري، ومجموعة الشهيد مطيع اللبابيدي ومجموعة الحاج يوسف الشرفا ومجموعة الشيخ شكيب القطب والشيخ فارس ادريس وداود غيث وغيرهم(٢٤).

المعارك الهامة في المرحلة الثالثة من الثورة:

كانت جبال فلسطين ومدنها سنة١٩٣٨ ساحة حرب بكل معنى الكلمة فالحوادث اليومية كانت تعد بالمئات ويصعب التحدث عنها بالتفصيل. لذلك سنتحدث عن المعارك الرئيسية فقط او سنأخذ نماذج منها، وهي اما معارك شنها الثوار او معارك شنها الجيش البريطاني ضد الثوار او اعتداءات قامت بها القوات الصهيونية على العرب.

وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهت الثورة فقد نجح الثوار في تطبيق المبادىء الاساسية للحرب مثل حشد قوات كبيرة اثناء مهاجمة نقطة معينة والعمل بصورة سرية ونشيطة ومستمرة وتطبيق المفاجأة في الهجوم وانهاء المعركة بسرعة خاطفة ولعل اهم تلك المبادىء وباقرار المصادر العسكرية البريطانية هو تجنب الاشتباكات الواسعة النطاق مع الجيش البريطاني مما تمناه العدو مرارا وسعى له كي يتمكن من فرض المعركة في وقت وزمان مناسبين بهدف الحاق اكبر الخسائر بالثوار.

---

(٢٤) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٧ عام ١٩٨٩ ،ص٣٢

ومن المعارك التي حدثت في هذه المرحلة:

- معركة عرتوف في ١٤/١٠/١٩٣٧م
- معركة عرابة البطوف في ٢٩و٣٠/١٢/١٩٣٧م
- معركة ام الفحم الاولى في ٣٠/١/١٩٣٨م
- معركة اليامون الكبرى في ٣٠/٣/١٩٣٩٨م
- معركة جبل الجرمق في ٢٤/٢/١٩٣٨م
- معركة سيلة الظهر في ٢٠/٥/١٩٣٨م
- معركة كوكب ابو الهيجاء
- معركة بورين شرقي نابلس في شهر تموز ١٩٣٨ وقد امتد ميدانها ١٥ كيلو مترا وشمل عددا من القرى واسقطت فيها طائرة بريطانية واستمرت ٢٤ ساعة
- معركة شعب ومجد الكروم قرب صفد في ١٩ آب ١٩٣٨م
- معركة دير شرف غربي نابلس في شهر آب ١٩٣٨م
- معركة قلقيلية في ٢٠ آب١٩٣٨
- معركة جورة بحلص قرب الخليل في شهر ايلول ١٩٣٨ وقد اسقطت فيها طائرتان
- معركة دير غسانة في ١٨/٩/١٩٣٨
- معركة رام الله الكبرى في تشرين الاول ١٩٣٨ وقد استخدم فيها الجيش البريطاني نحو اربعين طائرة

- سلسلة معارك جبال القدس الغربية في شهري اب وايلول بقيادة عبد القادر الحسيني

- معركة الكرمل في ١٧/١١/١٩٣٨م

- معركة بني نعيم الكبرى شرقي الخليل في ٤/١٠/١٩٣٨

- مركة صانور الثانية في ٢٧ اذار ١٩٣٩

- معركة سعسع في ١٥/٤/١٩٣٩

- معركة حيفا في شهر نيسان ١٩٣٩

- معركة ام الفحم الثانية في ٢٤/٥/١٩٣٩

- تطويق ام الفحم ويعبد وعانين وعارة وعرعرة واليامون وسيلة الحارثية في منطقة جنين في ١٠ شباط فبراير ١٩٣٨ حيث دارت معارك متصلة بين الجيش البريطاني والثوار استخدم فيها الجيش اقسى الاجراءات وهدم العديد من البيوت مما ادى الى هجرة اكثر من الفي شخص عن قراهم وهاموا على وجوههم حتى ان بعضهم لجأ الى مدينة القدس واقاموا في ساحات المسجد الاقصى وقد تكبد الانجليز فيها خسائر كبيرة واعترفوا رسميا بمقتل جنديين وجرح اثنين.

والملاحظ ان معظم المعارك وقعت خلال عام ١٩٣٨ ويجدر بنا هنا ان نذكر ان مجموع العمليات خلال هذا العام حسب مصادر حكومة الانتداب قد بلغت ٤٩٦٩ عملية ، وان المحاكم العسكرية اصدرت نحو ٢٠٠٠ حكم بالسجن مددا طويلة و١٤٨ حكما بالاعدام نفذت جميعها واعتقل اداريا خمسون الف شخص(٢٥).

(٢٥) مذكرات بهجت ابو غربية:مجلة القدس الشريف-العدد٤٩ عام ١٩٨٩ ،ص٤٠-٤٤

ومن اشهر معارك هذه المرحلة

معركة عرتوف:

عرتوف قرية صغيرة تقع على طريق سكة الجديد الموصلة بين القدس ويافا وهي محاطة بمرتفعات واودية عميقة، وقعت معركة عرتوف يوم الخميس ١٤/١٠/١٩٣٧ حيث وردت اخبار الى عبد القادر الحسيني تفيد ان الجيش البريطاني قدم الى عرتوف فجمع قواته وكانت حوالي ٣٠٠ مقاتل ثم وزعها على سفح الجبل الموصل من قرية بتير الى عرتوف على مسافة ثلاثة كيلو مترا ثم نصب كمينا في مؤخرة خط القتال وامر المسلحين الذين في المقدمة الا يطلقوا النار حتى تمر القافلة باكملها، وحالما تبلغ مؤخرة الكمين يتقدم المجاهدون لتفجير الالغام تحت السيارات الاولى ثم يطلق المجاهدون النار على جنود القافلة، وفي الساعة الرابعة مساء وصلت القافلة الى عرتوف في طريقها الى القدس وكان عددها يزيد على ٨٠ سيارة وما ان توغلت حتى تطايرت السيارة الاولى في الفضاء وتبعتها الثانية والثالثة فارتبكت باقي السيارات وحاول بعضها الرجوع بسرعة فانقلبت وسدت الطريق، اما الجنود فقد حاولوا الانتشار على جانبي الطريق الا ان المجاهدين المرابطين اصلوهم وابلا من الرصاص ثم انقضوا على القافلة يدمرونها ويفتكون بجنودها، وطلبت القافلة نجدة من مقر قيادة الجيش، ووصلت اسراب الطائرات وقت الغروب لتلقي بقذائفها ولكنها لم تجد سوى بقايا سيارات القافلة وجثث الجنود، اما المجاهدون فقد انسحبوا بعد ان نفذت ذخيرتهم وفقدوا ثلاثة شهداء منهم الشهيد علي حسن من عين كارم كما اصيب خمسة منهم بجراح.

وبينما كان عبد القادر يصوب بندقيته نحو الاعداء جاءت قنبلة مدفع جبلي عليه فاطارت قسما من سترته وقسما من قميصه وانفجرت على بعد عشرين مترا منه فاصابت مجاهدا من شرفات في رجله وكان ضغطها قويا حتى

انه رفع عبد القادر حوالي مترين في الفضاء ولكنه لم يصب باذى وبقي القرآن الكريم الذي يحمله في جيب سترته الاخرى على حاله وهكذا نجا القائد باعجوبة من موت محقق(٢٦).

وقد عمّ البلاد خبر هذا الانتصار فسر الاهلون وفي الصباح صدر بلاغ حربي عن المعركة فرآه الناس على جدران وابواب مدينة القدس.

معركة عرابة البطوف،

وقعت هذه المعركة في بلدة عرابة الجبلية قضاء عكا في ٢٩و٣٠/١٢/١٩٣٧ فقد عقد اجتماع عام لسائر قادة مناطق الجليل واللواء الشمالي وذلك لبحث شؤون الثورة بقيادة القائد العام (ابو ابراهيم الكبير) ليلة ٢٨-٢٩ كانون الاول١٩٣٧ في قرية عرابة البطوف ووزعت الفصائل على منازل وجهاء القرية وتمت حراسة طرق القرية خشية اي هجوم مفاجيء.

وفي الصباح بينما كان المجاهدون يتناولون طعام الافطار انذرهم الحرس بوجود قوة قادمة نحو القرية، فانتشروا في الجبال وذهب ابو ابراهيم الكبير وفصيل القيادة الى الشمال الشرقي ومعه القائد عبد الله الاصبح، وذهب ابو احمد محمود سالم وجماعته وابو ابراهيم الصغير وجماعته الى جهة اطلاق النار فشاهدوا عددا من رجال قوة الحدود يمتطون الخيول ويقتربون بسرعة نحوهم فجرت معهم معركة استمرت اربع ساعات اشتركت فيها طائرتان وقد اسفرت المعركة عن استشهاد البطل الشيخ يوسف ابو حريره من اخوان الشهيد القسام ومن ابناء قرية المجيدل، كما جرح الشهيد نايف مصلح من ابناء قرية صفورية والشيخ مسعود نصار من قرية اجزم والشيخ درويش من بلد الشيخ ورجا حسين

---

(٢٦) محسن، عيسى خليل : فلسطين الام وابنها البار عبد القادر الحسيني، ص١٨٠ . عن مخطوط قاسم الريماوي.

الطه من عرب المواسي، وقد اصيب الاخيران برصاص الطائرة التي تمكن المجاهدون من اسقاطها قرب بلدة سمخ وقتل طيارها الانجليزي الذي اصيب برصاصة قاتلة كما قتل وجرح عدد من جنود قوة الحدود وعدد من الخيول، واستولى المجاهدون على ثلاثة خيول وكمية من الذخيرة وبعض السلاح، وانتهت المعركة بعد ان هرب جنود قوة الحدود، وفي اثناء الليل تم انحساب عام للمجاهدين الى قرية ياقوق قضاء طبريا وقد حلوا ضيوفا على الشيخ محمد سويد مختار القرية واقاربه، وبعد استراحة قليلة تابعوا سيرهم ليلا الى الشرق حيث توجد مضارب عرب القديرية على مقربة من ساحل بحيرة طبريا الغربي، ونزل ابو ابراهيم في منزل الشيخ خالد معجل وتوزعت الفصائل الاخرى على بيوت البدو وقبيل الفجر اعلمهم احد رجال مخابرات الثورة ان الجيش البريطاني سيقوم بعملية تطويق واسعة للقضاء على الثورة في تلك المنطقة وذكر انه شاهد تجمعات عسكرية كثيفة في جبل الجرمق قرب مدينة صفد، وذكر آخرون وجود تحركات عسكرية في مدن: الناصرية، وطبريا، وعكا ورسم القادة خطة قتال وصدرت الاوامر ليلا عند الغسق بان يتمركز ابو ابراهيم الكبير وعبد الله الاصبح عند هضبة تقع جنوب مضارب عرب القديرية وابو ابراهيم الصغير ومحمود سالم ابو احمد كل منهما في الهضاب القريبة، وكانت تلك الهضاب تشرف على سهل فسيح سيكون طريق الانجليز منه غالبا لعدم وجود ممر اخر وبعد شروق الشمس بقليل تقدمت قوات انجليزية كبيرة قدرت بعشرة الاف جندي مع طائراتهم والياتهم واسلحتهم الحديثة وكان عدد المجاهدين المتمركزين في الجبال مائة ثائر بالاضافة الى النجدات التي حضرت من القرى المجاورة بعد بدء القتال، وفي الساعة السابعة من صباح يوم ٣٠ كانون الاول ١٩٣٧ دارت رحى معركة عنيفة بين الثوار والجنود الانجليز واستمرت حتى مساء ذلك اليوم وقد اسفرت المعركة عن قتل وجرح اكثر من ١٢٠ جنديا واستشهد من المجاهدين ثمانية ابطال(٢٧).

---

(٢٧) ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ص١٤٥

معركة ام الفحم الاولى:

وقعت هذه المعركة ظهر يوم ١٩٣٨/١/٣٠،حيث قامت القوات البريطانية بمحاصرة قرية ام الفحم، وحاولت احتلال مدرستها الحكومية واقامة معسكر فيها، ولم تكن تعلم هذه القوات ان قيادة الثورة موجودة في القرية، فعندما وصلت سيارات القوات البريطانية إلى نقطة تقع شمال القرية نزل منها الجنود لينقلوا العتاد والمؤن إلى المدرسة، وما أن علم الثوار بالأمر حتى هاجموا الإنجليز ليمنعوهم من احتلال القرية وكان يقود هذا الهجوم القادة : يوسف حمدان وعلي الفارسي ويوسف أبو درة. فانقض فصيل علي الفارسي على الجنود الذين ينقلون العتاد، وانقض يوسف الحمدان على السيارات وحراسها. وبذلك تمكن الثوار من إلحاق خسائر فادحة بالعدو، وبعد ذلك اتجهوا شرقا شطر جبل اسكندر وجبل خزران لمقاومة النجدات البريطانية واشتبكوا معها في معركة حامية استمرت ست ساعات. وجاءت طائرات بريطانية إلا أنها لم تستطع أن تلقي القنابل بسبب إلتحام الثوار مع الجنود الإنجليز.

وبلغت خسائر العدو (٤٨) قتيلا وعددا من الجرحى، واستولى الثوار على أسلحة حربية، وانسحب الإنجليز مرغمين مهزومين، أما الثوار فقد انسحبوا دون إصابات أو خسائر بعد أن سجلوا نصرا رائعا.

وعلى إثر هذه المعركة قامت في اليوم التالي قوات بريطانية كبيرة بمداهمة القرية، واحتلت المدرسة وسائر بيوت القرية، وقامت بأعمال تخريب واعتقالات واسعة النطاق، ولم يحدث أي اشتباك لأن الثوار تركوا القرية والتجأوا إلى الجبال. ولما لم يجد الإنجليز أية مقاومة حاولوا تطويق قرى :عارة وعرعرة وعانين إلى الغرب من أم الفحم وقاموا كعادتهم بأعمال تخريبية ضد الأهالي العزل من السلاح، فتحمس المجاهدون من سكان القرى المجاورة لرد الإعتداءات عن القرى، وقاموا بهجوم شديد على القوات المعادية شمل كل

المناطق المطوقة . وكان لفصيل برقين دور حاسم في المعركة وخاصة أحد أبطاله المجاهد مصطفى الباير، وذلك عندما حاول الإنجليز التقدم نحو الجبال الواقعة جنوب الشارع بعد أن نزلوا من سياراتهم إلا أن رجال هذا الفصيل كانوا لهم بالمرصاد فأمطروهم بالرصاص مما أدخل الرعب في قلوب الأعداء، وحاولوا النجاة بأنفسهم، لكن استبسال المجاهدين أدى إلى إنزال الخسائر الفادحة بالإنجليز حيث قتل منهم (٦٠) فردا، وغنم الثوار ٢٠ بندقية حربية. ولولا اشتراك الطائرات ضد المجاهدين لأفنوا القوة الإنجليزية عن بكرة أبيها. واستطاع الثوار أن يسقطوا طائرة، وأما خسائر الثوار فكانت ثمانية شهداء من رجال النجدات. وانسحب الإنجليز بعد ساعات طويلة من القتال مخلفين وراءهم مائة قتيل. ومن الأبطال الذين اشتركوا في هذه المعركة: محمد أحمد شهاب، ومحمد سعيد محمود، ومحمد سليم جرار[٢٨].

معركة اليامون الكبرى:

تقع قرية اليامون على بعد ٩ كم شمال شرقي جنين، وكان يتولى قيادة منطقة نابلس - جنين عند حدوث المعركة يوم ١٩٣٨/٣/٣ الشيخ عطية أحمد عوض. وكان الشيخ عطية قبل المعركة قد قام بتطويق مدينة جنين من جميع جهاتها، ونجح في الإغارة على مراكز الشرطة والجيش البريطاني فيها والإستيلاء على كل ما فيها من ذخيرة وبنادق. وقام فصيل من قواته بمهاجمة قوات الجيش المتمركزة في نابلس، ونصب فصيل آخر كمينا للدوريات العسكرية على طيق نابلس- جنين. وعلى إثر هذه المعارك الناجحة للثوار أصدر البريغادير «ايفتس» قائد اللواء السادس عشر البريطاني أوامر لقواته بالتوجه إلى منطقة جنين وتمشيطها، خاصة بعد شق الكثير من الطرق في الجبال لتسهيل حركة القوات.

---

(٢٨) عودة ، زياد : من رواد النضال في فلسطين ، ج٢ ، ص٢٥

توقع الشيخ عطية أن تقوم القوات البريطانية بعملية انتقامية كبيرة ضد قواته، لذلك استعد لمعركة طويلة، فقام بالإستطلاعات الضرورية، ودرس الموقف، ثم قرر احتلال مراكز مشرفة على نقاط التقرب المحتملة، ووزع قواته بحيث احتل فريق من الثوار مواقع في رابا، واحتل فريق آخر رؤوس الجبال من كفردان.

وبدأت المعركة عند الساعة العاشرة من صباح ١٩٣٨/٣/٣ بعد نجاح القوة البريطانية في فرض طوق حول مواقع الثوار، واستمرت حتى حلول الظلام عندها استطاع الثوار فتح ثغرة في الطوق ومن ثم الإنسحاب. وقد اشترك في المعركة نحو ثلاثة آلاف جندي بريطاني، بالإضافة إلى مفرزة من قوات الحدود الأردنية، وتسع طائرات استدعيت بعد ١٥ دقيقة من بداية الإشتباك، مقابل (٣٠٠) ثائر فلسطيني. وقد اعترفت القوات البريطانية بجرح ضابط ومقتل جندي وجرح آخرين وإصابة خمس طائرات إصابات طفيفة. وادعت استشهاد ٦٠ ثائرا وأسر ١٦ آخرين. أما الثوار فقد أعلنوا من جانبهم استشهاد تسعة منهم كان أحدهم الشيخ عطية نفسه، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثين مجاهدا من النجدات العربية التي التحقت بموقع المعركة من القرى المجاورة، وأحصوا مقتل وجرح أكثر من (٧٠) بريطانيا.

وقد حاولت القيادة البريطانية خلال هذه المعركة مفاجأة الثوار والقضاء على قيادة الثورة في المنطقة باستدراج أكبر عدد ممكن من المقاتلين والقوات المحلية، ولكن الثوار استطاعوا الصمود على جبهة طولها كيلومتران حيث قاتلوا قتالا عنيدا بأسلحة عتيقة واجهوا بها المدفعية الثقيلة والطائرات التي أدت دورا فعالا في تلك المنطقة الجبلية الوعرة. ورغم ذلك اعترف البريطانيون بأن الثوار تمكنوا من الإنسحاب بنجاح بعد قتال في ظروف غاية في الصعوبة والتعقيد، وفي مواقع لم تكن ملائمة لهم على الإطلاق. وقد أظهر الثوار، رغم

خسائرهم الكبيرة، مقدرة كبيرة على خوض معركة دفاعية ناجحة نسبيا، خطط العدو لها وحشد من أجلها قوات كبيرة، بعد أن أفقدوه عنصر المفاجأة، وأظهروا أيضا براعة فائقة في حرية الحركة والتخلص من الطوق، وبالتالي الحفاظ على قواتهم من أجل معارك قادمة(٢٩).

يقول الأستاذ صبحي ياسين عن هذه المعركة(٣٠):

«بينما كانت قيادة الثورة في قرية المغير شرق جنين، حاصرتها القوات البريطانية وأخذتها على غرة ليلا، ولكن المفاجأة لم تكن لتفل من أعصاب المناضلين الأحرار، الذين سارعوا لحمل سلاحهم ووقفوا في وجه العدو وقفة رجل واحد يصلونه نارهم الحامية وبذلك تمكنوا من فتح ثغرة في صفوف الأعداء المحاصرين ثم تسربوا منها وتوزعوا بين عدة قرى في المنطقة. وأما القائد الشيخ عطية فقد دخل اليامون مع عدد من إخوانه وكانوا لا يتجاوزون «الثلاثين مناضلا»، ورأوا أن يقضوا ليلتهم هناك ليؤدوا فريضة صلاة الجمعة في مسجد القرية في اليوم التالي، وما أن اتضح الصباح حتى كانت القوات الإنجليزية قد ضربت نطاقا حول قرية اليامون حيث القائد ورجاله، وكانت القوات الإنجليزية لا تقل عن الثلاثة آلاف جندي لأنهم جاءوا للقضاء على قيادة الثورة، ولكن حراس الثوار شاهدوا عملية التطويق فأعلموا الشيخ عطية بالأمر فأمر رجاله بأن يستعدوا لمواجهة العدو. وكان من ضمن القوات الإنجليزية التي اشتركت في هذه المعركة وحدة مؤلفة من ست سيارات عسكرية تنقل الجنود ومدرعتين جاءت من جهة سيلة الحارثية. ولما التحم الفريقان استبسل الثوار في المعركة، وهاجم المجاهد يوسف أبو درة ومن معه الوحدة المعادية التي جاءت لنجدة الإنجليز، واستطاعوا بفضل إيمانهم وشجاعتهم أن يقضوا على هذه الوحدة قبل

---

(٢٩) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٤٠

(٣٠) ياسين ، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ص١٧٧

أن تصل إلى اليامون حيث ميدان المعركة، وكان هجوم ابو درة قويا ومركزا بشكل افقد الإنجليز القدرة على الحركة. وأما المعركة في اليامون بقيادة الشيخ عطية فقد استمرت حامية ولم ييأس الثوار رغم ضخامة عدد الأعداء واستعمالهم الطائرات والمدافع الثقيلة، وجاءت النجدات من القرى العربية المجاورة لشد أزر الثوار، واستمر القتال من الساعة العاشرة صباحا حتى الثامنة مساء، وأسفرت المعركة عن مقتل أكثر من مئة جندي بريطاني وجرح عدد مماثل، وإسقاط طائرة عدوة. واستشهد من إخوان الشيخ عطية تسعة أبطال وسقط عدد كبير من الجرحى بين صفوف العرب، وكان من بين الشهداء البطل الشيخ محمد أبو قاسم من قرية عين غزال.

ومن الذين أبلوا بلاء حسنا أثناء القتال المجاهد الشيخ محمد عبد العزيز من فصيل سلواد، والمجاهد سعد محمد عيسى من إجزم، والمجاهد كامل الحج حسين قائد فصيل صانور، وفيصل النابلسي أحد المستشارين من نابلس.

ان خسائر الانجليز كانت كبيرة جدا ولكن خسائر الثوار كانت كبيرة ايضا لم يسبق ان بلغت هذه النسبة في المعارك السابقة، وكان عدد القتلى والجرحى ٧٠ واما القائد الشيخ عطيه فانه استمر في القتال حتى استشهد في نفس المعركة»

معركة بني نعيم الكبرى:

في أواخر عام ١٩٣٨م حدثت متغيرات ومصاعب كثيرة في وجه الثورة أهمها أن العدو البريطاني قد أفلح في شق الصف الوطني، وتشكلت «فصائل السلام» وهي قوات سلحها الإنجليز لمقاومة الثورة، وأصبحت هذه القوات تحاول منع الثوار من الدخول إلى بعض القرى بما في ذلك بعض قرى منطقة القدس والخليل. وأن الجيش البريطاني أخذ يستعد لخوض معارك فاصلة لإنهاء

الثورة،. خاصة بعد تأزم الوضع الدولي العالمي واحتمال نشوب حرب عالمية بين ألمانيا وحلفائها من جهة وبين بريطانيا وحلفائها من جهة أخرى.

في تلك الفترة وصل عبد القادر الحسيني ومعه عدد من الثوار إلى منطقة القدس ليستأنفوا قتالهم ضد الإنجليز، وليقوموا بإخماد الفتنة التي أوجدتها فصائل السلام والتي كانت تتمركز في قرية المالحة وقرية الولجة.

واتخذ عبد القادر من نفس القرى قاعدة لشن عدة هجمات على مواصلات الجيش وعلى المستعمرات اليهودية المجاورة، وكان عبد القادر رحمه الله كعادته يلتهب حماسا وثقة بالنفس ولا يتوقف عن شن الهجمات المتلاحقة ولا يستريح هو ورجاله.

ذهل الإنجليز لما رأوه من بطولة عبد القادر ورجاله، وما شاهدوه من ثباتهم، فقرروا التخلص منه والقضاء على رجاله، فتعقبه الجيش من مكان إلي آخر، وعبد القادر يتنقل مثل البرق، فلا يكاد الجيش يطوقه هو ورجاله حتى يجدوا لهم مخرجا، حتى كان يوم ٤ تشرين أول ١٩٣٨، حيث وقعت معركة بني نعيم الكبرى، على بعد ثمانية كيلومترات إلى الشرق من مدينة الخليل، وهي أشد معركة عرفتها ثورة فلسطين حينئذ.

ففي يوم ٤ تشرين الأول كان عبد القادر ورجاله على موعد للإلتقاء بعبد الحليم الجولاني ورجاله في قرية بني نعيم التي كانت في ذلك الوقت هي وقرية يطا وعدة قرى أخرى مجاورة تعتبر واقعة تحت سيطرة فصائل السلام، وهذا لا يعني أن جميع سكان هذه القرى كانو يؤيدون موقف فصائل السلام. وفي نفس اليوم كان مختار قرية يطا المجاورة قد وجه دعوة إلى القائد العام للجيش البريطاني لتناول طعام الغداء في يطا بصحبة فخري النشاشيبي، متحدين مشاعر غالبية الأهلين، ومحاولين التأثير على معنوية الثوار وفض

الناس من حولهم. ولما كان الجيش البريطاني يعرف خطورة الوصول إلى يطا، فقد وصلت صباح ذلك اليوم قوة كبيرة من الجيش البريطاني تقدر بثلاثة آلاف جندي إلى قرية يطا مارة من مدينة الخليل معززة بالطائرات، وذلك لحراسة الضيوف المميزين.

وبعد الظهر اكتشف الجيش البريطاني وجود الثوار في بني نعيم، وهناك أقوال بأن أحد أهالي بني نعيم بلغ الجيش عن وجود الثوار، والأرجح أن الطيران البريطاني هو الذي اكتشفهم. وقام الجيش بضرب حصار واسع النطاق حول منطقة بني نعيم، وبدأت المعركة بهجوم جوي وبري، استخدم فيها الجيش (٢٧) طائرة حربية قاذفة مقاتلة من طراز(ولنغتن) كانت تعتبر من أحدث الطائرات في ذلك الوقت، والتي كانت تحمل عددا كبيرا من القنابل شديدة الإنفجار،ولا تؤثر فيها نيران البنادق والرشاشات(٣١).

هاجمت الطائرات القرية بإسقاط أعداد كبيرة من القنابل، وفي نفس الوقت كانت آليات ومشاة الجيش البريطاني قد وصلت أطراف القرية من جهة الغرب. وأمر عبد القادر رجاله بمغادرة القرية حرصا عليها من الدمار، وانتشر رجاله إلى الشرق والشمال من القرية، يقاتلون وينسحبون. وانسحب عبد الحليم ورجاله إلى الجنوب. ودارت معركة غير متكافئة في أرض عراء خالية من الأشجار لعب فيها عنصر المفاجأة وسلاح الجو دورا رئيسيا، حيث ظل يطارد الثوار إلى آخر النهار. وسقط العديد من الشهداء والجرحى، وأصيب القائد عبدالقادر الحسيني برصاصة في خاصرته كادت تخترق رئته وكان إلى جانبه ابن عمه المهندس علي الحسيني وصبحي أبو غربية، فساعداه على المشي والإبتعاد عن الخطر، وطلب منهما عبد القادر أن يتركاه في أرض المعركة وأن ينسحبا إلى مكان آمن شعورا منه أنه ميت لا محالة فرفضا ذلك واستمرا على

(٣١) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٩ عام ١٩٨ ،ص٤٢

مساعدته بالسير حينا والتوقف للرد على رصاص مشاة الجيش الذين يلاحقونهم حينا آخر، ولم يلبث على الحسيني أن أصيب برصاصة قاتلة خر على أثرها شهيدا، وأصيب صبحي أبو غربية في ذراعه وكتفه بالرصاص وبعدة شظايا في رأسه، وسقط أرضا كما سقط عبد القادر أرضا وغاب عن الوعي، واعتقد صبحي أن عبد القادر قد استشهد(٣٢).

وبعد أن توقفت المعركة، قام بعض الثوار بنقل القتلى والجرحى، وعند الصباح وجدوا عبد القادر جريحا وما يزال حيا، فنقلوه سرا إلى مستشفى في مدينة الخليل، وعولج في المستشفى لمدة أسبوع، ثم نقله أعوانه إلى بيت أحد الأصدقاء في الخليل، ومنها نقلوه إلى شرقي الأردن ثم إلى دمشق، حيث أدخل المستشفى لاستكمال علاجه حيث كانت إحدى الرصاصات قد اخترقت رئته اليمنى، إلى أن من الله عليه بالشفاء(٣٣).

وهكذا خاض عبد القادر هذه المعركة البطولية بنحو (٤٠) رجلا ضد (٣٠٠٠) جندي يعززهم ألف رجل من البوليس اليهودي وحرس الحدود، وسبع عشرة مصفحة وبطاريتا مدفعية ورشاشات ثقيلة، و(٢٧) طائرة حربية. وقد اعترف الجيش البريطاني بإصابة خمسين من جنوده، إلا أن العدد الحقيقي كان ضعف ذلك.

أما المجاهدون فقد خسروا (١٦) شهيدا ومن بينهم: علي الحسيني، وإبراهيم خليف، وعبد الله أبو ريا، ويوسف سمرين، وعددا آخر من المجاهدين. كما استشهد بعض الأهالي وثلاث نساء من قرية بني نعيم، كن يسقين المجاهدين(٣٤).

---

(٣٢) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٤٩ عام ١٩٨٩ ،ص٤٣

(٣٣) محسن ، عيسى خليل : فلسطين الام ،ص١٩٢ عن مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٣٤) محسن ، عيسى خليل : فلسطين الام وابنها البار عبد القادر الحسيني ، ص١٩١

معركة صانور الثانية:

في مطلع عام ١٩٣٩ توجه القائد العام للثورة عبد الرحيم الحاج محمد إلى دمشق، والتقى بالمفتي الحاج أمين الحسيني، وبحث معه أوضاع الثورة وما تحتاج إليه من سلاح ومساعدات(٣٥). وبعد أن أمضى قرابة الشهر فيها، قرر العودة إلى فلسطين لاستئناف الجهاد. وفي ٢٦ آذار ١٩٣٩ عاد مع نفر من إخوانه المجاهدين، وكان في استقباله على نهر الشريعة (الأردن) بمنطقة طوباس المرحوم أحمد الحاج حسين -وهو من وجهاء صانور المعروفين- فاصطحبه ومن معه من المجاهدين إلى صانور. وبات القائد تلك الليلة في ديوانه وتوزع المجاهدون كعادتهم للمبيت في ديوان مختار القرية فريد الحاج محمود وبيوت أخرى. وقبل المبيت أوفد القائد مرافقه المجاهد سليمان أبو خليفه ليلا ليقابل المجاهدين في عدد من القرى المجاورة، ليوافوه في صباح اليوم التالي في قرية الفندقومية لاستئناف الجهاد. فقام بالمهمة التي كلف بها وعاد مرهقا، وبات في ديوان المختار.

وكان عملاء الإنجليز يتابعون القائد منذ خروجه من دمشق واتجاهه إلى قرية صانور. في فجر تلك الليلة ١٩٣٩/٣/٢٧ كانت قوات كبيرة من الإنجليز بصحبة أحد العملاء تطوق البلدة ويعتلي أفرادها سطوح المنازل ويحاصرون الثوار. ولم يكن في تلك الليلة في البلدة من الثوار سوى مجموعة من فصيل المرحوم فوزي جرار بالإضافة إلى المجاهدين الذين كانوا يرافقون القائد. وتمكن عدد من الثوار من الإختفاء داخل البلدة. أما القائد رحمه الله فقد رفض الإختفاء رغم الإلحاح الشديد من اهل البلدة للقيام بإخفائه، وقرر أن يصلي الفجر وينطلق بجواده مهما كانت النتائج، ليلتقي مع إخوانه المجاهدين ويبدأ المعركة مع الأعداء. وقد استطاع أن يتجاوز الطوق الأول والطوق الثاني. ولما

---

(٣٥) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الثالث ، ص١٦٢

وصل خارج القرية من الجهة الشرقية أصابته رصاصة في جسده سقط على إثرها عن حصانه، وكان يصحبه رفيقه في الجهاد سعيد سليم-بيت إيبا، فطلب منه القائد أن يمضي في سبيله(٣٦). وقد بلغت بطولة المجاهد الكبير حدا جعل الإنجليز يؤدون له التحية العسكرية وهو مسجى على الأرض شهيدا.

وكانت قوات الإنجليز في نفس الوقت قد حاصرت ديوان المختار، ولم يجرؤ أحد منهم على اقتحامه، فخرج إليهم المجاهد سليمان أبو خليفة، ودارت معركة غير متكافئة استشهد فيها أبو خليفة رحمه الله.

وفي يوم استشهاد المجاهدين في صانور قام الإنجليز بالقبض على جميع الرجال في القرية ووضعوهم فترة في ساحة المدرسة بلا ماء أو طعام، ثم نقلوهم إلى سجن عكا، وقاموا بإجلاء النساء والأطفال إلى قرية ميثلون المجاورة لعدة أيام. قاموا خلالها بعملية تفتيش للبيوت بيتا بيتا بأسلوب يتعمد التخريب أكثر من التفتيش، فكسروا الأبواب ونهبوا بعض الموجودات في البيوت، وأتلفوا جميع المؤن المخزونة بعد طرح بعضها فوق بعض من قمح وطحين وسكر وأرز وغيرها، وصبوا فوقها ما وجدوا فيها من بترول (كاز) وزيت الزيتون، ومزقوا ما وجدوه فيها من فراش وأثاث.

وقاموا خلال عملية التفتيش بنسف ديوان المرحوم أحمد الحاج حسين وبيت أخيه كامل الحاج حسين، وديوان المختار فريد الحاج محمود وقسما كبيرا من بيت إخوانه المجاور للديوان، ونسفوا ديوان الشيخ محمد اليوسف، وبيت المرحوم فوزي الفياض، كما نسفوا عددا كبيرا من بيوت القرية. وبقيت القرية مطوقة بالعساكر خمسة وعشرين يوما. ومختارها -الذي أبقوه وحيدا- يقاسي أشد العذاب والإرهاب، فكانوا يهددونه بالسجن وتارة بالقتل طالبين منه أن يدلهم على مخابئ الثوار، وهو صابر على كل ما يلاقي من إيذاء. ولا تزال آثار جرائمهم من هدم للبيوت وغيرها شاهدة عليهم حتى اليوم.

---

(٣٦) عودة ، زياد : كتاب عبد الرحيم الحاج محمد "بطل .. وثورة" ص١٤٢

وبعد إن خفت عملية التفتيش تمكن المناضل فوزي جرار ومجموعته من مغادرة مخابئهم واللجوء إلى قرية كفرقود والبارد، وقامت مجموعة نساء كفرقود بإخفائهم في بئر النبي شبل بين البارد وكفرقود مدة عشرة أيام ريثما خفت حدة ملاحقتهم والتفتيش عليهم(٣٧).

يروي المؤرخ أكرم زعيتر في يومياته نبأ استشهاد القائد أبي كمال فيقول:(٣٨) «*فوجئنا ليلة أمس - أي ليلة ١٩٣٩/٣/٢٨ - براديو القدس يذيع نبأ مقتل القائد الثائر عبد الرحيم الحاج محمد(أبو كمال)، فكانت صدمة شديدة. وكل ما أذاعه الراديو المشؤوم أن أبا كمال كان في قرية صانور الواقعة جنوبي شرقي مدينة جنين، وأن القوة داهمت القرية فحاول الإفلات من الجيش فقتل هو ومرافقه الخاص*».

وعلمنا اليوم بعض التفاصيل عن الحادث، فقد قامت قوات الإنجليز يوم الأثنين ٢٧ منه، بهجوم على منطقة صانور وحاصرت القرية التي كان البطل فيها، في السادسة من صباح ذلك اليوم، واشتبكت مع المجاهدين حتى الرابعة بعد الظهر. ولنفاد الرصاص لدى المجاهدين جرى التحام بالسلاح الأبيض. واستشهد القائد وعدد من رفاقه وجرح رفيقه المجاهد سليمان أبو خليفة (أبو فارس) جرحا بليغا وما لبث حتى توفي. وأذيع النبأ فاضطربت فلسطين كلها حدادا على البطل وتمجيدا له. وأنا لا أعرف من قادة الثورة من ظفر باحترام الإنجليز كأبي كمال، فقد كنا نقرأ تقدير الإنجليز له واحترامهم إياه.

وبعد هذا اطلعت على صورة البلاغين الرسميين اللذين أذاعتهما السلطة في فلسطين، ففي الأول تقول:«وصلت إخبارية إلى الحكومة تقول أن عصابة

---

(٣٧) مقابلة مع الحاجة نجمة عبد الله غانم (من كفر قود) في عمان في شهر ٨/ ١٩٩٠

(٣٨) زعيتر ، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية (اليوميات) ، ص٥٨٧

كبيرة برئاسة الزعيم المعروف عبد الرحيم الحاج محمد وتضم الزعيم سليمان أبو خليفة، وصلت إلى إحدى قرى السامرة، صانور، وفي الحال أرسلت قوة من الجيش تساعدها الطيارات إلى مكان الحادث. وما كادت العصابة تشعر بوصول الجند حتى بادر أحد أفرادها إلى اختراق النطاق المضروب محاولا الفرار، فأطلق عليه الجند الرصاص فقتل على الأثر. وثبت فيما بعد أنه عبد الرحيم الحاج محمد نفسه الذي كان من كبار زعماء الثورة الحاضرة. والمعروف أنه كان متغيبا منذ مدة خارج فلسطين، وقد جرح أيضا الزعيم الآخر سليمان أبو خليفة وقبض الجند عليه. أما العصابة فعملت القوات على تطويقها وهي تحاول الآن القبض على أفرادها». وفي البلاغ الثاني: «توفرت الآن المعلومات التالية عن الإصطدام الذي وقع في قرية صانور عندما قتل عبد الرحيم الحاج محمد. فقد عثر على المواد التالية: خمس مسدسات و ٧٠٠ رصاصة و ١٢٠٠ كبسولة، ووجد مسدسان مع عبد الرحيم الحاج محمد وثلاثة مع رفيقه سليمان أبو خليفة الذي جرح وأسر ثم مات بعد ذلك متأثرا من جراحه. وقد أغلقت اليوم حيفا ويافا وطولكرم والرملة واللد وغزة ونابلس حدادا على عبد الرحيم الحاج محمد».

وكتب قائد القوة البريطانية التي داهمت صانور «جيوفري مورتن»، في مذكراته عن القائد الشهيد فقال(٣٩): *«ولم يكد خبر استشهاده يذاع في البلاد، حتى أقفلت الحوانيت حدادا على الرجل الذي كان يتمتع بالإحترام. أما السلطات في فلسطين فلم تكد تسمع الخبر حتى جاءنا منها الكثيرون لكي يشهدوا نجاحنا في مقاومة أعمال المسلحين، منهم اللورد غورت رئيس أركان حرب الإمبراطورية قبل الحرب العالمية حين أصبح فيلدمارشال ثم مندوبا ساميا على فلسطين، ثم الجنرال هاينتج القائد العام في فلسطين ثم قائد فرقة حيفا والجنرال مونتغمري الشهير»*.

---

(٣٩) العابدي، محمود: أوابد من التاريخ، ص٢١٩

لقد كان الشهيد عبد الرحيم محمد بطلا من ابطال الجهاد نازل البريطانيين في المنطقة الشمالية وانزل بهم خسائر لا تنسى وكان إسمه يتداول بين جموع القوات البريطانية مخيفا مرعبا، وحين إستشهد في المعركة حزنت كل فلسطين لفقده وسط الثورة التي كان هو احد اركانها، ولم يخف شعب فلسطين حداده على القائد الشهيد، بل رفعت المنازل الاعلام السوداء، واقامت المساجد صلاة الغائب واقيمت في اغلب المنازل التعازي والمآتم، وتقول برقية رويتر (ان شعب فلسطين فوجيء بنبأ مصرع قائد الثورة المعروف عبد الرحيم الحاج محمد فكان لهذا النبأ رنة حزن في جميع انحاء البلاد، واضربت مدن طولكرم ويافا ونابلس والناصرة والرملة وغزة كما اضربت القدس وحيفا وطبريا وصفد واللد وعكا وبيسان والخليل وبيت لحم وبئر السبع ورام الله والمجدل وسائر المدن الفلسطينية حدادا على القائد الشهيد(٤٠).

اما في صانور فقد حزن جميع اهل القرية على الفقيد الشهيد الذي كان يعتبر صانور ومنطقتها قاعدة رئيسية من قواعد الثورة، وقام المرحوم احمد الحاج حسين بوضع علامة تذكارية في الموقع الذي استشهد فيه القائد ذكرى للاجيال التي تسير على درب الشهيد.

انحسار الثورة ونهايتها ١٩٣٩:

استمرت الثورة مدة من الزمن الى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية بقليل واعلنت اللجنة المركزية لقيادة الثورة العزم على متابعة الجهاد الى ان تعدل الحكومة الانجليزية نهائيا عن موقفها وسياستها المريبة، غير ان الثورة عام ١٩٣٩ لم تستمر على الدرجة نفسها من القوة والانتشار كما كانت في السنة

(٤٠) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص٢٦٤ عن جريدة الاهرام في ٢٩ مارس ١٩٣٩

السابقة.. فعلى الرغم من الكفاح المهر الذي خاضعة شعب فلسطين ضد هجمات الجيش البريطاني والارهاب الصهيوني وبالرغم من المعارك العسكرية الضارية التي جرت سنة ١٩٣٩ فقد بدأت الثورة بالانحسار في هذا العام وهبط معدل العمليات اذ بلغ مجموعها ٩٥٢ عملية بينما كان في سنة ١٩٣٨ (٤٩٦٩) عملية وافلت زمام المبادرة من ايدي الثوار وانتقل الى ايدي القوات البريطانية بالتعاون مع الجهات الصهيونية والعناصر العربية المعادية للثورة وكان ذلك نتيحة مجموعة من العوامل والاسباب واهم هذه العوامل:

١ . تدهور الاوضاع في اوروبا نحو الحرب العالمية(٤١).

ان وصول الحركة النازية الى الحكم في المانيا بقيادة هتلر في الثلاثينات كانت له اثار متعددة على قضية فلسطين فمن ناحية ازدادت الهجرة اليهودية الى فلسطين اتساعا واصبحت الحركة الصهيونية اكثر نشاطا وتصميما على تنفيذ برنامجها: ومن ناحية ثانية رأت بريطانيا ان احتمال نشوب حرب عالمية يستوجب القضاء على ثورة شعب فلسطين باي ثمن نظرا لاهمية منطقة المشرق العربي البترولية والعسكرية. ومن ناحية ثالثة وخصوصا عندما اندلعت الحرب في شهر ايلول سبتمبر ١٩٣٩ ساد الشعور بان نتائج الحرب سيكون لها الاثر الحاسم على مستقبل فلسطين، الامر الذي ادى الى نوع من النزوع الى موقف الترقب وتعليق الانظار والآمال على نتائج الحرب .

٢ . الاجراءات العسكرية البريطانية.

منذ أواخر سنة ١٩٣٨ بدت بريطانيا مصممة على انهاء الثورة، ففي شهر تشرين الاول ١٩٣٨ واثناء وجود المندوب السامي هارولد مكمايكل في

---

(٤١) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٥٠ عام ١٩٨٩ ،ص٣٩

بريطانيا وضعت في لندن خططا ترمي الى انهاء الثورة وحمل العرب على التزام الهدوء اثناء الحرب المتوقع نشوبها مع المانيا، وبناء على ذلك نقلت على عجل فرقة ثانية من الجيش البريطاني الى فلسطين مما استدعى دعوة الاحتياطي البريطاني للخدمة وأذيعت من لندن برقية تفيد ان اعظم عمليات عسكرية سوف تشهدها فلسطين حين يبدأ الجنرال هايننغ الهجوم العام الذي يرمي الى كسر شوكة العرب مستخدما فرقتين عسكريتين وعددا من اسراب الطائرات والدبابات والمدرعات ورجال البوليس البريطاني وقوة حدود شرقي الاردن بالاضافة الى القوات اليهودية، وكان من رأي المندوب السامي (مكمايكل) ان احتمالات نشوب الحرب قد تضطر بريطانيا الى تحويل وجهة التعزيزات العسكرية المطلوبة الى اماكن اخرى ولذلك دعا الى الاسراع بتنظيم قوات يهودية بالاضافة الى القوات القائمة وقد وصف بعض البريطانيين مجمل الخطة (بانه احتلال فلسطين عسكريا من جديد واعادة الحكم البريطاني اليها) .

بدأت الاجراءات العسكرية في اواخر شهر تشرين الاول بانتقال ادارة جميع البلاد من السلطات المدنية الى السلطات العسكرية ثم قامت السلطات العسكرية بسلسلة من الهجمات وعمليات التطويق والتفتيش الواسعة مستخدمة سلاح الجو والقوات المدرعة والمدفعية على نطاق واسع، وشيئا فشيئا، اعاد الجيش احتلال عدد من القرى واقام فيها حاميات عسكرية دائمة ليحرم الثوار من قواعدهم ومن العودة اليها، كما اعاد سيطرته على المدن وصاحب ذلك عمليات اعتقال واسعة وفرض منع التجول لفترات طويلة، ونسف البيوت واتلاف المؤن واعدام العشرات .

كما قام اليهود بالتنسيق والتعاون مع الجيش البريطاني بعدة عمليات عسكرية وارهابية ضد العرب وقد زيدت القوات الصهيونية زيادة كبيرة بحيث اصبح عددها الرسمي حوالي ٢٠ الف رجل تولت حراسة المستعمرات والقوافل

الصهيونية وشنت هجمات واسعة على المدنيين العرب في القرى والضواحي والمدن تحت سمع السلطات البريطانية وبمساعدتها.

٣. عزل الثورة عن محيطها العربي:

في سنة ١٩٣٩ ازدادت النشاطات البريطانية لعزل الثورة عن محيطها العربي فقامت بتشديد الحراسات على الحدود مع سوريا ولبنان وشرقي الاردن، كما قامت بعدة اجراءات داخل شرقي الاردن كاعتقال اقارب الاردنيين الذين يشاركون في الثورة ومقاومة بيع الاسلحة والذخائر للفلسطينيين كما احبطت جميع الجهود التي بذلت للحصول على السلاح والعتاد من الحكومات العربية.

وكان لموقف الفرنسيين في سوريا ولبنان وتضامنهم مع الانجليز في اوائل الحرب العالمية الثانية دور كبير في صعوبة تزويد الثوار بالاسلحة والذخيرة فقد قامت السلطة الفرنسية بتشديدالحصار والمراقبة على المجاهدين في ذهابهم وايابهم على الحدود ما سبب قطع الامدادات عن الثوار، وكذلك على المفتي ورجاله المقيمين في سوريا ولبنان، وباشتداد الوطأة الفرنسية اضطر معظم الباقين من رجال الحركة الوطنية والمجاهدين الى مغادرة سوريا، وبعد مطاردة المجاهدين في دمشق وسائر المدن السورية ضغطت بريطانيا على فرنسا لتسليمها المفتي، فانتقل في غفلة من الفرنسيين الى العراق.

٤. إنهاك شعب فلسطين:

ان الاضراب العام لمدة ستة اشهر وحرب العصابات لحوالي اربع سنوات ضد القوات البريطانية والقوات الصهيونية وما صاحبها من بطش وتنكيل ادت في النهاية الى انهاك العرب وقد سجلت سنة ١٩٣٩ زيادة كبيرة في اعمال البطش والقتل والاعدام والتنكيل ادت الى تدهور الاوضاع الاقتصادية، وتقدر الجهات الفلسطينية عدد العرب الذين استشهدوا واعتقلوا خلال ثورة فلسطين بحوالي

٨٠٠٠ ثمانية الاف شخص، يضاف الى ذلك تأثير الانقسام في صفوف عرب فلسطين وانحياز البعض الى جانب السلطات البريطانية ضد الثورة، كما ان اجواء الحرب العالمية مهدت للسلطة سهولة جمع السلاح ومطاردة القادة والمجاهدين.

٥. ضرب القيادة الفلسطينية:

قامت السلطات البريطانية بضرب القيادات السياسية الفلسطينية كاللجنة العربية العليا واللجان القومية بالاضافة الى ذلك تلقت القيادات العسكرية العربية ضربات كثيرة مما ادى الى فقدان القيادة المركزية خصوصا بعد استشهاد عدد من القادة الكبار واضطرار عدد آخر إلى مغادرة البلاد فقد استشهد الشيخ فرحان السعدي (أعدمه الانجليز) والشيخ عطيه احمد وعبد الله الاصبح والقائد العام للثورة عبد الرحيم الحاج محمد الذي استشهد في صانور في ٢٧ آذار ١٩٣٩ وعارف عبد الرازق ويوسف أبو دره الذي سلم الى الانجليز بعد خروجه من فلسطين فأعدموه(٤٢).

٦. النشاطات السياسية البريطانية

لقد رافق النشاط العسكري البريطاني في فلسطين نشاط سياسي واسع استهدف التأثير على نفسية الشعب سعيا لاخماد الثورة، فقد بدت بريطانيا من خلال نشاطها السياسي وكأنها تريد ارضاء العرب باجراء حل للقضية الفلسطينية وفي نفس الوقت كانت تعمل على توسيع خلافات العرب وانقسامهم وانضمامهم الى معسكرها في الحرب المتوقعة.

ففي التاسع من تشرين الثاني ١٩٣٨ نشر تقرير لجنة التقسيم(لجنة

---

(٤٢) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٥ عام ١٩٨٩ ص٤١

ودهد)مع بيان لسياسة الحكومة البريطانية الغت به مشروع لجنة بيل لتقسيم فلسطين، على اساس انه لا يمكن تطبيقه ودعا البيان الى القيام بمحاولة جديدة لحل المشكلة الفلسطينية عن طريق عقد مؤتمر في لندن للزعماء العرب واليهود ويشترك فيه ممثلون عن الدول العربية المستقلة، وقد بذلت حكومات: العراق ، والمملكة العربية السعودية وشرقي الاردن جهودا ملموسة لوضع حد للثورة الفلسطينية بدعوى (تهيئة اسباب النجاح لمؤتمر لندن) .

وافتتح المؤتمر في لندن في السابع من فبراير ١٩٣٩ وشاركت فيه مصر والعراق والسعودية وشرقي الاردن واليمن اضافة الى الوفد الفلسطيني، وطرحت بريطانيا على المؤتمر اقتراحات تنطوي على انهاء الانتداب، وعقد مؤتمر مائدة مستديرة في خريف ١٩٣٩ يوضع خلاله دستور دولة فلسطين المستقلة تحت الحماية البريطانية، واعلنت بريطانيا حلا منفردا يفرض على العرب واليهود، واصدرت الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩، وأثار صدور الكتاب الابيض خلافات عربية وفلسطينية فالامير عبد الله وحزب الدفاع وافقا على السياسة البريطانية الجديدة[٤٣]، ووقعت خلافات داخل اللجنة العربية العليا، الامر الذي كانت له اثار سلبية على الثورة وكانت اكثرية عرب فلسطين لاتثق بنيات الحكومة البريطانية ولذلك تعذر عليهم قبول سياستها ونادوا باستمرار الثورة وبعثها من جديد ولكن مما لا شك فيه ان اعلان سياسة الكتاب الابيض اضاف عاملا جديدا الى عوامل اضعاف الثورة وما ان اعلنت الحرب العالمية الثانية في ١٩٣٩/٩/١ حتى اصبحت الثورة تسير نحو الاضمحلال.

وتوقفت الثورة التي استمرت سنوات طويلة، توقفت خلال الشهر الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية، ولم يكن بد من توقفها وما كان بيد احد من البشر بعيش الآلام التي عاشها شعب فلسطين ان تستمر ثورته بعد ذلك التاريخ.

(٤٣) الكيالي ، د. عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، ص٣٥٧

فقد انهكت المظالم البريطانية قوى الشعب العربي الفلسطيني، ولم يعد هناك سكان قرية لم تفرض عليهم غرامات جماعية تحت طائل من قانون العقوبات المشتركة.

وكانت القيادة مشردة كان المفتي لاجئا في لبنان وكان يدير الحركة الوطنية من ملجئه وكان يجب ان تدور حركته في اضيق الحدود والا طردته فرنسا وحرمت عليه البقاء هناك، ولم يكن في إمكان الشعب الفلسطيني ان يستمر في ثورته وقد احكم اغلاق الطوق عليه من جميع الجهات وتلقي الضربات المتتالية فضعف جهده وتبعثرت قواه(٤٤).

نتائج الثورة وتقييمها:

ان الذي يتابع احداث ثورة ٣٦-١٩٣٩ يخرج منها بمجموعة نتائج وملاحظات اهمها:

- ان هذه الثورة حققت هدفا اساسيا مرحليا من الاهداف التي كافحت من اجل تحقيقها، وهو موافقة بريطانيا في «مؤتمر سان» جيمس بلندن عام ١٩٣٩ على الحد من عدد المهاجرين اليهود ومن عمليات بيع الاراضي لهم خلال مدة انتقالية مدتها عشر سنوات يعقبها ايقاف كامل للهجرة الى البلاد إلا في حالة موافقة العرب انفسهم، وهذا يعني صراحة طي مشروع التقسيم الذي أوصت به اللجنة الملكية عام ١٩٣٧.

- ان الثورة حققت للفلسطينيين وللعرب انتصارات سياسية ودبلوماسية كبيرة فضلا عن الانتصارات العسكرية واحالت قضية فلسطين عمليا الى قضية عربية عامة وقضية اسلامية.

---

(٤٤) ابو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين ، ص٢٧٤

- من النتائج الهامة للثورة كشفها القيادات المحلية المتخاذلة والانظمة العربيةالتي تدخلت في قضية فلسطين، بشكل اسهم في اجهاض الثورة اضافة الى كشفها الحلف الامبريالي - الصهيوني في المنطقة(٤٥).

- ان الثورة العربية الكبرى في فلسطين قد قدمت نموذجا رائعا للشجاعة والتحدي افادت تجربتها الكفاحية الفريدة بالكثير من الدروس.

- إن ثورة فلسطين قد حققت نجاحا كبيرا من حيث اعتبارها اعلانا واسعا وتعبيرا دمويا عن رفض شعب فلسطين للتنازل عن حقوقه في وطنه ورفض سياسة وعد بلفور واقامة الدولة اليهودية وقد برزت هذه الحقيقة الهامة علي جميع المستويات.

اما انه لم يستطع ارغام بريطانيا على تغيير سياستها ومخططها الاستعماري الصهيوني فحسب، انه حاول ذلك بكل ما يستطيع من قوة ضد قوى كبيرة عاتية مما يحفظ له حقوقه في وطنه ويكون حافزا للاجيال القادمة للجهاد من اجل الوصول الى هذه الحقوق.

- ان الثورة لم تفشل مع انها لم تتمكن من تحقيق اهدافها الرئيسية

. لقد قدمت الاف الشهداء والضحايا واجبرت بريطانيا على استخدام اكبر قادتها العسكريين واحدث اسلحتها وجيوشها البرية والجوية وعلى استدعاء الاحتياطي العام سنة ١٩٣٨ كما اجبرتها على محاولة استرضاء العرب سنة ١٩٣٩.

- ان شعبنا كان متخلفا بالنسبة لحضارة الاعداء فلم يكن هناك تكافؤ

---

(٤٥) الموسوعة الفلسطينية - المجلد الاول ، ص٦٣٦

في القوى وان فعاليات العدو الكبيرة، فعاليات الاستعمار والصهيونية كان لها اكبر الاثر فيما جرى كما ان الاوضاع العربية والظروف الدولية العالمية لم تكن في صالحنا(٤٦).

- لقد كان لثورتنا بعض الاخطاء ويرى البعض ان الاغتيالات السياسية التي لازمت الثورة كانت من ابرز اخطائها مع العلم انه يوجد رأي مخالف لهذا وهو ان الاغتيالات كانت الوسيلة الوحيدة التي لا بد منها للوقوف دون مأساة بيع الاراضي والتعاون مع الاعداء بشل ايدي السماسرة والخونة.

فللثورة حق في حماية نفسها، وهي ملزمة بحكم واجب الدفاع عن كيانها وعن اهدافها ان تقف في وجه العدو المستتر من العملاء الذين يعملون لصالح المستعمرين وقد تحملت الثورة مسؤوليتها في القضاء على هؤلاء الا ان تعدد الجهات التي كانت تقدم على عمليات الاغتيال لاسباب وطنية عامة او لاسباب شخصية اوبناء على تقارير ومعلومات خاطئة ادى في النهاية الى الفوضى، فالأمر لم يكن كله بيد القيادات العسكرية والسياسية للمجاهدين، فقد كان البعض يقدم على الاغتيالات لاسباب شخصية واحيانا كان اليهود وسلطة الانتداب يقدمون على هذا لاثارة الفتن، ولكن لا يجوز باي حال من الاحوال بسبب خطأ فردي ان يقدم بعض الافراد على التعاون مع المستعمر ضد الثورة لان هذا العمل يعتبر خطراً على الثورة كما انه يزيد من عملية الاغتيالات.

- واخيرا فقد كانت ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ إحدى معاركنا الجهادية من أجل الحرية والاستقلال والمحافظة على مقدسات أمتنا ولم تكن الاخيرة في صراعنا مع الباطل وليس من السهل ان يحسم شعبنا الصراع ضد الاعداء بسرعة وقدرنا ان نخوض المعارك الطويلة جيلا بعد جيل الى ان نحرر ارض الاسراء والمعراج من كل رجس وظلم وطغيان.

---

(٤٦) مذكرات بهجت ابو غربية : مجلة القدس الشريف - العدد ٥٠ عام ١٩٨٩ ،ص ٤٧

المصادر والمراجع

مراجع عامة :

١. أبو لغد، د. إبراهيم : تهويد فلسطين (الكويت : رابطة الإجتماعيين)، ١٩٧٢.

٢. أبو غربية، بهجت (مذكرات): مجلة القدس الشريف - الأعداد ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.

٣. أبو يصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، (بيروت: دار الفتح)، ١٩٧١.

٤. أبو النصر، عمر : جهاد فلسطين العربية، بيروت، ١٩٣٦.

٥. الباقوري، أحمد حسن : بقايا ذكريات، (القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر) ١٩٨٨.

٦. البنا، الإمام حسن : مذكرات الدعوة والداعية، (بيروت : المكتب الإسلامي)، ١٩٧٤.

٧. توينبي : دراسة في التاريخ - المجلد الثامن.

٨. جرار، حسني أدهم : الحاج أمين الحسيني «رائد جهاد وبطل قضية، (عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع)، ١٩٨٧.

٩. جرار، حسني أدهم : الشيخ عز الدين القسام «قائد حركة وشهيد قضية»، (عمان : دار الضياء)، ١٩٨٩.

١٠. جرار، عبد الهادي : تأريخ ما أهمله التاريخ، (عمان : دار الجليل)، ط١، ١٩٨٨.

١١. حجازي، عرفات : فلسطين أرض البطولات.

١٢. الحكيم، يوسف : سورية في العهد الفيصلي، (بيروت : دار النهار)، ١٩٨٢م.

١٣. حمودة، سميح : الوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ القسّام، (عمان : دار الشروق)، ١٩٨٥م.

١٤. الحوت، بيان نويهض : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨، (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، ١٩٨١م.

١٥. خلّة، د. كامل : فلسطين والإنتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٣٩، (بيروت : مركز الأبحاث في منظمة الأبحاث الفلسطينية)، ١٩٨١م.

١٦. خلف، علي حسين، تجربة عز الدين القسام، (عمان : دار ابن رشد)، ١٩٨٤.

١٧. الدبّاغ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين، جـ٢ - ق٢، جـ٣ - ق٢، جـ١٠ - ق٢، (بيروت : رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل)، ١٩٧١م.

١٨. دروزة، عزة : القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة جـ١، (صيدا : المكتبة العصرية).

١٩. دروزة، عزة : حول الحركة العربية الحديثة - ٦ أجزاء، (صيدا : المكتبة العصرية)، ١٩٥٠م.

٢٠. الرضيغي، يوسف رجب : ثورة ١٩٣٦ في فلسطين (دراسة عسكرية)، (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية)، ١٩٨٢م.

٢١ . زعيتر، أكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية «اليوميات» ١٩٣٥ - ١٩٣٩، بيروت ١٩٨٠م.

٢٢ . زعيتر، أكرم : القضية الفلسطينية، (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥).

٢٣ . زعيتر، أكرم : أوراق خاصة، المجموعة الثالثة، الوثيقة رقم ٢٠ (محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية).

٢٤ . السباعي، مصطفى : الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، دار النذير.

٢٥ . السيد أحمد، عبد العزيز : عز الدين القسّام رائد النضال في فلسطين، ١٩٧٧.

٢٦ . السفري، عيسى : فلسطين العربية بين الإنتداب والصهيونية جـ٢، (القدس ١٩٣٧).

٢٧ . الشاعر، محمد : الحرب الفدائية في فلسطين (بيروت : ١٩٦٧).

٢٨ . الشنّاوي، د. فهمي : مجلة الدوحة - العدد ١١٦، آب ١٩٨٥.

٢٩ . العابدي، محمود : أوابد من التاريخ، (الأردن : جمعية عمّال المطابع التعاونية)، ١٩٧٨.

٣٠ . عودة، زياد : من رواد النضال في فلسطين جـ١، جـ٢، (عمان : دار الجليل للنشر)، ١٩٨٨م.

٣١ . علي، د. فلاح خالد : فلسطين والإنتداب البريطاني.

٣٢ . العياشي، غالب : تاريخ سورية السياسي من الإنتداب إلى الإنقلاب ١٩١٨ -١٩٤٥، دمشق، ١٩٥٤.

٣٣. الغوري، إميل : المؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين، (القاهرة : دار النيل للطباعة)، ١٩٥٥م.

٣٤. الغوري، إميل : فلسطين عبر ستّين عاما جـ١، جـ٢، (بيروت : دار النهار للنشر)، ١٩٧٢م.

٣٥. الكرمي، عبد الكريم : ديوان أبي سلمى، (بيروت : دار العودة)، ط٢، ١٩٨١م.

٣٦. محسن، عيسى خليل : فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني، (عمان : دار الجليل للنشر)، ١٩٧٣م.

٣٧. المارديني، زهير : ألف يوم مع الحاج أمين، (بيروت : دار العرفان)، ١٩٧٧م.

٣٨. الكيالي، د. عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ١٩٦٣م.

٣٩. النتشة، رفيق : الإستعمار وفلسطين.

٤٠. النحوي، د. عدنان : على أبواب القدس، (الرياض : دار النحوي للنشر)، ١٩٨٩م.

٤١. نديم، شكري محمود : حرب فلسطين ١٩١٤ - ١٩١٨.

٤٢. النمر، إحسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء جـ١، ج٣، (نابلس، ١٩٧٥).

٤٣. نويهض، عجاج : رجال من فلسطين، (بيروت : منشورات فلسطين المحتلة)، ١٩٨١م.

٤٤. ياسين، صبحي : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ٣٦ - ١٩٣٩، (دار الهنا للطباعة، ١٩٥٩م).

٤٥. ياسين، صبحي : استراتيجية العمل لتحرير فلسطين.

٤٦. ياسين، صبحي : حرب العصابات.

٤٧. ياسين، عبد القادر : كفاح الشعب الفلسطيني، (دمشق : دار الجليل)، ١٩٨٤م.

٤٨. الموسوعة الفلسطينية - المجلد الأول، والثاني، والرابع، (دمشق ١٩٨٤).

٤٩. مذكرات الضابط البريطاني «جيفي مورتون» - جريدة الدفاع الأردنية في ١٩٥٨/٨/٥.

٥٠. صفحات من مذكرات السيد محمد أمين الحسيني : نشرة فلسطين - العدد ٧٤، أيار ١٩٦٧م.

الدوريّات :

١. مجلة القدس الشريف - يصدرها مكتب أمانة القدس - عمّان، الأعداد: ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.

٢. مجلة الرسالة القاهرية - العدد ١٦١، في ١٩٣٦/٨/٣.

٣. مجلة العرب - العدد ٥٨، في ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٣.

٤. مجلة شؤون فلسطينية - العدد ٦، والعدد ٧، عام ١٩٧٢.

٥. مجلة الرابطة العربية - العدد ٢٤، في ١٩٣٦/١١/٤

٦. جريدة الجامعة العربية - العدد ١٨١ في ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٨، والعدد ٥٥٣ في آذار ١٩٣١، والعدد ٨٨٥ في ١٢ آب ١٩٣٢، والعدد ٩٨١ في ٢٩ كانون الأول ١٩٣٢م. والعدد ٩٨٣ في كانون الثاني ١٩٣٣، والعدد ١٧٢٥ في ٧ كانون الثاني ١٩٣٦م.

٧. جريدة الزهور - حيفا، في ١٩ يونيو ١٩٣٠م.

٨. جريدة المقطم - القاهرة في ١٩٢٨/١١/٣م.

٩. جريدة فلسطين - يافا في ١٩٣٥/١١/١٣، و ١٩٣٥/١١/١٩م.

١٠. جريدة دافار اليهودية في ١٩٣٥/١١/٢١م.

١١. جريدة الأهرام القاهرية في ١٩٣٥/١١/٢٣م.

مقابلات شخصية :

تم إجراء مقابلات شخصية مع كل من :

١. الشيخ فريز جرار - في عمان في الشهر السابع من عام ١٩٨٥..

٢. السيد عبد الله السعدي ابن الشهيد الشيخ فرحان السعدي - في عمان في الشهر الثامن من عام ١٩٨٦م.

٣. الأستاذ طاهر أحمد حسين - في عمان في الشهر السابع من عام ١٩٨٦م.

٤. الدكتور عدنان النحوي - في الدوحة عام ١٩٨٦م.

٥. الشيخ عبد المعز عبد الستار - في الدوحة عام ١٩٨٥م.

٦. السيد أحمد الشيخ كمال السعدي - في الدوحة بتاريخ ٢٨/٣/١٩٩٠م.

٧. السيد يوسف العطّار - في الدوحة عام ١٩٨٥م.

٨. السيد إسماعيل رنّو - في عمان بتاريخ ١٩/١٢/١٩٩٠م.

٩. الحاجة نجمة عبد الله غانم (من كفر قود) - في عمان في الشهر الثامن من عام ١٩٩٠م.

١٠. الحاجة ميمنة إبنة الشيخ عز الدّين القسّام - في مدينة «أبو نصير» في الشهر الثامن عام ١٩٩٠م.

فهرس الموضوعات

الفصل السابع

المرحلة الأولى من ثورة ٣٦ - ١٩٣٩

الفصل الثامن

المرحلة الثانية من ثورة ٣٦ - ١٩٣٩

الفصل التاسع

المرحلة الثالثة من ثورة ٣٦ - ١٩٣٩

طبع بمطبعة عمرو الحلبى بالقاهرة
ت ٩١٣٨٦٢

رقم الايداع
بدار الكتب المصرية ٧٢٢٠ / ٩٢

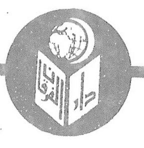
كتب للمؤلف

١ . شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ١٠ أجزاء.
٢ . أناشيد الدعوة الإسلامية - أربع مجموعات .. والكتابان بالاشتراك مع الأستاذ أحمد الجدع.
٣ . الأخوّة والحب في الله.
٤ . الدعوة إلى الإسلام .. مفاهيم ومنهاج وواجبات.
٥ . القدوة الصالحة .. أخلاق قرآنية ونماذج ربّانية.
٦. ديوان شعر الدكتور يوسف القرضاوي - جمع وتقديم وتحقيق .
٧. الحاج امين الحسيني ... رائد جهاد وبطل قضيه - من سلسلة اعلام الجهاد في فلسطين .
٨. الشيخ عز الدين القسام ... قائد حركة وشهيد قضية - من سلسلة اعلام الجهاد في فلسطين.
٩. الشيخ فرحان السعدي - الشيخ فريز جرار - الشيخ عبد القادر المظفر- من سلسلة اعلام الجهاد في فلسطين .
١٠. الشهيد عبد الله عزام ... رجل دعوة ومدرسة جهاد - من سلسلة «اعلام الجهاد في فلسطين» .
١١. قصائد الى الأم والأسرة .. من سلسلة «المرأة في الشعر الاسلامي المعاصر».
١٢. قصائد الى المرأة ... من سلسلة «المرأة في الشعر الأسلامي المعاصر» .
١٣. قصائد وأناشيد الى الفتاة ... من سلسلة «المرأة في الشعر الإسلامي المعاصر».
١٤. اسرار حملة نابليون على مصر والشام .

١٥. جبل النار... تاريخ وجهاد من ١٧٠٠-١٩٠٠.
١٦. قصائد وأناشيد للإنتفاضة.

كتب تالية :

١ · معارك الجهاد في فلسطين .. ضد العدو الصهيوني.
٢ · الشهيد عبد القادر الحسيني.
٣ · الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد.
٤ · الشيخ أحمد ياسين.



الإدارة والمكتبة - العبدلي - عمارة جوهرة القدس
مقابل وزارة التربية والتعليم
تلفون : ٦٤٠٩٣٧ ، ٦٤٠٩٣٧ ، ٦٢٨٣٦٢
ص.ب : ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن

مكتبة دار الفرقان - إربد - مقابل جامعة اليرموك
تلفون : ٢٧٦٥٠٦

يطلب من :
روض العلماء
للطبع والنشر والتوزيع
ص . ب : ٣٩ الظاهر ـ القاهرة